



عمادة الدراسات العليا  
برنامج اللغة العربية وآدابها

شعر الخمر في العصر المملوكي الثاني (784-923هـ)

إعداد  
ديمة عايد موسى عطابي

إشراف  
أ.د علي عمرو

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها  
بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل.

2016م

نوقشت هذه الرسالة يوم الأربعاء بتاريخ ٢٨/١٢/٢٠١٦م، الموافق ٢٨

ربيع الأول عام ١٤٣٨هـ وأجيزت بتاريخ ٢٩/٤/٢٠١٧م.

### أعضاء لجنة المناقشة

#### التوقيع

.....  
.....

مشرفاً ورئيساً

١. أ.د. علي عمرو

.....  
.....

ممتحناً خارجياً

٢. د. عبد الخالق عيسى

.....  
.....

ممتحناً داخلياً

٣. د. حسام التميمي

٢٠١٦.٥.٢

## الإهداء

إليكم يا من كنتم عطفاً وحناناً في الطفولة، وعوناً وسنداً في الشباب، وشعلة عطاء لا تتضب أبداً لتزرع في الفؤاد أن العلم قرين الدين، وأن العمل المتقن ثماره طيبة بإذن الله، إليكم هذا الجهد الذي لولا دعاؤكم ما كان... والدي الغاليين إخوتي وأختي الأحباء.

إلى رفيق الدرب، وزهرة القلب، إلى من وقف بجانبني في سقمي قبل عافيتي، ورأى في علمي سبباً في تقدمي ونجاحي، فكان الساهر على راحتني دوماً... زوجي العزيز وأطفالي فلذات كبدي.

إلى أهل زوجي الذين كانوا لي سنداً في كل عمل.

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة معلماتي وأساتذتي في كل زمانٍ ومكان...

إلى كل من حمل معي مشاق حروف هذه الدراسة صابرين أو مكرهين...

إلى من كان نداءً نحو البسمة والفوز والمجد...

أهدي جهداً المشترك

فرحةً لعلها تمحو التعب

ديمة العطابي

## الشكر والعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم إلى أستاذي الكريم الدكتور علي عمرو، الذي بذل لي من وقته وأضاء لي بنير فكره ما دجى من دروب هذا البحث، ورعاه حتى ضرب جذوره في الأرض، وامتد بساقه ليرى النور، فبارك الله فيه وأجزل له المثوبة.

ولا بدُّ أن أشير إلى الجهد الخاص الذي قدّمه لي قسم اللغة العربية في جامعة الخليل ممثلاً بالعميد والأساتذة جميعاً، لما يولونه من الصبر على تصحيح تجارب الطلبة فجازاهم الله خيراً، وحقق لهم أمانيتهم.

ولا يسعني إلا أن أشكر كل من شاركني عناء هذه الرسالة وإخراجها على الصورة المطلوبة.

فلجميعكم مني جزيل الشكر والتقدير والعرفان

ديمة العطابي

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	الإهداء
ج	شكر وعرفان
د	المحتويات
و	المقدمة
1	تمهيد: الخمر قبل العصر المملوكي
7	الفصل الأول: السمات الحسيّة للخمر
8	أولاً: قدم الخمر
15	ثانياً: أسماء الخمر
33	ثالثاً: لون الخمر
42	رابعاً: إشعاع الخمر
48	خامساً: رائحة الخمر
51	سادساً: طعم الخمر
54	الفصل الثاني: تقاليد شرب الخمر
55	أولاً: آنية الخمر
70	ثانياً: الخمر والساقى
83	ثالثاً: الخمر والنديم.
91	رابعاً: مجالس الشراب.
111	خامساً: أوقات الشرب.
118	الفصل الثالث: الدراسة الفنيّة
119	أولاً: بناء القصيدة
119	أ. المقطعات.
121	ب. القصائد
122	ب. حسن التخلص.

125	ج. خاتمة القصيدة.
128	ثانياً: الأسلوب.
144	ثالثاً: الصورة الشعرية
147	1. الصورة المفردة
149	2. الصورة الطويلة (الكلية).
151	3. الصورة المرتدة إلى الحواس.
152	1. الصورة البصرية.
153	أ. الصورة اللونية.
155	ب. الصورة الضوئية.
157	2. الصورة السمعية
159	3. الصورة اللمسية.
161	4. الصورة الذوقية
163	5. الصورة الشمية
164	رابعاً: الموسيقى
165	1. الموسيقى الخارجية.
170	2. الموسيقى الداخلية.
174	الخاتمة
177	ملحق تراجم الشعراء
193	المصادر والمراجع
212	ملخص باللغة الانجليزية

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي علّم الإنسان بالقلم، علمه ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم الأمة وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

تتناول هذه الدراسة شعر الخمر في العصر المملوكي الثاني، وتعود أهميتها إلى كونها تضيف شيئاً جديداً للأدب العربي في وقوفها على أشعار الخمر في العصر المملوكي الثاني في الفترة الواقعة ما بين ( 784 - 923هـ)، وعلى الرغم من تراجع الحياة في هذا العصر إلا أن الأدب ما زال محافظاً على أصالته ومكانته، والمطالع لأدب الشعراء ومؤلفاتهم فيه يدرك ذلك، ويلحظ أنهم طالعوا التراث الأدبي للسابقين واستفادوا منه وأضافوا إليه الشيء الكثير، فجاء صورة حية تعبر عن واقعهم، كما ونقل كثيراً من مشاهد حياتهم، فجاء غنياً بالصور الفنية الجميلة التي تلامس شغاف القلوب والعقول، وقد ازدهر شعر الخمر في هذا العصر شأنه شأن العصور السابقة، فهو لا يعرف الحدود والقيود وسواء أطلقت الحريات أم كبتت، فهو رائج رواج تعاطي الخمر على أنواعها، يقبل عليها الشعراء وغيرهم.

وجاءت هذه الدراسة استكمالاً لدراسات سابقة درست شعر الخمر من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر المملوكي الأول، ولذلك لم تكن هذه الدراسة الأولى في موضوعها بل سبقتها دراسات أخرى حول ظاهرة شعر الخمر، ومنها:

الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي لـ (بادية الحيدر)، وتطور المعاني الخمرية من العصر الجاهلي حتى أبي نواس لـ (زهية سعدو)، والخمر في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف لـ (فيروز موسى) وشعر الخمر في العصرين الزنكي والأيوبي لـ (جلنار الصوص)، وشعر الخمر في العصر المملوكي الأول لـ (فواز الشروف).

وقد تطلبت الدراسة مناهج بحث متعددة لمعالجة الكثير من الموضوعات، فكان من المناسب اعتماد المنهج التكاملي حتى تخرج بإذن الله على الصورة المطلوبة، فكانت الباحثة تجمع الأشعار من دواوين الشعراء، ومن مصادر الأدب المختلفة، وتصنفها حسب الموضوع، وتدرسها، وهذا تطلب المنهجين الوصفي والتحليلي في تناول النصوص وتحليلها، بالإضافة إلى المنهج الجمالي

في الدراسة الفنية، والمنهج النفسي في الكشف عن الأمور التي تكتنف الشاعر عند شربه للخمر، والدوافع الكامنة وراء ذلك.

وقسمت الباحثة الدراسة إلى تمهيد، وثلاثة فصول، ومحلّق تراجم الشعراء، وخاتمة؛ وبينت في التمهيد تطور شعر الخمر منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الزنكي والأيوبي وأهم شعراء الخمر في تلك العصور.

ومن ثم جاء الفصل الأول الذي خصصته للحديث عن السمات الحسيّة للخمر؛ من حيث صفاتها، وما يتصل بذلك من قدمها، وأسمائها، وألوانها، وإشراقها، ورائحتها، وطعمها.

ثم تناولت في الفصل الثاني تقاليد شرب الخمر؛ فتحدثت عن كؤوس الخمر، وأوانيتها مبيّنة الصورة التي رسمها الشعراء لهذه الأدوات، ودورها في مجالسهم، لتنتقل بعد ذلك إلى نقش الصورة التي رسمها الشعراء للندماء والسقاة، موضحة ومبرزة من خلال أشعارهم صفاتهم وواجباتهم في مجالس الخمر التي تعقد من الصباح إلى المساء، وعند الضحى وعند الغروب، وفي الصيف والشتاء في المنازل والأديرة والحانات، حتى على ضفاف الأنهار والشواطئ، وأبرزها في رياض الطبيعة، يحتسي فيها الناس الخمر، إلى أن تسري في دمائهم، ويتغلغل السكر في عروقهم.

وخصّصت الفصل الثالث لدراسة السمات الفنيّة لشعر الخمر في العصر المملوكي الثاني وقسمته إلى أربعة مباحث، الأول منه: بناء القصيدة، والثاني: الأسلوب، والثالث: الصورة الشعريّة، والرابع: الموسيقى.

وأنتهت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في الدراسة، تلاها ثبت المصادر والمراجع وملخص باللغة الانجليزية.

ولم تقتصر الدراسة على المصادر والمراجع المتقدمة، بل استعانت بعدد من الرسائل الجامعية التي ذكرتها في ثبت المصادر والمراجع.

ولكل إنجاز لا بدّ من مصاعب تواجهه صانعه، فقد واجهت الباحثة بعض الصعوبات؛ أبرزها افتقار الجامعات الفلسطينية إلى كثير من المصادر والمراجع، مما جعل لزاماً عليها تحمل أعباء



السفر ومشاقه للحصول على هذه المصادر والدواوين من مكتبات الدول المجاورة حيث استعانت الباحثة كثيراً بمكتبة الجامعة الأردنية، وآخر الصعوبات حصولها على مجموعة من الدواوين المخطوطة التي امتازت برداءة خطها، وذلك استنزف منها الكثير من الوقت في قراءتها وضبطها، مثل ديوان فخر الدين بن مكانس، وديوان مجد الدين بن كانس، ديوان ابن خطيب داريا.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا، ولا أزعم الكمال فيه، فالتقصير ملازم للإنسان في سعيه دائماً، فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت فمن نفسي، وحسبي أني بذلت ما استطعت من جهد، سائلة الله التوفيق في الدراسة للوصول إلى النتيجة المبتغاة، ولهذا فجزيل شكري وامتناني إلى الأساتذة أعضاء هيئة المناقشة لما بذلوه من جهد في تقويم الرسالة .

## التمهيد: الخمر قبل العصر المملوكي الثاني

لم يختلف شعر الخمرة في العصر المملوكي عن غيره من فنون الشعر، فكما أن الشعراء لم يتصلوا من تراث أسلافهم، كذلك لم يكتفوا بالسير في ركبهم، بل استجابوا لمتغيرات عصرهم ووسموا شعرهم بسمات تميزه عن شعر العصور التي سبقتهم، فالشعر الخمري شعر لهو وترف، ومتاع في كل العصور، حتى بلغ به بعضهم حدّ المجون، واتخذ بعضهم الآخر إثارة لقريحة أو هرباً من واقع، فهو قديم العهد في ديوان الشعر القديم، توقف عنده الجاهليون، فكانت أشعارهم بمثابة نواة الشعر الخمري الذي بنى عليه الشعراء شعرهم في العصور التالية<sup>(1)</sup>.

فقد اهتم الجاهليون اهتماماً كبيراً بمتعهم ولذاتهم سواء أكانت تتصل بالحس أم بالشعور، وكانت الخمرة أحد متع حياتهم، وأحد موضوعات شعرهم الذي تفرع بدوره إلى معان عديدة دارت حولها معظم خمريات الجاهلية، حيث عبّروا عن مدى حبهم للخمر، فوصفوا ألوانها، ولم يغفلوا عن ذكر ما يتعلق بطيب شرايبهم<sup>(2)</sup>، فراحوا يتغنون بعبيرها الذي يفوح عند صبيها، ومن ذلك قول الأعرابي<sup>(3)</sup>:

إذا بُزلت من دنّها فاح ريحُها      وقد أُخرجت من أسود الجوف أدهما  
ببابل لم تُعصر وجاءت سلافة      تخالط قنديداً ومسكاً مختماً

وعند عقدهم مجالس الخمرة تغنوا بسقاتهم - سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً - وركزوا على اختيار النديم وأشادوا بخصاله، كما تفتنوا في تزيين مجالسهم بمختلف أنواع الورود والرياحين، وحرصوا على نشر روائح العطور والمسك، ولم ينسوا أنيتها، فلا وجود للخمر إلا بوجود الإناء الذي يحتويها، فقد شاعت الجرار الفخارية، والأواني الخزفية<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: الأيوبي، ياسين، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، 339-340.

(2) ينظر: غريب، جورج، شعر اللهو والخمر، 9.

(3) الديوان، 166.

(4) ينظر: الحاوي، إيليا، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، 74-75.

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الإسلامي، فإننا نجد أن شعراء هذا العصر ظلوا يسيرون على نهج أسلافهم الجاهليين في وصف لون الخمر ولمعانها، وبالرغم من محاولات التجديد التي كانوا يحاولون إبرازها، إلا إنهم كانوا لا يتجاوزون المعاني القديمة إلا نادراً<sup>(1)</sup>.

وبرزت في العصر الأموي مجالس الخمر، وأفصحت عن مكوناتها الرئيسية من خمور وندماء وسقاة، إضافة إلى عناصر أخرى، ونجد الشعراء الأمويين حاولوا التجديد، وتخطوا المعاني القديمة المتداولة، ومن ذلك قول الأخطل في تشبيه لون شرابه بالجلد المدبوغ<sup>(2)</sup>:

وكأنما أنا شاربٌ جاءت له      بصرى بصافية الأديم عقار

ففي هذا العصر أقبل عليها الشعراء، وشغفوا بها، ولعل من أكثر ما ميّز خمرتهم التي تغنوا بها ذهابها بأحزان شاربها، وبعثها في نفوسهم الشعور المرح، وغالبًا ما يكون هدف الشارب الانتشاء، فألهمتهم قصائد مؤثرة، ونفحات فنيّة مميزة، تباها فيها باقتنائهم أقدم الخمر، واهتموا بالساقى، وتغنوا بنظراته، وقدّه ومشيته وملابسه<sup>(3)</sup>، يقول أبو الهندي الرياحي<sup>(4)</sup>:

إذا ذاقها من ذاق جاد بماله      وقد قام ساقى القوم وهنًا يديرها  
خفيفًا مليحًا في قميصٍ مقلّصٍ      وجبّة خَزْ لم تشدُّ زورها

ولم ينسوا النديم الذي ظلوا يتغنون بصفاته التي أشاد بها الشعراء الجاهليون والإسلاميون، كالكرم والتسامح، ولكن أكثر ما اهتموا به نسب النديم أكثر من سابقهم، ولعل مرجع ذلك إلى ما ساد المجتمع آنذاك من اختلال الأجناس<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: يوسف، خالد، الشعر العربي أيام المماليك، 9.

(2) الديوان، 1/ 76.

(3) ينظر: الصوص، جنار، الخمر في الشعر الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2.

(4) الديوان، 35. وهو غالب بن عبد القدوس بن شبت بن ربيعي الرياحي، ولد نحو 180هـ، كان جزل الشعر، سهل

الألفاظ لطيف المعاني. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 121.

(5) ينظر: الأعرجي، محمد، تطور المعاني الخمرية من العصر الجاهلي حتى أبي نواس، 115، رسالة ماجستير،

جامعة الجزائر، 1985.

وفي عهد الدولة العباسية، انتشرت ثقافة الفرس وأفكارهم، لما كان للعباسيين من اتصال كبير بهم، فقد ظهر تيار التحضر، فانتسعت حرية الفرد والمجموع، وعمّ الفساد من جراء تكاثر الأعاجم، أما خمرتهم فقد ظل شعراء هذا العصر يعتمدون على معاني من سبقوهم محاولين تطويرها، لجعل خمرتهم أكثر تألقاً ولمعاناً، فجددوا القديم، وأبدعوا بعض المعاني في وصف لون خمرتهم، وذلك حين يصف مسلم بن الوليد كف ساقيه المحمرة من خلال الزجاجاة، فيقول كأنه خضيبها بالتوت أو بصيغ أحمر، مظهرًا فيها لون شرابه، يقول(1):

وقهوة من بنات الكرم صافية	صهبا يهودية أربابها العَرَبُ
تُثْمَى إلى الشمس في إغذائها ولها	من الرّضاعة في حرّ الهجير أبُ
حمرء إن برزت صفراء إن مزجت	كأن فيها شرار النار تلتهب
محمرة كف ساقها بحمرتها	كأنما هو بالفرصاد <sup>2</sup> مختضب
ونجحت خمرتهم في "تبديد همومهم	لا يصحب الهَمّ قرع السن بالكاس

واهتموا بذكر محاسن الساقى والنديم، فكان سقاتهم تارة ظباء، وتارة غصون بان أو بدور، وغالبًا ما ربطوا بين الخمر والساقى في تشبيه واحد، ومن ذلك قول أبي نواس(5):

عاطنيها كما وصفت خليلي	من يدي شادنٍ رخيم الكلام
وجهه البدر والمدامه بدر	يا لبدرين رُكبًا في نظام

كما وصفوا آلة الشرب، ومن ذلك قول مسلم(6):

إبريقنا سلب الغزالة جيدها	وحكى المدير بمقلتيه غزالا
---------------------------	---------------------------

(1) الديوان، 227.

(2) الفرصاد: اسم يطلق على التوت وهو أيضا صبغ أحمر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرص)

(3) الصوص، جنار، الخمرة في الشعر الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 3.

(4) الديوان، 4 / 100.

(5) الديوان، 364.

(6) الديوان، 204.

"وكانت مجالسهم متوالية فالصباح يقرن بالغبوق، والجلوس للشرب يدوم الليل بأكمله حتى انبلاج الصبح، وهكذا يكون انتهاء مجلس إعلاناً لقيام مجلسٍ آخر، وهم ينعمون بالغناء والحديث وتعالى الأقداح، إلى أن يخرؤا صرعى من شرب الخمر"<sup>1</sup>.

أما شعراء الأندلس، فقد عكفوا على وصف خمرهم كأسلافهم، فقد ساروا على خطى المشاركة في أمور شتى، ولشدة شغفهم بالخمر - إلى جانب المرأة والطبيعة - عنوا بوصفها، وصرحوا بأسماء غلبت عليها، وشاع استعمالها، وقد استمدوا صفاتها من تأثيرها في الجسم، بعد أن يشربها الشارب فدعوها بالزّاح، ومن ذلك قول ابن حمديس<sup>(2)</sup>:

دبّابةٌ في الرأس يصعد سُكرها      فتجدّ منّا بالعقول وتلعب  
والبشر في شرب المدامة فارتقب      منها سرور النفس ساعة تعذب

وأجادوا في تصوير أنيتها، وأولعوا بالخمر ووصفها، فسكروا بطعمها وطبيها، وافتتنوا بلونها، وتحدثوا عن رائحتها الفواحة، فهي لشدة قوتها لها قدرة على التغطية على الروائح الأخرى، فاستطاعت التغلب على رائحة القار الذي يغلف دن الخمر، ويحولها إلى رائحة مسكٍ شديدة، قال ابن حمديس<sup>(3)</sup>:

وتجعل القار الذي باشرها      في الدن مسكاً للعرانين نَفْحُ

كما برعوا في رسم الساقى والنديم ومجلس الأّنس، فقد كان أبو نواس أستاذهم في ذلك، يغرفون من معينه ويتفننون في محاكاته منجرفين بفُحْشه ومجونه<sup>(4)</sup>، ومن ذلك تصوير ابن عبد ربه ربه لساقيه، فهو كالقمر الذي يملأ المجلس سنّى وبهاءً، وهو يسعى بخمرة تشرق في يده كالشمس،

(1) الصوص، جنار، الخمر في الشعر الزنكي والأبوي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 4.

(2) الديوان، 89.

(3) نفسه، 87.

(4) ينظر: غريب، جورج، شعر اللهو والخمر، 13.

ويرنو إليه بطرف فاتر النظرات تفيض غنجًا ودلالًا، وهو أهيف القَدَّ تزيد حركاته الغنجة سمرًا وفتنة، يقول(1):

أهدت إليك حمياها بكأسين      شمس تدبرتها بالكفِّ والعين  
يسعى بتلك وهذي شادن غنج      كأنه قمرٌ يسعى بنجمين  
كأنه حين يمشي في تأوده      قضيب بانٍ تثنى بين ريحين

وإذا ما نظرنا في شعر العصرين الزنكي والأيوبي نرى أنهم كانوا يتأملون كأس الخمر بين أصابعهم، وهم بين السكر والصحو، فدهشوا بجمال ألوانها وانعكاسها على وجوه الندامى والسقاة، وفاحت ريحها، وتضوع أريجها في المجالس، فشمتهما الأنوف واستنظرت هذه الرائحة، فعشقوا خمرتهم ووصفوها بدقة وإمعان، ولم يتركوا شيئًا يمت للخمرة بصلة إلا وصفوه، فكانت معانيهم بين القديم الذي أسسه أسلافهم، وبين الجديد الذي ابتكروه وطوّروه(2)، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن الكتاني(3):

أقول وساقينا يطوف بقهوةٍ      لها حبيبٌ يرفضُ مثل الكواكب  
بدت في سماء الكأس شمسًا ومن رأى      سنى الشمس ما بين النجوم الثواقب  
وتحدثوا عن الصلة الوثيقة التي كانت تربطهم بخمرتهم، فشريوها في كل وقت دون اكتراث بالنصائح، فكلما سنحت لهم الفرصة كانوا يتحلقون حول مائدة الشراب ويحتسون الكؤوس إلى أن تدب رعشة السكر في رؤوسهم، يقول يوسف بن المرصص(4):

هي أمّ الحياة بنت المسرا      ت غذاء الأجسام والأرواح

(1) الديوان، 89.

(2) ينظر: الصوص، جنار، الخمرة في الشعر الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 52.

(3) ابن الشعار، قلائد الجمان، 10/252. وهو يوسف بن سليمان بن صالح بن رهيح ولد سنة (536هـ) وتوفي

ما بين السنوات (618-629هـ). ينظر: نفسه، 10/214.

(4) هو يوسف بن عبد العزيز المعروف بابن المرصص كان شاعرا متأدبا يقول شعرا حسنا ويمدح مدحا

جيذا. ينظر: نفسه، 10/277-278.

تطرد الهمّ عنك لو أنصفوها      لقبوها مغناط الأفرّاح  
ولما كان النديم والساقى من أهم دعائم مجالسهم فقد وصفوهما، وذكروا الصفات التي يجب  
أن تتوفر في الساقى؛ من ظرف، وجمال، وخفة حركة، كما بينوا الآداب التي يجب أن يلتزم بها  
النديم في مجالس الشرب، ولم يغفلوا عن وصف آنية الخمر فوصفوا جميع متعلقاتها من كؤوس  
وأقداح ودنان... الخ، بالتفصيل لعلاقتها الوثيقة بالخمير<sup>1</sup>، ومن ذلك قول ابن الشّواء<sup>(2)</sup> في وصف  
الأباريق التي لاحت في سماء مجلسهم بالبرق في ظلمة الليل، فيكسوا الليل ثوبًا من النور،  
يقول<sup>(3)</sup>:

تحلّ أباريقًا تخال بوارقًا      تلوح فتكسو الليل ثوب نهار

- 
- (1) ينظر: الصوص، جنار، الخمرة في الشعر الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 82.  
(2) هو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل الحلبي شاعر مصقول الكلام، له ديوان شعر في أربعة مجلدات  
(ت635هـ). ينظر: ابن الشعار، قلائد الجمان ، 8/145-146.  
(3) نفسه، 56/6.

## الفصل الأول

### السمات الحسيّة للخمر

- أولاً: قدم الخمر
- ثانياً: أسماء الخمر
- ثالثاً: لون الخمر
- رابعاً: إشعاع الخمر
- خامساً: رائحة الخمر
- سادساً: طعم الخمر



## أولاً: قدم الخمر

شعر الخمریات شعر قديم، ليس من مستحدثات عصر المماليك، وإنما هو قديم قدم الشعر العربي، عريق في الأدب العربي عراقة الخمر في دنان الأديرة، لا يكاد يخلو منه ديوان شاعر، حتى برز شعراء أكثروا من ذكر الخمر، فنظموا فيها القصائد المستقلة، إن لم نقل الدواوين المستقلة.

وقيل إن أول من عصرها إبليس لقاويل وأولاده، وإن آدم عليه السلام أول من غرس الكرمة، وإن إبليس ذبح عليها طاووساً وقرداً وأسداً وخنزيراً، فشربت دماء هذه الأربعة، ولذلك اتصف شاربها حين يسكر بهذه الأوصاف الأربعة: خيلاء وزهو كزهو الطاووس وخيلائه، ومرح ورقص كمرح القرد ورقصه، وعريدة وقوة كقوة الأسد، ثم انعقاص كانعقاص الخنزير<sup>1</sup>، وجاء أيضاً أن نوحاً أول من زرع الكرم<sup>2</sup>.

وقال ابن المعتز واصفاً الكرمة: " شجرة مكرمة شريفة العنصر، تزهر بورق يجلو البصر، كأنه السندس الأخضر، وتضحك عن ثمر حلو المخبر، كأنه شمرايخ الجواهر، وكبائس الشذر المعنبر، استخرجته الأيام من ماء الغمام، ونقلته الأزمان الى ضمائر الأغصان فصار غذاءً يراه العيان بعد أن كان هواءً خفي المكان، ثم عاد ماءً كالزعفران أو كعصارة المرجان لطيف المنظر، جميل المصور، يدل على حقيقته شيئان: لون معصفر ونسيم معطر، كأنه المسك الأذفر<sup>3</sup> .

(1) ينظر: النواجي، حلية الكميت، 11.

(2) سفر التكوين، الإصحاح التاسع، 95.

(3) ابن المعتز، فصول التماثيل في تباشير السرور، 34-35.

فمعرفة الإنسان بالخمير اقترنت بمعرفته اختمار العنب، لا فرق في تعاطيها بين رفيع ووضيع، بين صعلوك ومليك، وقد جعلها الشعراء مهبطاً لإلهامهم، وسلماً لإبداعهم ومجالاً لآرائهم، يرتقون معها إلى تلمس الفكر والجمال، مشيحين بأنظارهم عن مغبّاتها وعمّا تتركه من أثر، فهي والشعر في نظرهم شريكان من حيث تهيئة الجو الذي هو السكر والنشوة<sup>1</sup>.

أما موقف الكتاب والأدباء من عتق الخمر، فيقول الغزولي: "وخير الشّراب ما طاب طعمه، وعطرت رائحته، وصفى لونه واعتدل قوامه، والعلامة الجيدة للشّراب الجيد الخالي من الغش إنه إذا ترك المقدار القليل مدّة طويلة لم يفسد، وبقدر طول المدّة تعرف الجودة"<sup>2</sup>

وقديماً قالت الحكماء: "خير الشّراب المتوسط، ما كان بين الحديث والعتيق، كما قالوا: "الشّراب لسنته، والخمر ليومه، واللحم لوقته، فالشّراب العتيق يضر بالعصب وسائر الحواس، فلذلك ينبغي أن يحظره من كان في أعصابه ضعف، وأما مذهب الشعراء، فعندهم أن طول القدم يعدله ويدفع مضرته"<sup>3</sup>.

فخمر ابن الموازيني خمرة أزلية تختلف عن خمر غيره من الشعراء؛ فهي قديمة وجدت قبل أن يعرف الإنسان الخمر وخصائصها وأوصافها فيقول:<sup>4</sup>

سَكْرِنَا مِنْ قَدِيمٍ قَبْلَ عَصْرِ      وَدَارَ الْكَأْسِ مَا بَيْنَ الْمِلَاحِ  
فَعَشِنَا السُّكْرَ لَا نَخْشَى مَلَامًا      فَسَكْرَانُ الْهَوَى فِي أَلْحَانِ صَاحِي

(1) ينظر: غريب، جورج، شعر اللهو والخمر (تاريخه وأعلامه)، 5-6

(2) الغزولي، مطالع البذور، 1/140.

(3) ينظر: القيرواني، المختار من قطب السرور في وصف الأنبيذة والخمر، 50.

(4) الديوان، 63.

أما أمين الدين بن الأدمي فخرته موعلة في القدم فقد شربوها منذ زمن بعيد، من بعده لم يستطع أن يحصي الفترة التي وجدت فيها هذه الخمر يقول:<sup>1</sup>

بَنَتْ كَرِمَ شَرِبُوهَا زَمَنًا      طَالَ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يُحْصَ بِالْعَدِّ  
تَسْلَبُ الْعَقْلَ مِنَ الرَّأْسِ كَمَا      سُلِبَتْ قَدِيمًا مِنَ الْكِرْمَةِ بِالْيَدِ

وهذا إبراهيم الباعوني يتحدث عن كثرة المُدام القديم التي كان يحتسيها بالكؤوس في حانٍ كان يرتاده، وقد عبّر عن قدم خمرته هذه باستخدامه لفظة (قديم)، وما كان لهذه الخمر من تأثير في نفسه فيقول:<sup>2</sup>

وَحَانَ كَمِ شَرِبْتُ بِهِ مُدَامًا      قَدِيمًا بِأَلْكُؤُوسٍ وَبِأَلْبَوَاطِي<sup>3</sup>  
أَصَابْتَنِي بِهَا حَادِقٌ مُرَاضٌ      بِأَسْهُمِهَا وَهَنَ مِنَ الْخَوَاطِي  
وَهِمَّتْ بِكُلِّ وَدِّدَاتٍ طَرْفٍ      لِأَعْدَائِي عَلَى قَتْلِي تَوَاطِي

وخمر ابن مكناس قديمة عنده مثل غيره من الشعراء، وهو يعبر عن قدمها بأساليب شتى، فمن خموره ما يرجع الى زمن الضحّاك والإسكندر:<sup>4</sup>

مُعْتَقَّةٌ أَفَنَتْ فُرُونَنَا وَأَقْسَمَتْ      تُذَكِّرُنَا الضَّحَّاكَ<sup>5</sup> وَالْإِسْكَندَرَ

(1) الغزولي، مطالع البدر، 173/1.

(2) الديوان، 76.

(3) البواطِي: جمع باطية وهي إناء عظيم من الزجاج كالقارورة توضع فيه الخمر، وهي مولدة عامية. ينظر: الجواليقي، المعرب، 183.

(4) الديوان، 26.

(5) هو ملك فارسي عرف بشدة القوة وحسن الصورة، كان ملكا جبارا ظالما مستبدا برأيه. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 1/244-246.

ويكنيها ابن مكناس بأمّ الزمان، إشارة إلى قدمها فيقول:<sup>1</sup>

أُمُّ الزَّمَانِ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا      جُزءَ الحَيَاةِ وَقَدِ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ

وأرى أن الشاعر يقصد هنا بـ "جزء الحياة" الروح، أي أن مرور الزمن الطويل على الخمر أتى على مادتها وأبقى على روحها، والروح خالدة على أي حال.

ويفخر بالخمير التي يشاركه في شربها سيدها العالم القديم كسرى وقيصر ويعدها سبباً من أسباب النبل فيقول:<sup>2</sup>

إِذَا مَا أُدِيرْتُ فِي حَشًّا عَسْجِدِيَّةٍ      بِهَا كُلُّ ذِي تَاجٍ وَقَصْرِ تَصَوَّرَا  
فَحَسْبُكَ نُبْلًا فِي السَّعَادَةِ أَنْ تَرَى      نَدِيمَكَ فِي الْكَاسَاتِ كِسْرَى وَقَيْصِرَا

ويصف الشاعر عبد السلام المنوفي خمراً معتقّةً من أحد الأديرة التي قصدها في سفر له دعاه إلى شربها راهب الدير، وهذه الخمر تعاقبت عليها أمم شتى فهي موجودة قبل أن تغلو السموات الأرض حتى أصبحت مقدسةً لدى بعض الأقباط فصلوا لها، يقول:<sup>3</sup>

هَذِي الْمُدَامُ الَّتِي كَانَتْ مُعْتَقَّةً      مِنْ قَبْلِ مَا سَمَتِ الْأَرْضَ السَّمَوَاتُ  
صَلُّوا لَهَا فَقَدْ صَلَّتْ لَهَا أُمَّمٌ      أَضْحَوْا عُكُوفًا عَلَيْهَا مِثْلَ مَا بَاتُوا

(1) الديوان، 10.

(2) نفسه، والصفحة نفسها.

(3) النواجي، تأهيل الغريب، 169.

وخرج أحد الشعراء مع جماعة له في ظلمة الليل الشديد يبحث عن خمر معتقة من سالف

الدَّهر عند راهب في دير له، فقال:<sup>1</sup>

وَرُبَّ رَاهِبٍ دَيْرِ زُرْتَهُ وَآلِهِ      فِي حَنْدَسِ اللَّيْلِ بِالنَّافُوسِ أَصْوَاتُ  
طَرَقْتَهُ وَمَعِيَ سَرِبَ تَخَالُهُمْ      بُدُورٌ تَمَّ لَهُمْ فِي الْأَفْقِ هَالَاتُ  
فَقُلْتُ اسْقِنَا بِنْتِ كَرَمٍ قَدْ أَضَرَّهَا      مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ أَعْوَامٌ وَسَاعَاتُ

ويعود ابن مكنس ليطل علينا في وصف مجلس من مجالسه الخمرية، ولكن خمرته هذه

المرّة خمرّة شاخنة وعمرت طويلاً؛ فقد عاصرت الأقبام البائدة ، أخبرت عمّا حل بعاد وثمود وعلى

الرغم من عمرها الطويل، إلا أنها صافية كالجوهرة النفيسة يقول:<sup>2</sup>

وَأَجَلٌ بِهَا قَدِيمَةُ الْعُهُودِ      تُخْبِرُ عَنْ عَادٍ وَعَنْ ثَمُودِ  
صَافِيَةٌ كَمَقْلَةِ الْفَرِيدِ<sup>3</sup>      أَرَقٌ مِنْ دَمْعِ شَجِّ عَمِيدِ  
عَدْبُهُ حَبِيبُهُ بِالصَّدِّ

ويتحدث عن قدمها، ويؤكدده، فينسبها إلى بني الأصفر من الروم، وهي صفة عرفت عنهم

منذ زمن بعيد فيقول:<sup>4</sup>

صَفْرَاءُ تَعَزَى لِأَبِ كَرِيمٍ      إِلَى بَنِي الْأَصْفَرِ أَوْ الرُّومِ

(1) لنواحي، تأهيل الغريب ، 170، دون عزو .

(2) نفسه، 72.

(3) الفريد: الجوهرة النفيسة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرد)

(4) الديوان، 73.

ويعود سبب تفضيل الشعراء للخمر المعتقة المولودة منذ الخليقة، لكونها الأسوغ طعمًا والأصفي لونًا، ولذلك فقد كثر الحديث عن أفضلية الخمر التي توغل جذورها في القدم، كما قال الصيرفي:

"...وسبب أفضلية النبيذ القديم على الحديث، أن في النبيذ الحديث أجساما غروبية وسكرية، وأجساما أخرى ذائبة فيه... فإذا عتق تحولت الأجسام الغروبية والسكرية إلى كحول، ورسبت بقية الأجسام لأنها أقل ذوبانًا في الكحول منها في الماء، فكلما عتقت الخمرة زادت صفاءً برسوب هذه المواد منها، ولذلك ترى القناني التي طالت إقامة الخمرة فيها موسخة من الداخل بما رسبت عليها من الجوامد التي كانت ذائبة في الخمرة الجديدة..."<sup>1</sup>

ويقول أيضا: "... والعلامة الجيدة للشراب الجيد الخالي من الغش، أنه إذا ترك المقدار القليل منه في ظرف جيد مدةً طويلةً لم يفسد، ويقدر طول المدة تعرف جودته، فكلما طالت مدته وهو في ظرفه ولم يفسد كان أجود"<sup>2</sup>، فما قاله الصيرفي كان معروفًا عند مدمني الخمر في كل العصور، وقد ظهر ذلك جليًا في دواوين الشعراء؛ ولهذا السبب طلب ابن قرناص من ساقيه أن يمزج له من الخمر المعتقة لأنها أجود أنواع الخمر:<sup>3</sup>

وَأَمْزَجْنَا لَنَا الْخَمْرَ الْعَتِيقَ فَإِنَّهُ تَبَّرَ وَأَجْوَدُهُ الَّذِي قَدْ عُنُقَا

وشبهت الخمرة المعتقة بامرأة عجوز، توالت عليها السنون، فطالت مدة انتظارها، وعندما حركتها ريح الصبا عادت فتية، وأصبحت تتمايل كالمرهء فيقول فخر الدين بن مكاس:<sup>4</sup>

قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَّتْ فَهِيَ الْعَجُوزُ تَهَادَى هَدَى مَرْهَاءَ<sup>1</sup>

(1) الصيرفي، كشف النقاب عن أنواع الشراب، 39.

(2) نفسه، 46.

(3) النواجي، حلبة الكميت، 367.

(4) الديوان، 125.

ويقول آخر يصف خمراً له، حبيسة في دنها قبل أن تُخلق الأشياء:<sup>2</sup>

نَسَعَى بِصَافِيَةِ الْأَيْمِ مَرَّجَهَا      بِحَرِيْقِ نَارِ رَحِيْقِهَا إِطْفَاءً  
كَانَتْ مَعْتَقَةً حَبِيْسَةً دَنَهَا      مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُوْنَ الْأَشْيَاءُ

ويصف ابن مكنس خمرة المعتقة التي تعبأ في أديرة النصارى وتعتق هناك، ويجعلها بئراً من البلسم الشافي، فهي شديدة الإشعاع، لذلك يطلب من نديمه، أن ينظر إلى نورها الساطع من هذه البئر فهي سبب صحته من الأمراض، لكونها تتصل بزمانها إلى المسيح ابن مريم، ولذلك يعظم النصارى هذه الخمر، يقول:<sup>3</sup>

وَأَنْظُرْ إِلَى أَنْوَارِ بَيْرِ الْبَلْسَمِ      فَهِيَ سَبِيلِ صَحْتِي مِنْ سَقَمِي  
لِكُوْنِهَا فِيْمَا يُقَالُ تَنْتَمِي      إِلَى الْمَسِيْحِ السَّيِّدِ ابْنِ مَرْيَمِ

### مُحْيِي بِأَذْنِ اللَّهِ مَيِّتَ اللَّحْدِ

ويحلف الخمر الذي ارتاد الفيروزآبادي خمارته بأن الخمر التي شربها قد ضربت جذورها في القدم، معتقة قبل زمن نوح عليه السلام، يقول:<sup>4</sup>

يَا نَدِيمِي اشْرَبْ مُدَامِي فِي شِفَا      مُنْعَشِ الرُّوحِ وَمُحْيِي الْبَدَنِ  
أَقْسَمَ الْخَمَّارُ عَنْهَا حَلْفَا      قَبْلَ نُوحٍ عَتَقْتَ فِي الزَّمَنِ

(1) المرهاء: من النعاج الشديدة البياض ليس بها شية. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مره)

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 77.

(3) الديوان، 75.

(4) النهاني، المجموعة النهائية، 418/4-419.

## • أسماء الخمر

الخمر في حقيقتها الطبيعية محسوسة لها فعل محسوس، فهي محسوسة من حيث أنها سائل يتفاعل مع حواس الإنسان جميعًا تفاعلها مع أي محسوس، لذلك فقد عني الشعراء بوصفها وعمدوا إلى تصويرها تصويرًا حسيًا، فحرصوا على وصف لونها ورائحتها وبريقها وطعمها، فطبيها كالمسك، وصفواؤها كعين الديك، وشعاعها كقرن الشمس، ونشوتها تشعر الجسم بالزهو ثم بالفتور إلى غير ذلك من أوصاف حسية، فهي جملة من المحسوسات جمعت في واحدة.

والشعراء في العصر المملوكي لم يهملوا تراث أسلافهم ولم يكتفوا بالسير على خطاهم بل استجابوا لمتغيرات عصرهم ووسموا شعرهم بسمات تميزه عن غيره من شعر العصور التي سبقته فوصفوا الخمر، وتغنوا بها، واهتموا بها، وبأسمائها ومعانيها، وقال الشاعر المملوكي مجد الدين بن مكانس يصف الخمر التي كان يحتسيها ويذكر فيها أسماءً مختلفةً للخمر:<sup>1</sup>

هو النسيم الصّحيح	هـبّ النسيمُ عليلاً
فالآن طاب الصّبوح	وطاب وقتك فانهب
بـه يضيئ الفسيح	وخذ عن الكأس نوا
طعم ولبون وريح	من قهوة طاب منها
وفي الحشا وهي رُوح	في دنّها وهي راح

فأوصاف الخمر في قصائد الشعراء متداخلة ومتكاملة، وأي فصل بين صفة وأخرى يعد تمزيقاً للوحدة العضوية في جسد القصيدة؛ لأن الأوصاف المجتمعة تعطي صورة واضحة عن فكرة

(1) الديوان، 55.



الشاعر وخياله<sup>1</sup>، أما سبب فصلي إياها إلى عناوين جزئية كان بقصد دراسة كل صفة بمفردها بدقة، وللتفصيل في كيفية تناولها في الشعر، وهي في الحقيقة مترابطة متداخلة لا انفصال فيما بينها البتة.

والخمر كل ما أسكر في عصير كل شيء، لأن المدار على السكر وغيوبة العقل، وهو اسم جامع لها وأكثر ما سواه صفات، وقد اختلف في سبب تسميتها؛ فقيل سميت بذلك لأنها تخمر العقل وتستره، أو لأنها تخامر العقل أي تخالطه<sup>2</sup>.

### أولاً: أسماؤها بحسب تأثيرها في الجسم

▪ **الراح:** وقد سميت راحاً لأن شاربها يرتاح إذا شربها، وهو أفضل الأسماء لاشتقاقها من الروح ولملاءمتها لها وامتزاجها بها فهي شقيقة الروح وتوأمها تجعل شاربها يشعر بالراحة عندما تسري في أوصل جسمه<sup>3</sup>، وقد ربطها النواجي بروحه وراحته وجعلها رمزاً من رموز تذكير الأحبة به، يقول<sup>4</sup>:

بِعَيْشِكَ يَا حَادِي تَرْفُقُ بِمُهْجَتِي      وَكَرَّرَ عَلَيَّ سَمْعِي حَدِيثَ أَحْبَبْتِي  
فَذَكَرَهُمْ رُوحِي وَرَاحِي وَرَاحَتِي      وَحَانِي وَأَلْحَانِي وَكَاسِي وَحَضْرَتِي

(1) ينظر: الموسى، فيروز، الخمرة في الشعر الاندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، رسالة ماجستير، جامعة حلب، 36.

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خمر)، وينظر: ابن سيده، المخصص، 74/11، وينظر: الثعالبي، فقه اللغة، 401.

(3) ينظر: ابن سيده، المخصص، 74/11، الثعالبي، فقه اللغة، 401.

(4) النواجي، تأهيل الغريب، 191.

ويراها النقشتراني داخرة الأحران جالبة السعادة والسرور يقول:<sup>1</sup>

بدا الأحران في قلبي فهاات الرّاح وأغسناها

أما راح عبد الكريم الجيلي فمنبع اللذات وكل ما سواها لا يضاهاها في أثرها ولا معنى له،  
يقول:<sup>2</sup>

للذات فيك بصرف الرّاح لذات وكّل جمع سواها فهو أشتات

ويعدّها ابن مكنس أحد أسباب المتعة ومما تشتهيهِ الأنفس، فهو يشربها في مجلس أنس  
حيث الغناء والطرب والجمال، يقول:<sup>3</sup>

فعدنا إن تزرننا ما تشتهي وتريد

راح وظبي شاد يشجي الأنعام وعود

ويصرح علي بن وفا بأنه يجد في هذه الرّاح الموجودة بين راحات الساقى ما ينفي الهم  
والحزن ويبقى الفرح، يقول:<sup>4</sup>

راحه الأزواح في راحته تنفي الهم ويبقى الفرحا

(1) ابن الحنبلي، در الحبيب، 540/2.

(2) الجيلي، الإنسان الكامل، 71/1.

(3) الديوان، 11.

(4) النواجي، تأهيل الغريب، 244.

■ **القرقف:** اسم للخمر، وسميت بذلك؛ لأن صاحبها إذا شربها أخذته قرقفة وهي الرعدة من إيمانه إياها، وقال الليث: القرقف توصف به الخمر ويوصف به الماء البارد ذو الصفاء، وقد أنكر الجوهري أن تكون سميت بذلك لأنها ترعد شاربها بل قال: إنه اسم لها<sup>1</sup>.

فريق ثغر محبوبة ابن مليك الحموي سلاف بارد نكهته طيبة كطعم القرقف التي يحتسها الشاعر فيتلذذ بهما على السواء، يقول:<sup>2</sup>

نَشْوَانَةٌ حَصْبًا مِنْهُلْ تُغْرَهَا      دُرٌّ وَرَيْقَتُهُهَا سُلاَفٌ قُرْقُفٌ

ويطلب ابن الخطيب داريا من ساقيه أن يدير الكؤوس ويسقيه جلاءً للهم، يقول:<sup>3</sup>

أَدِرِ الْكُؤُوسِ وَاسْقِينَهَا قُرْقُفًا      فَالْهَمَّ دَاءً وَالْمَدَامَ لَهُ شِفَاءُ

أما الشهاب المنصوري فيعقد موازنةً بين ريق محبوبته وخمرته، فيرى أنّ ريق محبوبته يشبه الخمر في لذته، وبالرغم من هذا التشابه إلا أنّ ريق محبوبته يتفوق على خمره لأنه أحلى وأشهى، يقول:<sup>4</sup>

قُرْقُفِي الرِّيقِ لِكِن      رَيْقُهُ أَحْلَى وَأَشْهَى

(1) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة، 401، و ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، 184/2.

(2) الأبيشي، المستطرف، 206/2.

(3) ابن إياس، الدر المكنون، 152، والنواجي، تأهيل الغريب، 648، و حيلة الكميّ، 138، والأبيات غير موجودة في الديوان.

(4) ابن إياس، الدر المكنون، 237.

▪ **القهوة:** قيل سميت بذلك؛ لأنها تقهي شاربها عن الطعام أي تذهب بشهوته فتشبعه<sup>1</sup>،  
"وقيل من قولهم تقهي الفؤاد أي تستره"<sup>2</sup>.

يقدم ابن المكائس مجموعة من النصائح لشارب القهوة، ويرى أن لا بدّ وأن يتمسك بها وهو  
يعاقر ندماءه، وعدها من آداب شرب الخمر، ومنها:<sup>3</sup>

وإن دَعَاكَ الإخْـمُـة      إلى ارتِشَافِ القَهْـمِـة  
فلا تصقِّع دَفْـنُـكَ      ولا تزدِّهم بالبِـكْـا

وفي تغزّل الباعوني بمحبوبته يظهر للقارئ قهوة عصرتها له ليحتسيها، فيقول:<sup>4</sup>

لقد عَصَرْتَهَا العَامِرِيَّة قَهْـمِـة      تَنَاولْتَهَا مِنْ كَفِّ مَجْدُولَةِ الخَصْرِ  
مُورِدَةَ الوَجَنَاتِ تَزْنُو عَقْلَـة      أَحَدَّ وَأَمْضَى مِنْ سُيُوفِ بَنِي نَصْرِ  
تَرَشَّفْتَهَا مَمْرُوجَةَ مِنْ فَمِ لَهَا      بِرِيقِ غَدَا أَخْلَى مِنَ السُّكَّرِ المَصْرِي

ويصف ابن أبي الوفا وجه ساقٍ يقدم له القهوة، فوجهه يضيء من كثرة الابتسام إذا شرب  
من قهوته يقول:<sup>5</sup>

سَاقٍ إِذَا اغْتَبَقْتَ نَدْمَانَ قَهْوتِهِ      أضَاءَ مَبْسَمَهُ كَالصُّبْحِ فَاصْطَبَحَتْ

(1) ينظر: ابن سيده، المخصص، 74/11، و ينظر: الثعالبي، فقه اللغة، 401.

(2) القيرواني، المختار من قطب السرور، 31.

(3) الديوان، 79.

(4) البقاعي، إبراهيم عنوان الزمان، 3/ 76.

(5) النواجي، حلبة الكميت، 151.

ويمزج ابن الأدمي وصفه للقمرّي بالدعوة إلى شرب القهوة، وهو يتخيل المغني (معبد) حاضراً في الروضة عند سماع تغريد القمرّي، فهو يحتسيها على وقع الأنغام والموسيقى في أحضان الطبيعة، فيقول:<sup>1</sup>

سَبَّحَ الْقَمْرِيَّ فِي الدَّوْحِ وَغَرَدَ      فَحَسَبْنَا أَنَّ فِي الرَّوْضِ مَعْبِدَ  
فَاسَقْتِي الْقَهْوَةَ حَتَّى انْتَشَى      مِثْلَ عُصْنِ الْبَانِ لَمَّا يَتَأَوَدُ

والشاعر ابن مُدلج يستعير لون الورد، ورائحته العطرة، ويمنحها لقهوته فهذا وقت الورد،

يقول:<sup>2</sup>

هَذَا أَوَانُ الْوَرْدِ فَاشْرَبْ قَهْوَةً      قَدْ شَاكَلْتَهُ فَلَوْنُهَا مِنْ لَوْنِهِ

---

(1) الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة، 91/2، والغزولي، مطالع البدور، 172/1.

(2) البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 97/2.

## ثانياً: أسماؤها بحسب قدمها

وقد أخذت الخمر أسماءها أيضاً من قدمها وعراقة أصلها؛ فهي معتقة، وعقار، وخنديس، ومدام، وشمول وعجوز، وقد برزت هذه الأسماء جليّة في أشعارهم، وضجت دواوينهم بها،

- **المعتقة:** وهي أفضل أنواع الخمر، وهي الخمر القديمة، التي عتقت زمناً لإطالة حبسها في الدن، وملازمتها إياه زمناً طويلاً<sup>1</sup>.

وقد عبر عنها الشعراء بمادة عتق وما اشتق منها فهي "العتيقة القديمة التي لا تنسب إلى شيء، بل كل شيء ينسب إليها"<sup>2</sup>

فهذا ابن مكنس يعدّها مقدسة، ويدعو خليليه أن يحجا إليها، ويطوفا حولها، يقول:<sup>3</sup>

وَحُجًّا إِلَى الْكَأْسِ الْعَتِيقِ بِعَزْمِهِ      وَطُوفًا بِهِ لِكَيْ عَلَى الشَّرْبِ تُوجَّرَا

أما الوفائي المقدسي فيرى في قدمها داءه القديم، وفي حلاوة حديثها شفاؤه ودواؤه، فيقول:<sup>4</sup>

مُعْتَقَّةٌ بِهَا دَائِي قَدِيمٌ      وَطِيبٌ حَدِيثُهَا فِيهِ دَوَائِي  
مُشَعَّعَةٌ بَدَتْ مِنْهَا بُرُوقٌ      فَجَأَتْ بَالسَّنَا ظُلْمَ الدُّجَاءِ

(1) ينظر: ابن سيده، المخصص، 76/3، وينظر: الفيروزآبادي، تاج العروس، 5/7.

(2) أدونيس، الثابت والمتحول، 110.

(3) الديوان، 238.

(4) البقاعي، عنوان الزمان، 314/5.

وفي حوار دار بين الشاعر ابن الخطيب وإبليس كان قد جاءه في ليلة أتعبه فيها السهر فسأله إن كان يشرب الخمر المعتقة، فأجابه بأنه يشربها في مجالس الطرب على ألحان المزمار ونغماته فقال:<sup>1</sup>

وَلَيْلَةٌ زَارَنِي إِبْلِيسَ آخِرَهَا      وَكَانَ فِيهَا اغْتِرَانِي كَثْرَةَ السَّهْرِ  
فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي خَمْرٍ مَعْتَقَةٍ؟      فَقُلْتُ شُرْبِي عَلَى الْمِزْمَارِ وَالْوَتْرِ

• **العقار والعقارية:** قال ابن السكيت: "وسميت بذلك؛ لأنها عاقرت الدنّ أي لازمتها، أو لعقرها صاحبها عن المشي."<sup>2</sup>

فلا يستغرب مجد الدين بن مكنس إن أمسى بمحبوبته سكران من ترشاف رضابها، فرضابها شهى لذيذ الطعم كطعم العقار، يقول:<sup>3</sup>

فَلا بَدَعَ إِنْ أَمْسَيْتَ نَشْوَانًا بِهِ      فَرَضَابُهُ الْعَذْبُ الشَّهْيَ عَقَّارُ

**الخنديس:** وهو ما ضرب إلى الحمرة من الخمر لطول مكثها في الدن، وهي معربة من الكلمة الفارسية (كندريش)<sup>4</sup>.

(1) النواجي، تأهيل الغريب، ابن إياس، الدر المكنون، 101.

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقر)، وينظر: ابن سيده، المخصص، 75/3.

(3) الديوان، 19.

(4) ينظر: ابن سيده، المخصص، 74/11، وينظر: الثعالبي، فقه اللغة، 40/2، وينظر: الفيرواني، المختار من

قطب السرور، 35.

يقول الشهاب المنصوري في مجلس خمر كان يطوف فيه الساقى عليهم براح بنت كرم

خندريس: <sup>1</sup>

طَاف بِالْكَأْسِ عَلَيْنَا      فَرَأَيْنَا الشَّمْسَ تُجَالِي  
بُنْتُ كَرَمِ خَنْدَرِيس      أَطْفَتِ مَعْنَى وَشَاكُلَا

• العجوز: وقد أطلق عليها هذا الاسم للدلالة على القدم<sup>2</sup>. يقول ابن مكناس<sup>3</sup>:

قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ      فَهِيَ الْعَجُوزُ تَهَادِي هَدِي مَرْهَاءَ

• المدام والمدامة: سميت بذلك لإدامتها في الدنّ زمانًا حتى سكنت بعد ما فارت، وقيل سميت

مدامة لعنقها، وقال ابن السكيت سميت بذلك لأنها أديمت في ظروفها<sup>4</sup>.

يقول ابن زين الدين لبيك في مליح يعصر مدامه<sup>5</sup>:

نَادَيْتِ إِذْ عَصَرَ الْحَبِيبِ مَدَامَةً      وَالسَّقْمُ خَمِيمٌ فِي مَعَاقِدِ خَصْرِهِ  
لِلَّهِ مِنْ عَصَّارِ خَمْرِ فَاتِنٍ      زَاهِي الْبَهَا مَا مِثْلُهُ فِي عَصْرِهِ

أما الأنصاري فما زال يشرب من مدام محبوبته حتى سكر، يقول<sup>6</sup>:

أَدَامَتِ لِي مَدَامَتَهُ ارْتِشَافًا      فَوَا سَكْرَاهُ مِنْ ذَاكَ الْمُدَامِ

(1) ابن إياس، الدر المكنون، 237.

(2) ينظر: ابن سيده، المخصص، 75/3.

(3) الديوان، 125.

(4) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دوم)، وينظر: ابن سيده، المخصص، 75/3.

(5) النواجي، مراتع الغزلان، 74.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 59/11، والشهاب الحجازي، روض الآداب، 108.



وفخر الدين بن مكنس يرى في مدامه معاني السرور، يقول<sup>1</sup>:

مُدَامَ حَوَتْ مَعْنَى السُّرُورِ وَأَفْرَطَتْ      فَمِنْهَا سَرَى فِيهَا السُّرُورُ وَأَثَرَا

أما ابن أبي الوفا يتعهد بالوفاء والمبايعة لكل من يحتسي معه الخمر، ويعطيه إياها يداً

بيد، يقول:<sup>2</sup>

مُدَامَةَ مَنْ يَعَاظِنِي يَدَاً بِيَدٍ      فِيهَا فَاِنِي عَلَى هَذَا أَبَايَعُهُ

ويثني أمين الدين الأنصاري على مدامته لما لها من فضل عليه يقول:<sup>3</sup>

كَمْ لِلْمُدَامِ عَلَيْنَا وَالْمَلَا حِ يَدٌ      تَسْتَعْرِقُ السُّكْرَ مِنْهَا آخِرَ الْحُقْبِ

• **الشمول:** الخمر، أو باردة الطعم<sup>4</sup>، وسميت شمول لأنها تشمل على العقل فتذهب به وتشمل في دنها لمدة طويلة<sup>5</sup>، وخمر مشمولة خمر طيبة الطعم<sup>6</sup> وقد علل الناشئ<sup>7</sup> في حلبة الكميت تسميتها بالشمول فقال:<sup>8</sup>

لِذَلِكَ سُمِّيَتْ الشَّمُولُ لِجَمْعِهَا      شَمْلَ الْخَلِيطِ وَضَمَّهَا لِلْفَاوِرِ

(1) ابن تغريدي بردي، النجوم الزاهرة، 59/11، والشهاب الحجازي، روض الآداب، 108.

(2) الشهاب الحجازي، روض الآداب، 72.

(3) النواجي، تأهيل الغريب، 148، وحلبة الكميت، 110.

(4) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمل).

(5) ينظر: ابن سيده، المخصص، 74/11.

(6) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة(شمل).

(7) **الناشيء:** هو عبد الله بن محمد الناشيء الانباري، شاعر مجيد، اصله من الانبار، اقام في بغداد مدة طويلة،

توفي بها، وهو من العلماء بالأدب والمنطق، توفي سنة (293)هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، 91/3.

(8) النواجي، حلبة الكميت، 8.

وقال النواجي مستدعيًا بعض أصحابه:<sup>1</sup>

فَأَنْهَضُ لِشُرْبِ شَمُولٍ      وَاجْمَعْ لَنَا بِكَ شَمْلًا

ويصف الشهاب الحجازي ساقِي خمره في مجلس انس فيقول:<sup>2</sup>

يَسْعَى لَنَا بِشَمُولٍ مِنْ شَمَائِلِهِ      وَبِالْخُدُودِ يُحْيِيْنَا فَيُحْيِيْنَا  
فِي رَوْضَةٍ رَقِصَتْ أَغْصَانُهَا طَرْبًا      مِنْ شَدْوِ وَرْقٍ عَنِ الْأَلْحَانِ تُغْنِيْنَا

ثالثًا - أسماؤها بأول ما ينزل منها

وقد أخذت الخمر أسماءها بأول ما ينزل منها فسميت:

- **السلاف والسلافة:** وهي الخمر التي تحلب عصيرها من غير عصر باليد ولا دوس بالرجل وهي الخالص منها، قال الأصمعي: هو أول ما يبرز منها، وقال أبو حنيفة: إذا كانت أول ما بزلت أو قدحت فهي سلاف، وقال: وإذا نعتت الزبيب أيامًا فأول ما يرفع من عصارته السلاف<sup>3</sup>

وهنا يحث ابن الخطيب داريا ساقيه أن يسقيه من السلاف متداركًا ما تبقى من حياته:<sup>4</sup>

فَمَ فَاسِقَتِي بِسُلَافِهَا مُتَدَارِكًا      رَمَقِي فِقَلْبِي بِأَلْهُمُومٍ عَلَى شَافَا

(1) النواجي، حلية الكميّ، 753.

(2) روض الآداب، 118، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 204/2.

(3) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة، 297، وينظر: ابن سيده، المخصص، 75/3.

(4) ابن إياس، الدر المكنون، 152، والأبيات غر موجودة في الديوان.

ووصف البهنسي العنب من خلال إغازه فيه، وقد ذكر من ضمن وصفه الخمر فقد يراه

الشخص سلاف كأحد استخدامات العنب فقال:<sup>1</sup>

وَتَرَاهُ يَبْدُو عُقُودَ جَمَانٍ      مَا لَهَا غَيْرُ ثَغْرِ حُبِّي مُمَائِلِ  
وَتَرَاهُ طَوْرًا سَلَاةَ رَاحٍ      وَلِدْرُ الْخُبَابِ فِيهَا حَوَائِلِ

ويقول الشهاب الحجازي في موشحه:<sup>2</sup>

لَهُ خَالٌ كَمِسِكٍ فَوْقَ جَمْرِ

وَتُغْرُ مِنْ لَمَاهُ سَلَاةُ خَمْرِ

وَحَقُّ تَجَلُّدِي وَحَيَاةَ صَبْرِي

حَقِيقًا حَارَ بَيْنَ الضَّدَيْنِ فِكْرِي

• الرحيق: وهي الرِّحَاق وشفوة الخمر، وما عتق منها<sup>3</sup>، قال البشتكي:<sup>4</sup>

حَضَرْتُ وَمَنْ أَهْوَى فَللهِ يَوْمَنَا      لَقَدْ أَطْفَأَتْ فِيهِ الرِّحِيقَ حَرِيقًا

ويقول ابن الزعيفريني الذي عفى جميع أنواع المدام إلا مدام ريق المحبوبة فهو الرحيق

لديه<sup>5</sup>:

عَفَّتِ الْمُدَامُ سِوَى مُدَامَةِ رِيقِهِ      ذَاكَ الرِّحِيقُ خِتَامَهُ مِسْكَ اللَّمَى

(1) البدرى، ابو البقاء، نزهة الانام، 138.

(2) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 206/2.

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رحق).

(4) السيوطي، جنى الجناس، 202.

(5) نفسه، 842.

## • رابعاً: الخمر الصرف والخمر الممزوجة

وسميت كذلك حسب إذا ما كانت صرفاً أو ممزوجةً فهي:

- **الصرف:** هي الخالص من كل شيء، وشراب صرف أي بحت لم يمزج، والصَّرْفِيَّة من الخمر منسوبة إليه، والصريف، الخمر الطيبة<sup>1</sup>.

ويشترط مجد الدين بن مكنس ليسكر أن يشرب الخمر صرفاً غير ممزوجة لأنه يجد في

الخمر الصرف لذته ونشوته وعند مزجها لا يجد المتعة المنشودة، فيقول:<sup>2</sup>

مِنْ شَرَطْنَا إِنْ أَسْكَرْتَنَا الطَّلَا      صِرْفًا تُدَاوِينَا بِصَرْفِ اللِّمَّا  
تَعَاَفَ مَزْجِ الكَاسِ مِنْ مَا بِنَا      لَا آخِذَ اللهُ السَّكَارَى بِمَا

ويطلب ابن أبي الوفا من ساقيه ان يحضر له خمراً صرفاً، يقول:<sup>3</sup>

قُمْ هَاتِ صِرْفًا وَمَمْزُوجًا طَلَاكَ فَقَدْ      جَلَّتْ مَعَانِيهِ بَلْ دَقَّتْ بَدَائِعُهُ  
مُدَامَةً مَنْ يَعَاظِنِي يَدًا بِيَدٍ      فِيهَا فإِنِّي عَلَى هَذَا أَبَايَعُهُ

ويطلب ابن حجة أن يحفظوا الكأس عن المزج فان جاءته صرفاً فهو لا يشرب عليها

الماء، يقول:<sup>4</sup>

صُؤِنُوا الكَاسَ عَنِ مَزْجِ      فَفِي تَغْرَهَا بَلْ الأَلْمَا  
إِنْ جُنْتُمْ بِهِ صِرْفًا      لَمْ أَشْرَبْ عَلَيْهِ المَا

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرف)، وينظر: ابن سيده، المخصص، 74/3.

(2) الديوان، 27.

(3) الشهاب الحجازي، روض الآداب، 72.

(4) الديوان، 102.

- **المشعشة:** وهي الممزوجة، وكل شيء مزج فأرق مزجه فهو مشعشع<sup>1</sup>.

يقول ابن عبد السلام المنوفي، وهو يحث شاربها أن يغتنم أوقات الشراب، وأن يشربها

مشعشة حتى يهتدي بنورها<sup>2</sup>:

بَادِرِ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ وَاعْتَنِمِ الْوَقَاتِ إِنَّ صَفَاءَ الدَّهْرِ سَاعَاتُ  
وَأَشْرِبْ عَلَى وَجْهِ مَنْ تَهْوَى مُشْعَشَعَةً بِنُورِهَا تَهْتَدِي الزُّهْرَ الْمُنِيرَاتِ

ويقول ابن أبي الوفا في وصف خمرة التي كانت في يد ساقبها<sup>3</sup>:

وَالرَّاحُ فِي يَدِ سَاقِبِهَا مُشْعَشَعَةٌ كَأَنَّ وَجَنَةَ سَاقِبِهَا بِهَا نَضَجَتْ

- **الشموس:** اسم من أسماء الخمر، ويقال لها الشموس؛ لأنها تجمع بصاحبها، ولأنها تنزو عند

المزج، أي تظهر فقاقيعها<sup>4</sup>. يصف ابن حجة إشراق خمرة يقول<sup>5</sup>:

وَكَمْ بَدَا وَشُمُوسُ الرِّاحِ مُشْرِقَةً لَوَجْهَهُ فِي دِيَاغِي الشَّهْرِ قَمَرَاتِ

ويقربها ابن مكنس بالشمس، فيحث على النظر في كاساته في مجلس أنسه ليلاحظ الرائي

أن الشمس فيها، وهذا دليل على شدة إشعاعها، يقول<sup>6</sup>:

(1) ينظر: ابن سيده، **المخصص**، 76/3-78، وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شع).

(2) ابن اياس، **الدر المكنون**، 42.

(3) النواجي، **حلبة الكميت**، 151.

(4) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شمس)، وينظر: ابن سيده، **المخصص**، 75/3.

(5) **الديوان**، 113.

(6) **الديوان**، 28.

انظُرْ لِمَجْلِسِنَا وَكَاسَاتِ بَدَتِ (منها الشَّمْسُوسُ وليسَ فيها المشرق)<sup>1</sup>

• خامساً: أسماؤها بحسب أوقات شربها

الصَّبُّوحُ: وهي الخمر التي تشرب في الصباح<sup>2</sup>.

عندما رأى عز الدين الموصللي الحمام مغنياً على الأشجار تخيلها منابر والحمام عليها تسجع بألحانها الجميلة، الأمر الذي أطرب الأغصان فمدت أذننها للاستماع لدعائها لشرب الصبوح، يقول:<sup>3</sup>

منابر الدَّوحِ فيها الورق قد صدحت      فمالت القُضْبُ لِلْأَلْحَانِ وَاسْتَمَعَتْ  
وهجها سَحَرًا مَرَّ النَّسِيمِ فَمَذَّ      هَبَّ الْقَبُولُ إِلَى طِيبِ الصُّبُوحِ دَعَتْ

ومزج البدر بن الصاحب بين ذكر الخمر ووصف الديك الذي صفق وصاح لطواف

الكأس:<sup>4</sup>

طَافَ بِكَاسِ الصُّبُوحِ نُجْلَى      فَصَفَّقَ الدِّيكُ ثُمَّ مَاحَا<sup>5</sup>

(1) كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشَّمْسُوسُ وليسَ فيها المشرق. المتبني، الديوان، 112.

(2) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة، 49، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صبح).

(3) الغزولي، مطلع البدر، 120/1.

(4) المقرئ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، 265/1.

(5) ماح: مال وتبخر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (موج)

• الغبوق: وهي الخمر التي تشرب بالعشي وقد دعيت الغبق والاعتباق والغبوق، وهو خلاف

الصباح<sup>1</sup>. يقول ابن أبي الوفا:<sup>2</sup>

يا أخوا اللّهُوِ أَلَا عِشْ وَأَنْتَعِشْ      بِرَمَانِ الصَّفْوِ فِي صَفْوِ الزَّمَانِ  
واصطَبِحْ ثُمَّ اغْتَبِقْ ثُمَّ اصطَبِحْ      لَا تَخَفْ نَلْتِ مِنْ الدَّهْرِ أَمَانِ  
عَاجِلِ اللَّذَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا      وَاعْنَمِ الْفُرْصَةَ فِي كُلِّ أَوَانِ

وتستمر مجالس إبراهيم الأنطاكي حتى الصباح، والكؤوس تدار، وحثّ بعضهم لبعض

مستمر، يقول:<sup>3</sup>

وَالْحَالُ حَالٌ وَالْبَدْرُ جَلالٌ      وَالطَّيْرُ تَلَا وَالْكَأْسُ طَفْحٌ  
مَا زِلْتِ مَسَائِي مُغْتَبِقًا      فِي الْحَضْرَةِ حَتَّى الصَّبْحِ وَضَحٌ

ويشيرها ابن مكنس في السحر على ظل الندى ففي شربها موته وحياته يقول:<sup>4</sup>

وعاطنيها عَلَى ظِلِّ الندى سَحْرًا      فَإِنْ تَرشَافَها مَوْتِي وإِحْيائي

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبق).

(2) ابن ابياس، الدر المكنون، 219، والشهاب الحجازي، روض الآداب، 128.

(3) ابن الحنبلي، درر الحبيب، 68/1.

(4) الديوان، 10.

- **الكميت:** هي الخمر الحمراء إلى الكلفة<sup>1</sup>، فإذا اشتدت حمرتها حتى تضرب إلى السواد فهي كلفاء<sup>2</sup>.

فقد رسم ابن مكناس صورة غريبة للخمر، فجعلها فرساً يركب، فهو يحث خليله أن يشرب من الخمر الكميت، يقول:<sup>3</sup>

وَلَا تَرْكَبِ النَّيْلَ الْبُهَيْمِ بَلْ ارْكَبِ مِنْ أَلِـ  
مُدَامَ كَمَيْتَا أَوْ مِنَ الصُّبْحِ أَشَقْرًا

ويرسم أبو بكر الدماميني الصورة نفسها وهو يحث نديمه إلى اللهو واحتساء الخمر، يقول:<sup>4</sup>

فَمُ بِنَا نَرْكَبُ طَرْفَ أَلِـ  
وَأَثْنِ يَا صَاحِ عَنَائِي  
لَهُمْ وَسَبَقًا لِلْمُدَامِ  
لِكُمَيْتٍ وَلِجَامِ

#### • **ألقاب أخرى**

1- **العدراء:** وأسبغ عليها الشعراء بعض صفات النساء، وتفننوا في ذلك، مثل العذرية، فقال

إبراهيم الأنطاكي:<sup>5</sup>

جَلَوْتُ عَرُوسَ الرَّاحِ فِي وَسْطِ رَاحَتِي  
فَعَايْنَتْهَا بَكَرًا خَلَوْتُ بِهَا وَخَدِي

(1) الكلفة: لون بين السواد والحمرة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلف)

(2) ينظر: ابن سيده، المخصص، 77/3، وابن منظور، لسان العرب، مادة (كمت).

(3) الديوان، 26.

(4) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني، شاعرا وناقدا، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 130.

(5) الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء، 102/5.



2- العروس: ويدعو ابن العُبي الحلبي إلى التمتع بها وزفها عروسا في الليل والضحي،

يقول:<sup>1</sup>

وَزَفَّ عَرُوسَ الرَّاحِ فِي اللَّيْلِ وَالضَّحَى      فَشَمَسَ المَحْيَا أُسْفِرَتْ عَنْ نِقَابِهَا

ويستعير زين الدين بن الخراط لسقوط الاوراق الصفراء على الخمر صورة الانسان الذي

ينقط العروس ذهباً:<sup>2</sup>

إِذَا مَا جَلَوْنَا عَرُوسَ الطَّلَا      عَلَى الغُصْنِ نَقَطَهَا بِالذَّهَبِ

وفضلها الشعراء عذراء وهي التي لم يفض ختامها<sup>3</sup>، فهذا ابن الخطيب داريا يطلب خمراً

عذراء غير ممزوجة، وإن كان ولا بدّ من مزجها فمن رضاب المغنية، يقول:<sup>4</sup>

فَعَاظِنِيهَا غَيْرَ مَمْرُوجَةٍ      عَذْرَاءَ تَجْلِي مِنْ صَدَا الأَنْفُسِ

وَإِنْ يَكُنْ لَا بُدَّ مِنْ مَرْجِهَا      فَمِنْ رُضَابِ الشَّادِنِ الأَلْعَسِ<sup>5</sup>

وخمر ابن مكنس صرف عذراء كخمر غيره، يقول:<sup>6</sup>

كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيْشًا بِصَافِيَةٍ      شَمَطَاءَ تَجْلِي عَلَى الجَلَاءِ عَذْرَاءَ

(1) ابن الحنبلي، در الحبيب، 69/1.

(2) البدرى، أبو البقاء، نزهة الأنام، 218.

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عذر).

(4) الديوان، 168

(5) اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لعس)

(6) الديوان، 75.

3- ابنة الكرم: ومن الألقاب التي أطلقت عليها ابنة الكرم، وقد عبّر ابن الأدمي عن عشقه

لخمره بتكنيتهابنت الكرم، فهذا العشق لم يكن وليد اللحظة بل كان منذ زمن بعيد يصعب

عليه إحصاؤه:<sup>1</sup>

بِنْتُ كَرْمٍ عَشِقُوهَا زَمَانًا      طَالَ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَحْصِ بِالْعَدِّ

ويتمتع علي بن محمد البهرمسي بشربها في العسق وعند الفجر، يقول:<sup>2</sup>

تَمْتَعُ بِبِنْتِ الْكَرْمِ فِي عَسَقِ الدَّجَى      وَلَا تَنْسَ عِنْدَ الْفَجْرِ رَشْفَ رُضَابِهَا

### • ثالثاً: لون الخمر

يعد البصر من أهم الحواس في إدراك الطبيعة وجمالها، وفي تحديد ملامح الدقة واستقصاء تفاصيل المشاهد، ورسم الجزئيات، وقد أطلق الشعراء العنان لشاعريتهم في تصوير ورسم ما يرون ما زججوا هذا العمل بأحاسيسهم وعواطفهم مستعينين بالألوان المختلفة حتى تخرج الصورة كاملة الملامح، وقد جاء الشعراء بصور جميلة أبرزوا خلالها أهمية اللون في رسم صورهم الخمرية، فتعددت ألوان الخمر لديهم، وتحدثوا عن ألوانها بإسهاب، فلا تكاد تخلو قصيدة خمرية من وصف لون الخمر.

فدلالات الألوان في العربية عميقة الجذور، واکتبت الحضارة العربية منذ بدايتها في بيئتها المختلفة، فتمثلت الألوان في الشعر العربي منذ القدم رغم افتقار الصحراء العربية للألوان، فرما

(1) الغزولي، مطالع البدور، 1/173.

(2) الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء، 5/102.

كان ذلك تعويضًا عن جذب الواقع وجفاف الصحراء<sup>1</sup>. فاستدلّ العربي بفكره عن طريق اللاوعي برمزية الألوان، وبما سمعه من المجتمع المحيط به، وربط بين الأشياء المحيطة به والقوى الخفية، وقد غيرت الألوان عادات الشعوب وتقاليدهم، وتطور مفهوم اللون عندهم، وأصبح جزءا من التراث، فربطوا بينه وبين الحياة ومتعلقاتها، فقد ربطوا بين اللون والخرافة، واللون والدين، واللون والتقاليد<sup>2</sup>. والإنسان العادي ينظر إلى الشعر وإلى الألوان نظرة عادية، أما الشاعر، فينظر إلى الألوان ليس إلى الدلالة الظاهرة منها، بل يحاول أن يغوص في أعماقها، ويبحث عن مكوناتها، لأنه لا يهتم كالإنسان العادي بكلّ ما هو سطحي<sup>3</sup>.

وتتعدد ألوان الخمر بتنوع ألوان الثمار المصنوعة منها، ووفق الطريقة التي صنعت بها، وقد صنفها ابن المعتز فقال: "الألوان الصحاح أربعة: الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، منها اثنان يغيرها المزاج، واثنان لا يعمل فيهما المزاج، فأما ما لا يعمل فيه المزاج فالأسود والأبيض، وأما ما يعمل فيه المزاج فالأحمر إن أكثرت مزاجه صار أصفر، والأصفر إن أكثر مزاجه صار أبيض"<sup>4</sup> ومن هنا فقد ارتأيت أن أصنفها وفق الألوان التي لونت بها.

## • اللون الأحمر

كان للون الأحمر انتشارٌ واضحٌ في الرقعة اللونية عند شعراء الخمر في العصر المملوكي الثاني، فما أن يحتسي الشاعر كأس الخمر الحمراء حتى يهمل فرحًا منتشياً متلذذًا بما شرب

(1) ينظر: خليفة، عبد الكريم، الألوان في معجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 9، 33-13.

(2) ينظر: عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، 161.

(3) ينظر: هيغل، فكرة الجمال، 3.

(4) ابن المعتز، فصول التماثيل في تباشير السرور، 86.

"فالشراب الأحمر الصافي النير إذا كان متوسطاً في منظره فهو أيضاً متوسط في قوته... وهو طيب الرائحة عطري"<sup>1</sup>.

"وتدعى الخمر الحمراء لحرمتها (الجريال) وهو صبغ أحمر، وتسمى المدماة لما تقدم من محاكاتها لون الدم، فإذا كانت حرمتها إلى الكلفة سميت "الكميت" وإذا اشتدت حرمتها حتى تضرب إلى السواد فهي "الكلفاء" وإذا قنأت حرمتها فهي "الأرجوانية"، وإذا رقت قليلاً فكانت لون الورد الأحمر فهي "وردة"، وإذا رقت كثيراً ولم ترد إلا يسيراً فهي "صهباء"<sup>2</sup>.  
ويصف شهاب الدين الحجازي مليحاً رآه في مجلسه وقد استمدت خدوده حمارها من احمرار الخمر التي يشربها، وليؤكد الشاعر على قوله فقد استمد معنى هذا البيت من المتنبى، يقول<sup>3</sup>:

رَأَيْتُ بِمَجْلِسِ رَشٍّ مَلِيحاً      وَحُمْرَةَ خَدِّهِ مِنْ خَمْرٍ فِيهِ  
فَمَالَتْ شَمْعَةٌ لِلْخَدِّ مِنْهُ      (وشبه الشيء مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ)<sup>4</sup>

وتذكّر حمرة الخمر ابن مكناس بالورد فيقول<sup>5</sup>:

لَنَا مِنَ الرَّاحِ وَرْدٌ      وَفِي الْخُدُودِ وَرُودٌ

(1) ابن المعتز، فصول التماثيل في تباشير السرور، 87.

(2) الصوص، جلنار، الخمرة في العصر الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 33.

(3) النواجي، مراتع الغزلان، 72.

(4) وشبه الشيء منجذب إليه وأشبهنا بدنينا الطغام. الديوان، 125.

(5) الديوان، 21.

أما النواجي فخمرة تعصر من خد ساقيته وتستمد حمرتها ولونها الوردية منه فهي تدير

بلحظها كأس مدامه، يقول: <sup>1</sup>

وَنَشْوَانَةُ الْأَعْطَافِ إِنْ مَالَ قَدَّهَا      فَفِي ثَغْرَهَا كَأْسٌ مِنَ الرَّيِّقِ مُسَكَّرٌ  
أَدَارَتْ بِكَأْسِ اللَّحْظِ كَأْسَ مُدَامَةٍ      سُلِّفَتْهَا مِنْ وَرْدِ الْخَدِّ تُعْصَرُ

ويخيل لابن حجة أن كأس مدامه مشعور؛ لأنَّ خمرة حمراء، وخذ محبوبته أحمر، فالتبس

عليه الأمر وهو يشرب، يقول: <sup>2</sup>

وَحُمْرَةُ الْخَدِّ أَبَدَتْ خَيْطَ عَارِضَةٍ      فَخَلَّتْ كَأْسَ مُدَامٍ وَهُوَ مَشْعُورٌ

وابن مكنس عندما شرب الخمرة الحمراء، استلذَّ بها، وتناول كؤوساً أخرى من خمرة كميت

اللون، وفضلها على الحرب ومجارات الفرسان، يقول على لسان إعرابية: <sup>3</sup>

تَقُولُ لِحَظِي مِنْ بَيْتِي سَاسَانَ      يُنْبِيئُكَ عَنْ مَقَاتِلِ الْفُرْسَانَ  
خَالَهُ بِهِ فِي مَوْقِفِ الطَّعَانِ      وَإِنْ ذَكَرْتَ الْخَيْلَ فِي الْمَيْدَانِ

فَأَشْرَبَ كَمَيْتًا وَأَعَلَ فَوْقَ نَهْدِ

(1) تأهيل الغريب، 525.

(2) النبهاني، المجموعة النبهانية، 221/2.

(3) الديوان، 74.

ويرسم مجد الدين بن مكنس صورة للخمر، فهي عدو له، يطالب بصاحبها وسكب ما فيها، فهو يشير إلى الخمر الحمراء الموجودة داخل الزق بالدم المنسكب منها، وبهذا تكون قد أخذت جزاءها للعبها بالعقول ، يقول:<sup>1</sup>

فَمُ وَأَصْلِبِ الرَّأُوقَ وَاشْفِ قَلْبِي مِنْهُ وَبَلِّغْنِي بِذَلِكَ سُؤْلِي  
وَاسْفِكْ دَمَ الزَّقِّ وَنَادِي هَذَا جَزَاءَ مَنْ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ

وينهل كل شاعر من خمرته، ويعلّ منها، فينتشي ويتغنى بوصفها؛ لأنها سبب نشوته وسروره، فقال بعضهم واصفاً أثر الخمر الحمراء التي شربها وندماؤه ليلاً وما لها من لذة:<sup>2</sup>

يَدِيرُ مَنْ يَدِهِ خَمْرًا وَمِنْ فَمِهِ شَهْدًا بِهِ لِنُفُوسِ الْقَوْمِ لَذَاتُ  
فَظَلَّ صَحْبِي عَلَى خَيْرٍ وَبِتَّ بِهِ ثُمَّ اصْطَبَحْنَا فَظَلُّوا مِثْلَمَا بَاتُوا

ويقول بدر الدين الزيتوني يصف خمرته الحمراء:<sup>3</sup>

خَمْرَةٌ شَرِبْتُ بِقَدِيمِهَا زَالَ الْبَاسُ  
حَمْرًا بِيَاضُ سَنَاهَا نَوَّرَ الْأَعْلَاسُ

أما ابن عبد السلام المنوفي فيتغنى بخمرته الحمراء الصافية ويطلب من ساقبها أن ينثرها من قم الإبريق صافية حمراء، فهذه الخمر هي خمر مقدسة قد سلّمت من جميع ما يضرها أو يمسها بسوء، يقول:<sup>4</sup>

(1) النواجي، حيلة الكميت، 174، والأبيات غير موجودة في الديوان.

(2) نفسه، 130.

(3) ابن إياس، الدر المكنون، 53.

(4) نفسه ، 42.

وَأَنْثَرَهَا مِنْ فَمِ الْإِبْرِيْقِ صَافِيَةً      حَمْرَاءَ قَدْ حُجِبَتْ عَنْهَا الْمَسَائِتُ

وإن كان الشعراء قد صرحوا بذكر لون خمرتهم مباشرة تارةً ، فهم جاؤوا بما يشابه لونها تارةً

أخرى، يقول ابن حجة:<sup>1</sup>

خَلَّتْ كَأْسَ الرَّاحِ لَمَّا أَنْ بَدَا      حُبِّبَ مِنْ فَوْقِهِ قَدْ كَأَلَهُ  
مَعْصَمٌ قَدْ خَضَبَتْهُ غَادَةٌ      وَمِنَ الدَّرِّ عَلَيْهِ سِلْسِلَةٌ

فالشاعر يحاول نقل مشهد أعجبه للسامع، فأظهر دهشته وحيرته مما رأى فأخذ يستدعي

الألوان ويبرزها حتى تظهر تفاصيل الصورة، فخال الحبيب الذي ظهر على الكأس معصماً قد خضب بصبغ أحمر، وزاده ترصيع بالدّرّ والسلسلة.

ورؤية النيلوفر<sup>2</sup> يثير في نفس الشاعر الرغبة بشرب الخمر، فيطيب له الشراب مبتهجاً

بالوان الأزهار، فابن خَلُوف يجمع النيلوفر والخمر في صورة واحدة ، فيشبه النيلوفر في لونه الأحمر، وقد نما على حواف الغدران ببقايا الخمر الأحمر في الكؤوس، يقول:<sup>3</sup>

وَنَيْلُوفَرٍ شَبَّهَتْهُ فِي غَدِيرِهِ      بَقَايَا سُلَافٍ فِي كُؤُوسِ زُجَاجٍ

ولما كان لون الدم من أقوى الألوان في التعبير عن اللون الأحمر، فقد استعار ابن مكناس

الدم ليُلَوِّنَ به لوحته الخمرية، فقال:<sup>1</sup>

(1) الديوان، 116.

(2) النيلوفر: من محاسن الشام، وهو أصفر وأزرق وبنفسجي وأحمر، ينبت في مستنقعات الماء العذبة وهو يوجه وجه الشمس إذا طلع، ويزداد تفتح بزيادة علوها، فإذا غابت أكمل انضمامه وغطس في الماء. ينظر: البدري، نزهة الأنام، 103.

(3) نفسه، 106.

إِذَا ضَرَجَتْهَا الرِّيحُ تَحْتَ حَبَابِهَا      تَخَالُ بِهَا فِي النَّاسِ سَيْفًا مُجَوَّهَرًا  
وَبُرْهَانَهُ دَبَّحَ الْهُمُومَ، أَلَمْ يَكُن      عَلَى جَانِبِهَا ذَلِكَ الدَّمُّ أَحْمَرًا

فسطح الخمر الممزوجة إذا داعبه النسيم وماج في الكأس، بدا كسيف مرصع بالجواهر، وليؤكد على حمرة الخمر فقد جعلها الغائرة على الهموم وبشرىها كان الدليل القضاء على الهموم بنزول الدم منه.

### • اللون الأصفر

بتعدد ألوان الخمرة اختلفت أذواق الشعوب في تفضيل أحد هذه الألوان على الألوان الأخرى، يقول ابن المعتز: "فأما الفرس فهم شركاء الروم في معرفة فضائل الشراب إلا أنهم يختارون منه الأصفر؛ لذكاء رائحته ولذّة طعمه، ولأنّ فيه ضرباً من حركة النار ولونها... والعرب تمثله في أشعارها بثلاثة أشياء: بتوقد الكواكب، وبصفرة الذهب، وبتضرم اللهب"<sup>2</sup>.

فاللون الأصفر أحد الألوان الساخنة، ويمثل قمة التوهج والإشراق، ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس، ومصدر الضوء، ومصدر الحرارة، والحياة، والنشاط، والغبطة والسرور.<sup>3</sup>

لذلك أسهب الشعراء في وصف الخمر الصفراء، فبريشة الفنان يرسم ابن مليك الحموي صورة للطبيعة، ويشبه زهر اللوز والندى يكلله بثغر باسم عن أسنان فيها رقة وعذوبة، أو كأس من فضة مملوءة ذهباً، والذهب هنا الخمر الأصفر، ومزينة بعقود الدر والحب، يقول:<sup>1</sup>

(1) الديوان، 27.

(2) ابن المعتز، فصول التماثيل في تباشير السرور، 68.

(3) ينظر: شكري، عبد الوهاب، الإضاءة المسرحية، 76.



كَأَنَّ زَهْرَ الرِّبَا وَالطَّلَّ بَلَّاهُ      تَغَرَّرَ بِدَا بَاسِمًا يُفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ  
أَوْلَا فَكَأْسُ لُجَيْنٍ مَلُوءُهُ ذَهَبٌ      مُكَلَّلٌ مِنْ عُقُودِ الدَّرِّ بِالْحَبَبِ

وألوان الخمرة عند بن أبي الوفا لها لمعان وبريق كشفت عن دلالات فنية وافصحت عن نوايا الشاعر، فقد كوّن صورةً متكاملةً عن لون الخمرة، فجمع بين اللونين الأحمر والأصفر، اللذين يعدان من أشد الألوان إغراءً وجمالاً، فالشاعر يريد بخمرته السمو والرفعة بسائر أشكالها لأنه مهتم بمنزلة خمرته الجمالية، يقول:<sup>2</sup>

فَمَ هَاتِ صِرْفًا وَمَمْرُوجًا طَلَاكَ فَقَدْ      حَلَّتْ مَعَانِيَهُ بَلُّ دَقَّتْ بِدَائِعِهِ  
أَذْكَى الْكُؤُوسِ وَقَدْ جَالَ الْخُبَابُ بِهَا      فَأَحْمَرَّ قَانِيَهُ وَأَصْفَرَّتْ فَوَاقِعُهُ

ويقرن ابن مكناس حمرة الخمرة بالخلق<sup>3</sup>، وصفرتها عقب المزج بالعصفر، يقول:<sup>4</sup>

لِذَلِكَ بَدَتْ تَرَهُو بِوَجْهِهِ مُخْلَقٌ      وَجَلَّهَا ثَوْبُ النَّعِيمِ مُعْصَفَرًا

وفي مشهد تصويري استغرق بدر الدين بن الصاحب في تفاصيله، ليصل إلى عنصر اللون، فهو يعاتب من يطيل حبس الكأس في يده، ويطلب منه أن يغتنم فرصة مزجها، فطول فترة حبسها أورثتها اللون الأصفر، يقول:<sup>5</sup>

(1) البدرى، ابو البقاء، نزهة الأنام، 145.

(2) الشهاب الحجازي، روض الآداب، 72.

(3) الخلق: هو صبغ أحمر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلق)

(4) الديوان، 27.

(5) ابن حجة، كشف اللثام، 40.

يَا حَاسِبِ الْكَأْسِ لَا تَزْدَهَا      مِنْ بَعْدِ حَبْسِ الدُّنَانِ حَسْرَه  
وَاعْنَمِ مَزَاجًا لَهَا لَطِيفًا      أَوْرَثَهُ الْإِنْتِظَارُ صُفْرَه

وفي صورة جميلة لا يدرك جمالها إلا البصر، يسخر ابن العفيف مظاهر الحياة المترفة من زخرفة وزينة في إظهار صفرة خمرته، فهو يشبهها بالثوب المذهب الذي يكسو به أكف قومه، يقول:<sup>1</sup>

أَدُورُ لِتَقْبِيلِ الثَّنَائِيَا وَلَمْ أَزَلْ      أَجُودُ بِرُوحِي لِلنَّدَامَى وَأَنْفَاسِي  
وَأَكْسُوا أَكْفَ الْقَوْمِ ثَوْبًا مُذْهَبًا      فَمِنْ أَجْلِ هَذَا لَقَّبُونِي بِالْكَاسِ

ويشبهه عز الدين الموصلی خمرته بالذهب فهي التي حلت بالكأس، يقول:<sup>2</sup>

لَئِنْ شَبَّهَ السَّاقِي الْمُدَامَ بِعَسْجِدٍ      فَقَدْ مَالَ بِالتَّشْبِيهِ عَنِ صِنْعَةِ الْأَدَبِ  
وَلَكِنْ رَأَاهَا جَوْهَرًا سَمِيَتْ طَلَا      فَمَوْهَ لَمَّا حَلَّتِ الْكَأْسُ بِالذَّهَبِ

أما ابن أبي الوفا فيعاتب صانع كأس الخمرة، فهو يفضل أن تكون كأس خمرته خالية من

الزخارف والزينة والرسوم والنقوش، حتى يتمتع بلمعان خمرته الصفراء عندما تصب فيها يقول:<sup>3</sup>

يَا صَانِعَ الْكَأْسِ مُبَيِّضًا بِغَيْرِ طَلَى      تَفِيضُ كَاسِكَ زِينَةً بِتَذْهِيبِ  
فَالْكَاسُ مِنْ فِضَّةٍ بِالرَّاحِ قَائِمَةٌ      وَالرَّاحُ مِنْ ذَهَبٍ بِالْكَاسِ مَسْكُوبِ

(1) النواجي، حلبة الكميته، 168.

(2) الغزولي، مطالع البدور، 163/1

(3) النواجي، حلبة الكميته، 168.

ولما كانت العلاقة وثيقة بين نوارنية الخمرة وألوانها المتلاثلة من ناحية، وما تتسم به من شفافية مرهفة من ناحية أخرى، فقد ظهر الخمر الأبيض كلون جديد، وقد ظهر ذلك في كثير من أشعارهم حيث استمد الشاعر ذلك من صفاتها ورقتها، فهذا البرهان البهنسي يصف ألوان خمرة فهي بيضاء وحمراء تشعه بالفرح إذا شربها، راحت تسري في مفاصله، يقول:<sup>1</sup>

نَو بِيَّاضٍ وَخُمْرَةٍ وَكَذَا لِي      فَرَحًا مِنْ رَاحٍ سَرَتْ فِي الْمَفَاصِلِ

وفي لوحة تزخر بالألوان، يمازج علي بن أبيك الدمشقي بين لون الخمرة الفضي ولون الخريف الذهبي، ويدعو لاستجلائها في هذا الفصل، يقول:<sup>2</sup>

لَا تَخْشَ يَا مَحْبُوبٌ مَا فَاقَتِي      فَعَنْ قَرِيبٍ ذَهَبِي يَأْتِي  
فَاذْهَبْ لِفَضِيَّاتِ ذَا بِالْطَّلَا      وَأَسْتَجْلِهَا فِي الذَّهَبِيَّاتِ

#### • رابعًا: إشعاع الخمرة

إن شعراء العصر المملوكي الثاني الذين أولعوا بالخمر، فسكروا بطعمها وطيبها وسحروا بإشراقها، فشبهاوا إشراقها وإشعاعها كأسلافهم بكل مصدر نور، فخمرتهم تتجاوز في نورها النور العادي فلا يسع العين أمام لمعانها إلا أن تنبهر، يقول ابن عبد السلام المنوفي:<sup>3</sup>

وَأَشْرَبَ عَلَى وَجْهِ مَنْ تَهَوَّى مُشْعَشَعَةً      بِنُورِهَا تَهْتَدِي الزُّهْرُ الْمُنِيرَاتِ  
رَاحٌ تَرِيكَ مِنَ الْأَقْدَاحِ سَاطِنَةً      لَهَا عَلَى الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ غَارَاتُ  
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ نُورًا وَالْمَدِيرُ لَهَا      بَذْرُ الدُّجْنَةِ وَالْأَقْدَاحُ هَالَاتُ

(1) البدرى، أبو البقاء، نزهة الأنام، 138.

(2) نفسه، 219.

(3) ابن إياس، الدر المكنون، 42.

صَفَتْ فَقُلْتُ صَاحُ الدِّينِ شَارِبُهَا

أَخْلَاقُهُ فَصَفْتُ مِنْهَا الرُّجَاجَاتِ

وهي عند ابن مكناس كالمصباح تشرق في الكأس بنورها، حتى رأى أن كأسه يغني عن

المصباح لقوة إشعاعه بما يحتوي، يقول:<sup>1</sup>

وَعَجَّ عَلَى شُبْرًا مَحَلَّ الرَّاحِ      وَاعْجَبُ مِنَ الْعُبُوقِ كَالصَّبَاحِ

إِذْ كَأْسُهَا يُغْنِي عَنِ الْمِصْبَاحِ      وَاعْقِدْ لِبَنَاتِ الْكُرْمِ وَالْأَفْرَاحِ

عَلَى نُمَيْرِ النَّيْلِ أَهْنَى عَقْدِ

ونار تتوقد ويشع لهيبتها، وتتأجج في كأس أبي الفضل بن أبي الوفاء، فيجعلها رمزاً من

رموز تذكير الحبيب به، فهي في كأسه نيران، يقول:<sup>2</sup>

نَكَرَاهُ صَفُوَ أَيَّامٍ مَضَتْ      حَيْثُ صَفَتْ صَبِغَ اللَّهْوِ دَنَانِ

حَيْثُ نَجْمَ الزَّهْرِ فِي أَفْقِ الرَّبِيِّ      وَالظُّلَا وَالْكَأْسِ فِيهِ نَيْرَانِ

وكذلك فعل ابن مكناس عندما نظر إلى خمر صديقه، فهي نار قد شبت في الأقداح،

يقول:<sup>3</sup>

يَا أَبَا الْأَسْوَدِ عِلْمَا      شَبَّ فِي الْأَقْدَاحِ نَارُكَ

وتحدث الشعراء قديماً عن إشعاع الخمر، فشبوه بمصادر الضوء كالشمس والبرق والنجوم

والكواكب، لكن الأعشى شبه شعاع الخمر وإشراقها بشعاع قرن الشمس، لأن الشمس عندما يسطع

(1) الديوان، 70.

(2) الشهاب الحجازي، روض الآداب، 230.

(3) الديوان، 28.

نورها يميل شعاعها إلى الأبيض وهذا لا يتفق مع واقع الخمر في كأسها، أما عندما تكون قرناً في الصباح أو المساء عند الشروق أو عند الغروب، فشعاعها يغدو مشوباً بالإصفرار، وبشتى الألوان الزاهية الشبيهة بالألوان المتوهجة في هالة حول الخمر<sup>1</sup>، فقال:<sup>2</sup>

كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا      إِذَا مَا فُتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامِ

وقد سار الشعراء في تشبيهه بريق الخمر وإشعاعها بما سار عليه الأعشى ، فبدر الدين

البشتكي يقول:<sup>3</sup>

وَحَمَارٌ هَدِينَا فِي الدِّيَاجِي      بِجَذْوَةٍ، كَأْسُهُ وَسَنَى النَّدِيمِ  
سَأَلْنَا مِنْهُ عَنْ خَمْرِ حَدِيثِنَا      فَأَخْبَرَنَا عَنِ الْعَصْرِ الْقَدِيمِ

فالبشتكي يشبه خمرته بالجذوة، ، فجعل إشعاع الخمرة يتحول إلى نار بل إلى جذوة

موجودة في كأس الخمر فهدهم إلى مقصدهم ووجهتهم ولكن هذا المعنى طرقة الأخطل قديما حيث شبه شعاع خمرته بالجذوة التي تتأكل فقال:<sup>4</sup>

فَصَبَّوْا عُقَارًا فِي إِنْءٍ، كَأْنَهَا      إِذَا لِمَحْوَهَا جَذْوَةٌ تَتَأْكُلُ

ويزداد بريق الخمرة واشراقها لتصبح قابساً من نار، حوت معاني السرور والسعد جميعها،

فأثرها يفوق الوصف، يقول ابن مكناس:<sup>5</sup>

مُدَامَ حَوْتِ مَعْنَى السُّرُورِ وَأَفْرَطَتْ      فَمِنْهَا سَرَى فِيهَا السُّرُورِ وَأَثْرَا  
لِذَلِكَ غَدَتْ تَرْهُو بِوَجْهِهِ مُخْلَقِي      وَجَلَّلَهَا ثُوبُ النَّعِيمِ مُعْصَفَرَا

(1) ينظر: حاوي، ايليا، فن الشعر الخمرى، 57.

(2) الديوان، 233.

(3) الغزولي، مطالع البدر، 163.

(4) الزوزني، شرح المعلقات العشر، 35.

(5) الديوان، 27.

وَقَابِسَ مِنْهَا نَارَ أَنْسٍ وَعَجَّ بِهَا      وَلَايِكَ مِنْهَا خَطَّ سَعْدِكَ لَنْ تُرَا

وفي لوحة فنية يصور ابن الخطيب داريا كأس الشراب في لونه ولمعانه بشمس الضحى وساقيه بالبدر عندما يبدوان على الندماء لشدة إشعاعها، ففي هذه الكأس ما يشفي هموم الشاعر، ويبقي على حياته، يقول:<sup>1</sup>

قَمِّ فَاسِقَتِي كَاسَاتِهَا مُتَدَارِكًا      رَمَقِي فَقَلْبِي بِأَلْهُمُومِ عَالِي شَفَا  
يَبْدُو بِهَا فَتَخَالُهُ شَمْسُ الضَّحَى      قَدْ صَاحِبَتِ بَدْرًا أَوْ عُصْنًا أَهِيْفَا

وفي صورة أخرى ساحرة الوصف، أبرز فيها ابن زقاعة مشهد تشعشع خمرته وإشراقها، فمزج بين اللون والحركة فيه، ليجرز لون الخمرة وشعاعها من النار واستعارها، ويبرز عنصر الحركة في تشبيهه إشراقها برمي الشرر في الدجى، يقول:<sup>2</sup>

وَحَمْرٌ لَاحَ مِنْ حَبْرُونَ وَهَنَا      كَمَثَلِ النَّارِ تَسْتَعْرِ اسْتِعَارَا  
كَأَنَّ زِنَادَهُ مِفْدَاحَ نَارٍ      فَفِي وَجْهِ الدَّجَى يَزْمِي شَرَارَا

فحار فيه وأصبح لا يدري، إن كان هذا خمرًا أم هو النهار، يقول:<sup>3</sup>

أَرَى عَقْلِي وَلَبِّي فِيهِ حَارَا      فَأَضْرَمَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ نَارَا  
وخلّاني أبيت اللئيل ملقى      على العتبات أحسبته نهارا

وبدت عند النواجي كالشمس في يد ساقها وهو كالبدر، وقد عبّر عن هذه الصورة من ثقافته الدينية التي استطاع أن يطوعها ويستخدمها بفنية، خير استخدام، عند مقارنته بين ضوء الخمر "الشمس" وجمال الساقى "البدر" فهي بسطوعها لا ينبغي لها أن تدرك القمر، وهنا يظهر

(1) ابن إياس، الدر المكنون، 152.

(2) الديوان، 102.

(3) نفسه، 99.

تأثره بقوله تعالى : " لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"<sup>1</sup>، يقول:<sup>2</sup>

سَاقٍ كَبَدْرٍ دَجَا يَسْعَى بِشَمْسٍ ضُحَى      بَيْنَ النَّدَامَى يَفُوقُ الْعُصْنَ إِنْ ظَهَرَ  
فَأَعْجَبَ لِشَمْسٍ أَضَاعَتْ فِي يَدَيِ قَمَرٍ      وَالشَّمْسُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ

وهي عند ابن حجة الحموي شمس أيضاً، أبهجتة في جُنْحِ اللَّيْلِ، يقول:<sup>3</sup>

أَرْشَفَنِي مِنْ رَيْقِهِ مُبْتَسِمًا      فَهَمَّتْ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَالنَّقَا  
وَيَعْدُ ذَا حَيًّا بِشَمْسٍ رَاحَةً      أَبْهَى فِي حُنْجٍ لَيْلٍ وَسَقَا

وبدت أشعتها كما يقول ابن أبي الوفا عندما نظر إليها في يد ساقها كالنار القوية التي

أضاعت من وجنته، يقول:<sup>4</sup>

وَالرَّاحُ فِي يَدِ سَاقِيهَا مُشْعَشَعَةٌ      كَأَنَّ وَجَنَةَ سَاقِيهَا بِهَا نَضَحَتْ  
سَاقٍ إِذَا اغْتَبَقَتْ نَدْمَانَ قَهْوَتِهِ      أَضَاءَ مُبْتَسِمَهُ كَالصُّبْحِ فَاصْطَبَحَتْ

(1) يس، آية 40.

(2) النواجي، حلية الكميّ، 147.

(3) الديوان، 105.

(4) النواجي، حلية الكميّ، 151.

ويرسم إبراهيم الأنطاكي صورة رائعة للخمرة في توهجها، فقد شبه إشعاعها بالكأس وكأن

زناد الخمرة فيه قدح، يقول: <sup>1</sup>

بَاكِرِ يَا صَاحِ لِرِشْفِ قَدَحٍ      فَرِنَادِ الْخُمْرَةِ فِيهِ قَدَحٍ

ويصورها ابن الخطيب داريا بالنور الذي يصب في الكؤوس، ونورانيتها استمدتها من عيون

ساقياها، يقول: <sup>2</sup>

رَاحَ يَسْقِي فَصَبَّ فِي الْكَأْسِ نُورًا      ثِقَّةٌ مِنْهُ بِالذِّي فِي الْعُيُونِ

وقد يزداد بريق الخمرة وإشراقها، حتى يفوق إشراق الشمس في نظر الشعراء، فابن مكناس

يتهم من قال عن الخمرة هي الشمس في إشراقها بالجهل فلم يعلموا أنها شعاع الشمس ولكنه

معقود، يقول: <sup>3</sup>

قَالُوا هِيَ الشَّمْسُ إِشْرَاقًا وَقَدْ جَهَلُوا      مَا تِلْكَ إِلَّا شُعَاعُ الشَّمْسِ مَعْقُودًا

ويغالي ابن العطار في إشعاع خمرته وإشراقها فهي من شدة إشراقها تريحهم الصبح في العتمة، فهي

من أولها إلى آخرها نور ففي أولها شمس، وفي آخرها بدر، وقد عبّر عن ذلك في قوله: <sup>4</sup>

وَكَأْسُ تَرِينَا آيَةَ الصُّبْحِ فِي الدُّجَا      فَأَوْلَهَا شَمْسٌ وَآخِرَهَا بَدْرٌ

مُقَطَّبَةٌ مَا لَمْ يَزِرْهَا مَرَاجَهَا      فَإِنْ زَارَهَا جَاءَ التَّبَسُّمُ وَالْبَشْرُ

فِيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ لَمْ تَحَلْ مُهْجَةً      مِنْ الْعِشْقِ حَتَّى الْمَاءِ يَعْشَقُهُ الْخَمْرُ

(1) ابن الحنبلي، در الحبيب، 68/1.

(2) الديوان، 49.

(3) الديوان، 72.

(4) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 407/2.



ويقول عبد الكريم الجيلي:<sup>1</sup>

سُلَّافٌ تُرِيكُ الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ      وتبدي السُّهَادَ وَالصُّبْحَ بِالضُّخُو مُفْحَم

ويصف ابن زقاعة كأس خمرته عندما سكبت له، فيقول:<sup>2</sup>

وَأَبْيَضُ نُورُ السَّمَا مِنْ نُورِ طَلْعَتِهَا      وَصَارَ فِيهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ

فقد صور الخمرة في الكأس بمجرةٍ مضيئةٍ ابيضّ لون السماء من طلعتها، والحبب المتطاير منها بالشهب التي ترمي الشياطين ويظهر هنا تأثره بالقرآن الكريم في قوله تعالى "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين"<sup>3</sup>، فتصويره لها، هو تشكيل فنيّ توصل إليه بعد استيقائه دقائق الخمرة فهو يجد فيها كونًا مقدسًا، وقداستها هي قداسة فنية أكثر منها فكرية.

#### • خامسًا: رائحة الخمرة

استهوت رائحة الخمرة الشعراء، فصوروا روائحها الطيبة التي تنتشر في الأرجاء، وذكروا قوة هذه الرائحة، وعلى ما لها من طاقة على التعلق بالمكان الذي تكون فيه، فرائحتها ليست مجرد رائحة عابرة، وإنما هي رائحة باقية، ما يعني بقاء المجال الطيب الناتج عنها، كما أنهم وصفوا أثرها في نفوسهم ومشاعرهم، فرسموا لها صورًا جميلةً، جعلت قارئ أشعارهم يشتم ريحها، يقول ابن زقاعة:<sup>4</sup>

وبريح الشَّرَابِ رُوجِي تَحِيَا      إن ترقّت بسورة النَّازِعَاتِ

(1) الجيلي، الإنسان الكامل، 7/1.

(2) الديوان، 109.

(3) الملك، آية 5

(4) الديوان، 31.

وفي قصيدة أخرى يسكر من ريحها دون أن يشربها، يقول:<sup>1</sup>

قَعَّتْ بَرِيحَهَا مِنْ غَيْرِ شُرْبٍ      وَلَمْ أَشْرَبْ وَلَكِنْ قَدْ بَدَأَ لِي

ورائحة الخمرة فواحة، تعبق الكون وتعطره، ما أن يملكها الشاعر، فشذاها يطيب له، يقول

ابن أبي الوفا:<sup>2</sup>

تُعَطَّرُ الْكُونُ لَمَّا إِنْ أَلَمَّ بِهَا      مِنْ شَذْوِهَا وَشَذَاهَا أَيَّ تَطْيِيبٍ

ورائحة الخمر تغري ابن الخطيب داريا، وتدفعه إلى دعوة أصحابه لشربها، فريحها كريح

الورد والنرجس، يقول:<sup>3</sup>

هَاتِ اسْقِنِي الصَّهْبَاءَ يَا مُؤْنِسِي      قَدْ فَاحَ نَشْرُ الْوَرْدِ وَالنَّرْجِسِ

أما الشاعر ابن مدلج فيستعير لون الورد، وطعمه، ورائحته العبقية، ويمنحها الخمر، والتمتع

بالورد لا يخلو إلا بحضور الخمر والعكس صحيح، وقد عبّر الشاعر عن هذه الصورة من خلال

إبداء إعجابه بالطبيعة وتوحدته معها ويتكامل هذا الفرح بحضور أسبابه ومنها شرب الخمر<sup>4</sup>،

يقول:<sup>5</sup>

هَذَا أَوَّانُ الْوَرْدِ فَاشْتَرَبْتُ قَهْوَةَ      قَدْ شَاكَلْتَهُ فَلَوْنُهَا مِنْ لَوْنِهِ

وَمَذَاقُهَا مِنْ طَعْمِهِ وَأَرِيحُهَا      مِنْ نَشْرِهِ وَكَأَنَّهَا مِنْ كَوْنِهِ

(1) الديوان، 164.

(2) ابن عباس، الدر المكنون، 22.

(3) الديوان، 168.

(4) ينظر: خليل، حسين، شعر الطبيعة في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 98.

(5) البقاعي، عنوان الزمان، 97/2.

وكتب أحد الشعراء إلى أبي البقاء البدرى يصف له كأس خمر، ويصف له رائحتها فهي

تشبه رائحة المسك، يقول:<sup>1</sup>

وُدُونُكَ يَا سَيِّدِي خَمْرَةً      يُذَكِّرُكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسُهَا

وشبه بعضهم ريحها بريح الخزامي والأفاح، فقال:<sup>2</sup>

يَدِيرُ مُدَامَةً صَفْرَاءَ صِرْفًا      لَهَا أَرْجُ الْخَزَامِيِّ وَالْأَفَاحِ

مُشَعَّشَعَّةً تَكَادُ مِنَ الْقَتَانِي      تَطِيرُ بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الْقِدَاحِ

ويراها ابن مكنس قد تفوقت على المسك في الرائحة، فشم ريحها، واشتم ريح المسك،

فاختار شذاها لأنه رأى في ريحها الطيب ما يرضي رغبته، يقول:<sup>3</sup>

وَلَقَدْ نَشِيتُ الْمِسْكَ ثُمَّ نَشِيتُهَا      فَاخْتَرْتُ فِي عِشْقِي شَذَاهَا الْأَطْيَبَا

ويصف ابن عرب شاه أحد المجالس فعلى وقع الأنغام والغناء يشربون الخمر ويتسامرون

وقد فاح ريح الخمر، ومن طيب ريحها لو رآها زاهد واشتم رائحتها لسجد لها وجدد دينه، يقول:<sup>4</sup>

وَكَمِ وَسِ دَائِمَاتِ      وَغِنَاءٍ وَغِنَايِ

لَوْ رَأَاهَا زَاهِدٍ مِنْ      رِيحِهَا كَأَنَّ انْتِثَايِ

لَمْ يَسْعَهُ عَنْدَهَا مِنْ      زُهْدِهِ إِلَّا جُحْدَا

(1) البدرى، أبو البقاء، نزهة الأنام، 63. دون عزو

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 351. دون عزو

(3) الديوان، 12.

(4) ابن عرب شاه، عجائب المقدور، 1553

فرائحة الخمرة لا تخفى على شاربها، فلها قدرة عجيبة على التغطية على الروائح الأخرى لشدة قوتها ونفاذها، فثذاها يدلّ عليها أينما كانت، ويهدي شاربها إلى مكانها، فهم كانوا ينتشون بطيب ريح خمرتهم قبل أن يتذوقوها.

### • سادساً: طعم الخمرة

وعندما شرب الشعراء الخمر أغراهم لونها وشدتهم رائحتها، فتهافتوا على وصف طعمها، فاستلذوا بها وصوروا نشوتهم بعد تذوقها منذ القدم، فقد قيل لامرئ القيس: "في أيّ شيء لذتك، فقال: في بيضاء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية".<sup>1</sup>

وطعم الخمرة المّز شاع ذكره في قصائد الشعراء، فالأعشى يفضلها ويتذوقها ويتمزرها، فإذا ما استلذّ بها قدمها إلى الندامى، يقول:<sup>2</sup>

تَمَزَّتْهَا غَيْرُ مُسْتَدْبِرٍ      عَنِ الشُّرْبِ أَوْ مَنْكِرٍ مَا غَلِمَ

أما شعراء العصر المملوكي الثاني، فشربوا الخمر المّزة، وأتوا بتعابير فنية وصور جميلة ليصوروا بها طعم خمرتهم فتظهر للقارئ بمظهر جديد مبتكر، فابن مكنس ممن أبدعوا واسترسلوا في تصوير طعم الخمرة، لإعجابه الشديد بطعمها المّز، فهو يشربها من يد فنية أعزّاء على قلبه محبوبين لديه في مجلس يشربونها وهم يتسامرون، يقول:<sup>3</sup>

فِي فِتْيَةٍ أَحَبَّةٍ أَعَزَّةٍ      تَصْرَعُ مَا يَصْرَعُنَا فِي الْبَرْزَةِ

مُقَدَّمَاتٍ مِنْ شَرَابِ مُرَّةٍ      لَا صَرْعَ كَرْكِي وَلَا أَوْزَةَ

(1) ابن المعتز، فصول التماثيل في تباشير السرور، 42.

(2) الديوان، 52.

(3) الديوان ، 109.

## وَحَفَقَ مَرْهَوٍ وَلَعِبُ نَرِدٍ

وذكر ابن مكناس طعمين للخمرة، فهي مجموعة من الأطعمة تفنن الشاعر في خلطها  
مجتمعةً في طعم خمرة فهي مرةٌ كالمسك في الرائحة، وكحشو الفلفل مع الزنجبيل الممزوج  
بالقرنفل، وفي الوقت نفسه هي ذات طعم حلو يتجلى على الندامى فطعمها كطعم الشهد الممزوج  
بماء سلسل وهي بذلك أصبحت حبيبة كبده، يقول:<sup>1</sup>

فمرها كالمسك حشواً للفلفل والزنجبيل زيف بالقرنفل  
وحلوها على الندامى ينجلي كالشهد ممزجها بماء السلسل

وفي مقطوعة أخرى يجمع بين حاستي الذوق والشم معاً، فهي أحلى من العسل الأبيض،  
وأطيب من رائحة المسك، يقول:<sup>2</sup>

إني رشفت الشهد ثم رشفتها لست المأموم وقد هويت الأعنبا  
ولقد نشقت المسك ثم نشقتها فاخترت في عشقي شذاها الأظيبا

ويرى ابن الوفا أنّ حلاوة طعم الخمرة في الفصل الأخير فيها، وكأنّ المسك قد طواع  
حلاوة الخمرة فصار مرافقاً له، يقول:<sup>3</sup>

نقش الحباب حلاه فص خاتمه كإنما ختمه المسكي طائعه

أما ابن قرناص فيمزج بين حلاوة الطعم وبين مرارته، فهو حلو إذا ما ذقته ولكن يبقى مراره

على مر الدوام، يقول:<sup>4</sup>

(1) الديوان ، 110.

(2) نفسه ، 12.

(3) الشهاب الحجازي، روض الآداب، 72.

(4) النواجي، تأهيل الغريب، 858.

وَذَا حُلُو إِذَا مَا ذَقْتُ مِنْهُ      وَذَا مُرٌّ عَلَى مَرِّ الدَّوَامِ

ويحتسي ابن حجر العسقلاني خمراً هي في حلاها قد تفوقت على طعم ريق المحبوب

الذي حَلَّتْ الخمر محله، فكان في فمه أسوغ طعماً، يقول:<sup>1</sup>

وَرِيقَتُهُ كَالْخَمْرِ لَكِنَّهَا حَلَّتْ      وَحَلَّتْ فَكَانَتْ فِي فَمِي مِنْهُ أَسْوَعَا

ووصف ابن مدليج الخمر فهو يشابهها بالورد، فلونها وطعمها ورائحتها كالورد، يقول:<sup>2</sup>

هَذَا أَوْ أَنَّ الْوَرْدَ فَاشْتَرَبَ قَهْوَةً      قَدْ شَاكَلْتَهُ فَلَوْنُهَا مِنْ لَوْنِهِ  
وَمَذَاقُهَا مِنْ طَعْمِهِ وَأَرِيحُهَا      مِنْ نَشْرِهِ وَكَأَنَّهَا مِنْ كَوْنِهِ  
إِنْ جَفَّ كَأْسٌ كَانَ وَرْدًا جَامِدًا      أَوْ ذَابَ وَرْدٌ فَأَلْمَدَامُ بَعِينُهُ

ويمزج إبراهيم الأنطاكي بين الصورة البصرية والذوقية، فلون خمرته من لونه، وطعمها من

طعم هجرانه، فقد استعار صورة المحبّ وطعم هجرانه، يقول:<sup>3</sup>

صُفْرَتُهُ تَحْكِي اصْفَرَارِي بِهِ      وَطَعْمُهَا مِنْ طَعْمِ هُجْرَانِهِ

والخمرة هي جملة من المحسوسات، فكان لا بدّ أن تشترك الحواس جميعاً في الإحساس بها

في أنّ واحد بشكل تتحد معه، إلى أن تكاد تصبح حاسة واحدة، وقد دعا ابن أبي الوفا إلى التمتع

بها بالحواس جميعها فيجد فيها شاربها دواءه ومنافعه، يقول:<sup>4</sup>

فَالْمَسُّ وَذِقْ وَارِوِ وَاسْمَعْ وَانْتَشِقْ أَبَدَا      تَجِدْ دَوَاءَكَ قَدْ عَمَّتْ مَنَافِعُهُ

(1) الديوان، 167.

(2) ابن طولون، المواكب الإسلامية، 330/2.

(3) البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 97/2.

(4) الشهاب الحجازي، روض الآداب، 72.

## الفصل الثاني

### تقاليد شرب الخمر

- أولاً: أواني الشراب
- ثانياً: الخمر والساقى
- ثالثاً: الخمر والنديم.
- رابعاً: مجالس الشراب.
- خامساً: أوقات الشرب

## • آنية الخمر

ازدهر الشعر الخمري في هذا العصر، شأنه في ذلك شأن العصور السابقة ، فوقف الشعراء عند نوعها وطعمها ورائحتها ولونها وأنيتها، وأعطوها من ضميرهم وقريحتهم وعبقريتهم، فكرموا تكريماً شديداً، وهيؤوا لها كل ما تتطلبه من آنية وسقاة، وألوهوا من عنايتهم مرتبةً فوق مرتبة الروح والعقل وخاضوا غمار تأثيرها من التسلية واللهو والعبث إلى إكبارها على المثل العليا فكانوا في ذلك ذواقين في شربها فنانين في تصوير مجالسها وتأثيرها<sup>1</sup>.

## • الكؤوس والأقداح

أسهب الشعراء في رسم لوحات منمقة للأواني التي تصب فيها الخمرة، فحلّقوا بخيالهم ومزجوا بين إشراق الخمرة، وصفاء كأس الشراب، ففضلوا أن تشف عما بداخلها من شراب، فهو يريدون أن يستنطقوا اللون وما يحيل إليه من دلالات نفسية تعكس ما بداخلهم من مشاعر، فابن أبي الوفا يرى أن كأسه تتزين بالذهب المنسكب داخلها، لا يتزينه لها، يقول<sup>(2)</sup>:

يَا صَانِعَ الْكَأْسِ مَبِيضاً بغيرِ ظَلِي      تَفِيضُ كَأْسُكَ زِينَةً بَتَهْذِيبِ

فَالْكَأْسِ مِنْ فِضَّةٍ بِالرَّاحِ قَائِمَةٌ      وَالرَّاحُ مِنْ ذَهَبٍ فِي الْكَأْسِ مَسْكُوبِ

كما فصل بعضهم في الكأس فقالوا " إن كان ملأناً يسمى كأساً، وإذا كان فارغاً يسمى قدحاً ويسمى الجام أيضاً، والشراب في الزجاج أحسن منه في كلّ جوهر لأنه لا يفقد معه وجه النديم، ولا

(1) ينظر: الأيوبي، ياسين، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، 340-341.

(2) النواجي، حلبة الكميت، 168.



يَثْقُلُ فِي الْيَدِ، وَلَا يَصْدَأُ، وَلَا يَتَخَلَّلُهُ الْوَسْخُ فَإِنْ اتَّسَخَ فَالْمَاءُ وَحْدَهُ لَهُ جَلَاءٌ وَمَتَى غَسَلَ بِالْمَاءِ عَادَ جَدِيداً" (1) فقال النواجي (2):

حَيَّا بِهَا عَذْرَاءَ مَمْرُوجَةً      بَفِيهِ تُجَلَى فِي رَقِيقِ الرُّجَاجِ  
وَقَالَ قَلْبُ الْكَأْسِ لِي قَدْ صَفَا      قُلْتُ هَنِيئاً يَا لَطِيفَ الْمَزَاجِ

وقد أسهب شعراء العصر المملوكي الثاني في رسم لوحات منمقة لتلك الكؤوس التي تصب فيها الخمر، فنظروا إليها نظرة تقدير واحترام، لأنها في نظرهم تحتوي على روح الحياة، وأعطوها شيئاً من صفات الإنسان، فعندما يدور الكأس بين الندامي، ويضعونه على أفواههم فكأنه يقبلهم، فهو وجود بما فيها للندامي، ويعلل لهم سبب تسميته بالكأس، فيقول ابن العفيف: (3)

أَدُورُ لَتَقْبِيلِ الثَّنَائِيَا وَلَمْ أَزَلْ      أَجُودُ بِرُوحِي لِلْنَدَامَى وَأَنْفَاسِي  
وَأَكْسُو أَكْفَ الْقَوْمِ ثُوباً مُذْهِبَا      فَمَنْ أَجَلِ هَذَا لِقَبُونِي بِالْكَاسِ

وربما يكون المجتمع المملوكي برفاهيته وحضارته، ونمو الذوق البشري فيه قد ساعد على وجود هذه الصور المنمقة لوصف أواني الخمر، التي تعبر عن الذوق المترف والحس بالجمال المرهف، فنظروا إليها بعين الشاعر القادر على رسم الصورة، فتصبح أشعارهم بمثابة مستودع الأسرار الجمالية التي ينهل من معانيها الشعراء والفنانون والفلاسفة في كل منحى وزاوية، ولا يقف الأمر عند حدود التصوير الخارجي أو النقل المباشر، بل يتجاوز ذلك خفايا الأشياء وانعكاساتها على الشاعر ووجدانه، فتصبح أشعارهم مرآة ترتسم عليها الأشياء الداخلية وظلالها أو معبراً إلى

(1) النواجي، حلية الكميته، 167.

(2) نفسه، 163.

(3) الأبيشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 134.

عوالم وآفاق بعيدة يسمو فيها الخيال، وتشرق الصور الشعرية، وتعمق المعاني والتأملات<sup>(1)</sup>، فتحدثوا عن الصلة الوثيقة بين الخمرة والكأس، ففي تلاحمهما يصعب على الناظر أن يميز بينهما، فكل منهما تكسب الأخرى شكلها وهذا يدلّ على رقّة الكأس الموجود فيه الخمر، يقول ابن الوردي<sup>(2)</sup>:

مدامـة رَقَّة رَقَّتْ      ففـال جُلَّاسِي  
أَكاسُها فِيها      أُم هِي فِي الكاسِ

كما صورها بعضهم بالإنسان وأعطوها صفاته، فابن حجة الحموي لشدة تعلقه بها رآها عند إحضارها له باسمه الثغر، ووصفها بتحفة عصرهم يقول<sup>(3)</sup>:

حَيَا بِها عاصُرها فِي كاسِها      مُشـرقةً بِاسِمةً كالثغرِ  
وَقال هذه تُحفةٌ فِي عَصْرنا      فُقُلتُ اسقِيها يـا إمام العَصْرِ

وولعت الباعونية بالخمرة، فوظفت أعلى درجات وجدها لوصف آنية الخمر في الحان فترى الأقداح التي تسقى فيها الخمر دائرة على الندماء، تقول<sup>(4)</sup>:

وتُفـتِحُ الحانُ والأقداح دائِرةً      على الأحبَّةِ أسنى صرفَ خمرتِكُم

فلحان باب يفتح ويوصد، فيه أقداح وكؤوس تكرع فيه الخمرة، وتسترسل في وصف كأس خمرتها وتبهر صورها البصرية أبصار الناظرين إلى كأسها فهي الشمس التي تبدي سناها في ليلة

(1) ينظر: الأيوبي، ياسين، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، 203 .

(2) الديوان، 279.

(3) الديوان، 102.

(4) فيض الفضل، 85.

محلوكه الديجور فتبهر بلجة نورها ما انضوى تحت طيات الليل البهيم من ظلام، وانداح ما تحت ستائره من ظلام، تقول<sup>(1)</sup>:

هِيَ الشَّمْسُ إِلَّا مَا تَغِيْبُ وَ إِنِّهَا      لَتَطْرُحُ أَهْلَ الشَّرْبِ فِي تِيهِ غَيْبِي

وتستمر في وصف كأس خمرتها فتقول<sup>(2)</sup>:

وَكَأْسٌ بَلَاطِفٍ وَخَمْرٌ مَرُوقٍ      بَدَنٌ تَدَانُ حَلَّ حَانَ الْمَحَبَّةِ

يَدُوْرُ بَلَاطِفٍ يَمْتَلِي بِعِنَايَةٍ      يَفُوْحُ بِرُوحٍ فِيهَا رُوحُ رَاحَةٍ

لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَالنَّجْمُ خَبَاوَهَا      وَنُدْمَانُهَا الْأَحْبَابُ أَهْلُ مَحَبَّةِ

فَقَالَتْ: سَنَاهَا لَوْ تَبَدَّى بَلِيلَةٍ      دَجُوجِيَّةٌ أَضْحَتْ كَأَعْظَمِ صَحْوَةٍ

فالكأس له سناء باهر يشع بريقاً، يبهر عين الناظر إليها، فلا يرى إلا النور المطلق، وتوظف الصورة الحركية الدؤوب للكأس الذي يدور بلطف، ويمتلي بعناية، وهو يشي بفاعلية الخمرة التي تشع مشكاةً في الحان.

وقد قارب علي بن وفا السكندري هذا المعنى عندما تحدث عن كأس خمرته الذي يشع منه

نورٌ يُضِيءُ الْمَكَانَ، يقول<sup>(3)</sup>:

سَقَانِي بِكَأْسِ الْوَفَا شَرِبَةً      فَالَاحِ مِنْ الْكَأْسِ نُوْرٌ يُضِيءُ

وفي دعوة ابن حجة لنديمه إلى جنان الروض للتنعم بمنظرها الخلاب، يصف به كأسه

الذي امتلأ برحيق الندى وقد استعار له لون الشقائق الأحمر وطعم المسك يقول<sup>(1)</sup>:

(1) فيض الفضل، 45.

(2) نفسه، 46.

(3) الديوان، 263

انهض إلى جنة روض زاهرٍ لا يعتريك في مقالي شكُّ

وانظر إلى كأسٍ شقيقٍ ملئت رحيق طللٍ والختامُ مسككُ

أما ابن مليك الحموي فيرسم صورة جميلة لكأس خمرته وكان قد مزجها بوصف زهر اللوز،  
فzهر اللوز والندى يكلله كثغر باسم يكشف عن أسنان فيها رقة وعذوبة، أو ككأس خمرته الفضي  
المملوء بالذهب وعندما أراد أن يصف الحباب المتشكل على سطح الخمرة قال إن كأسه قد زين  
بالدر المنتظم على حوافه، فقال<sup>(2)</sup>

كأن زهر الربا والطلُّ بآله تُغرُّ بدا باسمًا يفتُر عن شنب

أولا فكأسُ لجينٍ ملؤه ذهبٌ مكاللٌ من عُقودِ الدرِّ بالحبيب

والصورة نفسها يرسمها عز الدين الموصلي في وصفه للخشاش<sup>(3)</sup> فقد شبه أزهاره الحمراء  
بأقداح البلور المملوءة بالخمير غير الممزوجة، يقول<sup>(4)</sup>:

وزهرُ خشاشٍ بدا أحمرًا كأنه في رونقٍ وابتهاج

أقداحٍ بلورٍ قد أترعت من خمرةٍ لم تختاط بالمزاج

ومن الصور التي رسمها الشعراء لكاساتهم صورة لابن أبي الوفا يبرز فيها كأسه وهو  
يسقط عليها الصفات الإنسانية، وربما شابتهت حال صاحبها فأسكرته فأراها تضحك مقهقهة،  
يقول<sup>(5)</sup>:

(1) ابن طولون، المواكب الإسلامية، 222/2 والأبيات غير موجودة في الديوان.

(2) البدري، أبو البقاء، نزهة الأنام، 144

(3) الخشاش: نبات منوم ومخدر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ( خشش).

(4) البدري، أبو البقاء، نزهة الأنام، 149.

(5) النواجي، حلبة الكميت، 114.

يَسْعَى إِلَيَّ بِكَاسَاتٍ قَدْ اسْتَبَقْتُ لِمُهْجَتِي مِنْ فَمِي تَسْعَى عَلَى الرَّؤْسِ

وَاللُّغُؤُسِ ابْتِسَامٌ حَالَ قَهْقَهَةٍ وَلِلْغِيَوْمِ بُكَاءٌ حَالَ تَعْبِيسِ

وكثيراً ما شبّه شعراء العصر ثغر محبوباتهم بكأس الشراب، فجاءت الخمر والمرأة في نسيج واحد، وما كان هذا الجمع إلا من وحي السعادة، التي يحياها الشاعر في تلك اللحظات، فيحلو له المزاج في الجمع بين رشف ثغر المحبوبة ورشف كأس الخمر، يقول أبو الفضل بن أبي الوفا<sup>(1)</sup>:

وَالثُّغْرُ كَالكَاسِ تَرشُفًا وَمَبْتَسِمًا أَخَذْتُ مِنْهُ عَلَى الْخَالَيْنِ مَشْرُوبِي

ويثري الصورة السابقة بالحركة ويدبُّ في أواصرها الحياة، فالعلاقة بين المشبه والمشبه به تصبح علاقة انصهار، فيتحول المشبه إلى كائن حي، يقول<sup>(2)</sup>:

فَلَوْلُؤَاتُ الطَّلَا فِي الْكَاسِ قَدْ نُثِرَتْ كَالْعِقْدِ فِي الثُّغْرِ سِلْكُ ذَاكَ مَرْتَبِطٌ

فهو يشبه حباب الخمر الذي تتأثر على حرف كأس الشراب، وحدود الكأس يمسكه من الانفلات فينتظم على حوافه بالعقد الذي انتظمت حباته بالسلك، وما هذا التشبيه إلا نتيجة الشعور بالارتياح والسعادة الكبرى.

وأنزل الشعراء كأس الخمر منزلة النور والنار، فكانت الصور التي وصفوا بها الكأس أقوى في البروز والظهور أمام الرائي والناظر؛ لما لفعل الضوء من تأثير على الظلام والقضاء عليه، وفي رأبي أن هذه الصور هي الأفضل للتعبير عن هذه الصور البصرية، ومنه قول ابن فضل الله

(1) النواجي، تأهيل الغريب، 144.

(2) نفسه، 913.

العمري عندما مر بأحد الساقيات في الدير الأبيض<sup>(1)</sup>، واصفاً كأسه الذي يشع نوراً من الخمرة المضئية الموجودة فيه، فيكشف العتمة<sup>(2)</sup>:

وبالدير يوم أبيض لي كاسمه      وقد طلعت من جانب الدير أقمار  
وقد جليت في الكأس صهباء مزة      تكشف منها في الدجئة أستاذ

ويهتم ابن الخطيب داريا بالكأس والشعاع المنبعث منها، فيتحول هذا الكأس إلى مصباح ينير عتمة النفس المتعبة، يقول<sup>(3)</sup>:

راخ إذا ما ذكرناها بخاطرنا      تسري بأرواحنا منها المسرات  
كيف لا نهدي تحت الظلام بها      والكأس والروح مصباح ومشكاة

فالكأس عنده طرف حسي يصاحبه طرف معنوي نفسي، سببه الأثر الناتج عن مشاعر الفرحة والسرور التي غمرت النفس بعدما حصلت على ما يطفئ غليلها، فكانت مثل المصباح الذي ينير عتمة ما حوله.

وفي الخمريات لم تعد الكأس ذلك الإناء العادي أو المزوق لشرب الخمر، بل جسدت عالماً لمظاهر حضارية عدة شهدها الشاعر وصورها على كأسه، ومن ذلك قول فخر الدين بن مكانس<sup>(4)</sup>:

إذا ما أديرت في حشا عسجدية      بها كل ذي تاج وقصر تصورا

(1) الدير الأبيض: دير جليل البناء، أبيض كما سمي، عليه رونق، بني بالحجر الأبيض، وزين في أبنيته، وهو غربي النيل، ينظر: العمري، مسالك الأبصار، 1/466.

(2) نفسه، 1/429.

(3) نفسه، 199.

(4) الديوان، 25.

فحسبُكَ نُبْلاً فِي السَّعَادَةِ أَنْ تُرَى      نَدِيمُكَ فِي الكَاسَاتِ كَسْرَى وَقِصْرَا

وقد ذكرت الأقداح في قصائد شعر العصر المملوكي، ورسمت لها صور فنية رائعة، ومن هذه الصور الصورة التي رسمها فخر الدين بن مكناس، فهي صورة كونية استمد الشاعر ملامحها من القرآن الكريم، واستعار دقائقها من الأرض والسماء والنجوم، يقول<sup>(1)</sup>:

شَبِهْتُ أَقْدَاحَهُمْ إِذْ غَدَت      تَسْرَعُ فِي اسْتِعْلَانِهَا وَإِيَابِ

بِمَارِدٍ يَسْتَرْقُ السَّمْعَ قَدْ      أَسْرَعَ فَاَنْقَضَ عَلَيْهِ شَهَابٌ

فقد جعل القدح سماء نجومها الحبيب، فشبّه سرعة انسكاب الخمر في الكأس وتطاير رذاذ الخمر بمارِد هارب من شهاب منتقض عليه عقاباً له على استراقه السمع، فرجم بالشهب، كما ورد ذكره في القرآن الكريم<sup>(2)</sup>، وهذه الصورة موجودة في الشعر العربي منها قول أبي نواس<sup>(3)</sup>:

هِيَ الصَّبَاحُ تُحِيلُ اللَّيْلَ صَفْوَتُهَا      إِذَا رَمَتِ بِشَرَارٍ كَالْيَوَاقِيَتِ

رَمَى الملائكةِ الرُّصَادِ إِذْ رَجَمَتْ      فِي اللَّيْلِ بِالنَّجْمِ مُرَادِ العَفَارِيَتِ

فإذا الخمر المتطاير من القدح كشهاب تقذف به الملائكة ليلاً مسترقي السمع من الجن، ولما كان للشمس حضورٌ كبير في شعر الخمر، فقد استعار منها ابن مليك الحموي معنى من المعاني الحربية الشاهدة في واقعه، فيجعل أشعتها جيشاً يشن غاراته على الأقداح وهي عدوه الليلي، يقول<sup>(4)</sup>:

(1) الديوان، 6.

(2) سورة الجن، آية 9

(3) الديوان، 251.

(4) باشا، عمر موسى، تاريخ الأدب العربي، 419، نقلاً عن ديوانه، 51.

قُمْ نَبِّهِ الْأَقْداحَ إِنَّ الشَّمْسَ قَدْ شَنَّتْ عَلَى جَيْشِ الدَّجَا غاراتِهَا

ويدخل ابن حجة عنصر الحركة على الصورة ليعطي للتشبيه صورة إيحائية، وليضفي عنصر الحيوية عليها، ليظهر للقارئ الأثر الذي تركه شرب الخمر في نفسه، فجعل الفرح والسرور اللذين يعتريانه من شربها كالطير الذي يحوم ليشرب من قدحه ثم يأتي بصورة أخرى ليعزز عناصر لوحته الأولى، ولكنه اعتمد هنا عنصر الحدث المتمثل بالحبب المتصاعد على سطح الكأس، وعنصر الحركة المتمثل بصيد من أراد السباحة في بحر خمرته، يقول<sup>(1)</sup>:

أرى طير أفراننا سانحاً يحوم على ورد عذب القدح

فقلت لدر الحباب اجتهد ومد الشباك وصد من سبح

وعندما رأى النواجي أن أيام العبادة قد قاربت، وبدأت أيام الأُنس واللهو بالانقضاء أخذ

يطلب من نديمه ألا يشرب بأقداح صغيرة، لأنَّ نفسه قد سئمت وملت، يقول<sup>(2)</sup>:

ليالي الوصل يا صاح استقلت وأيام العبادة قد أظلت

فلا تشرب بأقداح صغار فإن النفس قد سئمت وملت

وذكر شعراء العصر المملوكي الثاني أواني أخرى كانوا يستخدمونها في مجالس خمرتهم،

وعدوها في قصائدهم الخمرية، ومنها الراووق<sup>3</sup>، فمجد الدين بن مكناس عندما يسكر وينتشي

بالخمر التي يشربها يرى العالم جميلاً، وقد زالت منه عقبات الحياة وهمومها، ولكن سرعان ما

(1) الديوان، 91.

(2) النواجي، حلبة الكميت، 116.

(3) الراووق: هو من آنية الخمر وهو الكأس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رووق)



يكتشف بعد صحوته من سكره زيف هذا العالم ويدعو إلى صلب الراووق وسفك دم الزرق جزاءً على سوء فعلتهما بعبثهما بالعقول، يقول<sup>(1)</sup>:

قم واصلب الراووق واشفِ قلبي      منه وبلغني بذاك سؤلي  
واسفك دم الزرق ونادي هذا      جزاءً من يلعبُ بالعقول

أما فخر الدين بن مكنس فقد جعله يبكي من الحزن على فراق صاحبه، يقول<sup>(2)</sup>: (الرمل)  
وبكى الراووق من حُزنٍ وقَد      لطمَ الدفَّ خفيفاً وثقيلاً

#### • الأباريق:

ذكرت أباريق الخمر في قصائد العصر المملوكي، فجعلوا لها سحراً يجذب القارئ والشارب معاً لتشدّهما إليها من ناحية، ولإبراز ما تمتاز به من عنصر جمالي من ناحية أخرى، فأبريق فخر الدين بن مكنس إذا أميل لصب الخمر رأى منه الحاضرون وضعاً وسمعوا له صوتاً طالما لهج بهما الشعراء، وفي هذه الصور في تشبيهه الإبريق بالإنسان العابد هو تقديس للخمرة، فهي له كالعلاقة القائمة بين العابد والمعبود يقول<sup>(3)</sup>:

راحاً إذا ركع الإبريق يمزجها      سمعت من صوته تسبيح فأفاء

فالشاعر يقدس الإبريق تقدسيه الخمر، فهو يجعل إمالة الإبريق ركوعاً وصوت انسكاب الخمر منه تسبيحاً، ونقع في هذا المجال على أفكار ومعانٍ تتشابه إلى حد بعيد مع ما وجدناه في الشعر الذي دار حول هذا الموضوع، ومنه قول ابن المعتز<sup>(4)</sup>:

(1) النواجي، حلبة الكميت، 174، البيتان غير موجودين في الديوان.

(2) الديوان، 54.

(3) الديوان، 10.

(4) ابن المعتز، فصول التماثيل، 51.

ظلت أباريقتنا خضراً ذوائبها      صفراً حمالقها حُمَرَ الحلاقيم  
رواكعاً كلما حَفَّ السقاة بها      تلقى الكؤوس بتكبير وتعظيم

والإبريق في يد خمّار الزيتوني، وهو يسكب الخمر في كؤوس الندامى كمجوسي ساجد

حول مجامر النار وأوانيها، استغراقاً منه في السكب وإكرام صاحبها، يقول<sup>(1)</sup>:

وأبريقتنا مـذ تـبـدا فـي يـد الخـمـار

يـحـكـي مـجـوسـي سـجـد يـعـبـد مـجـامـر نـار

وفي وصف ابن صالح لمجلس خمرته يرسم الصورة نفسها لإبريقه وهو يصب لشاربيه

الخمر ولكن شبهه بسجوده كسجود الرهبان للصليبان وهو هنا يضيف عليها قداسة لتمجيده إياها،  
يقول<sup>(2)</sup>:

ربّ ليل قطعته في رياضٍ      وندامى وقهوةٍ ومثاني

لم تزل تسجدُ الأباريق للشر      بـ سـجـودِ الرهبانِ للصليبانِ

ويرسم المقرئ صورة مشابهة لهذه لكنه يستمد خيوطها من البيئة الإسلامية والإبريق

يستغفر ربه عسى أن يسامحه إن كان قد ارتكب إثماً، يقول<sup>(3)</sup>:

وأبريقتنا ما يبرح الدهر راكعاً      كأن قَدْ جنى ذنباً فمال إلى الزهد

(1) ابن اياس، الدر المكنون، 152.

(2) البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 205/1.

(3) المقرئ، تقي الدين، كتاب المواعظ والاعتبار، 102/2.

أما أحمد السندفاني فمتى ما يرى الإبريق قد أميل لسكب ما فيه في الكأس، يصلي له ويسجد من دون تفكير إذا ما كان على طهر أم لا، وهو هنا يحيطه بهالة من القداسة عندما جعل الإبريق يركع للكأس ، ، يقول(1):

متى ما ترى الإبريق للكأس راعياً      تصل له من غير طهرٍ وتسجد

## ● الدنان

وقف الشاعر المملوكي وقفة المتأمل، فوصف أواني الخمر معتمداً على مشاهدته، أو بما ورد على ذاكرته من الشعر القديم، فذكر أواني التعتيق التي تحفظ الخمر دون أن يلحقها فساد الطعم، " فكان الدن أكثر الأواني الكبيرة شيوعاً وذكرها بين الشعراء، فهو إناء فخاري ضخم مغطى بالقار حتى لا ترشح الخمرة منه... وكانوا يضعون قرمداً فوق غطاءه حتى يحكموه فتعتق تعتيقاً جيداً"(2).

وبذلك باتت أواني الخمرة معروفة، فلم يكن حديث الشعراء عنها لرصدها وذكر أسمائها، بل لصلتها المباشرة بالخمرة، فالآنية لا قيمة لها في نظرهم وهي فارغة وإنما تستمد قيمتها مما تحويه من خمر، فكانت خمرة مجد الدين بن مكناس مرتبطة بدنها مثلما ترتبط النجوم بالليل، لا ظهور لها بدون ليل، كذلك خمرة بلا دنها، فقد ظهرت خمرة التبرية في دنها، كالليل، فهو يريد أن يعرفنا أن الخمرة تحفظ لمدة طويلة بوعاء كبير من الخزف أو الفخار يسمى الدن، تخبأ فيه فتظهر كضوء يبدو في الظلام، يقول(3):

وَدَنَّ مِنَ اللَّيْلِ مَخْلُوقَةً      تَبَدَّتْ مِنَ التَّبْرِ فِيهَا نُجُومٌ

(1) البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 90/1.

(2) بوتمجت ، خصيرة، الشعر الخمري عند بني ربيعة في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 81.

(3) الديوان، 45.

تَضَمَّنَ بَاطِنُهَا قَهْوَةً إِذَا مَرَدَ الْهَمُّ فَضَّتْ رَجُومُ

ويطلب ابن خَلْفٍ من نديمه أن يطلق سراح خمرته المعتقة منذ عهد كسرى فهي تتقد في دنها كالنيران ليؤكد أهمية الدن في حفظ الخمرة منذ عهد كسرى، ويذكر لونها الأحمر الذي يشبه شقائق النعمان فهو بريشة الفنان وبراعة الشاعر يمزج ليظهر زواج الماء من الخمر، يقول<sup>(1)</sup>:

عَاطِنِهَا مِنْ عَهْدِ كَسْرَى سُلَافاً تَتَّقِدُ فِي الدَّنَانِ كَالنِّيرَانِ

وَابْنِ مَاءِ السَّمَاءِ زَوْجَةً رَاحاً أَذْكَرْتُهَا شَقَائِقَ النِّعْمَانِ

ويعاتب بدر الدين بن الصاحب حابس الكأس في يده، ويطلب منه ألا يطيل في حبسها في يده، فيكفيها فترة حبسها في الدن، فكان طول فترة مكوث الخمر في الدن سبب اصفرار الخمر، فاستعار صفة من الصفات المعنوية للإنسان وأسقطها على الخمر وهي الإعياء واكتساب اللون الأصفر من طول فترة الانتظار حتى تخرج من سجنها يقول<sup>(2)</sup>:

يَا حَابِسَ الكَاسِ لَا تَزِدْهَا مِنْ بَعْدِ حَبْسِ الدَّنَانِ حَسْرَةَ

وَإِغْنِمِ مِزْجاً لَهَا لَطِيفاً أَوْرَثَهُ الْإِنْتِظَارَ صَفْرَةَ

ويرى الفيروزآبادي فيها سبب سروره وفرحه، فأصبح لا يميز ما يوجد في لونها وكؤوسها أهي خمرة أم عروس، أم شراب أو شمس أضاعت في أوانيها من كؤوس وقداح، ودعته أن يحث نديمه على شربها ففيها شفاؤه وإنعاش روحه وإحياء بدنه، يقول<sup>(3)</sup>:

فَأُدْرِهَا وَاحِي قَلْبِي الدِّبْفَا فِي رِيَاضِ فَرَشْهَا وَرْدُ جَنِّي

(1) ابن طولون ، المواكب الإسلامية، 121/2.

(2) ابن حجة، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، 40.

(3) النبهاني، المجموعة النبهانية، 119/42.

نحتسبها بنت كرمِ قرقفا      وأترك اللائمَ فيها يلخني  
خمرةً في الدن تجلى أو عروس      أم سُرور القلبِ عند الفرح  
وشرابٍ ما نراه أم شموس      قد أضاعت من بروج القرح  
أم لآلٍ أم جنابٍ في الكؤوس      أم دُموعُ العاشق المنجرح  
يا نديمي اشرب مدامي في شفا      مُنعشِ الروحِ ومحي البدن

#### • القناني:

وصف الشعراء القناني في أشعارهم، وعنوا بتصويرها، ورسوموا لها صوراً فنية مستمدة من خيالهم، ومن ذلك ما قاله فخر الدين بن مكاس في وصفه للصوت الذي يصدر من القناني أهو صوت ضحك وفرح لإبساطها الندامي، أم هو صوت نحيب وبكاءٍ على فراق المدام لها يقول<sup>(1)</sup>:

خبراني عن قهقهات القناني      أنا منها في غاية الإبهام  
أتراها ضحكا لبسط الندامي      أم نحيباً على فراق المدام

ويرسم فخر الدين صوراً ولوحات أخرى لقناني خمرته، ويلونها بألوان الإنسان الحي الذي يبادل الحديث والشعور، ويعرف ما الذي يريده، ففي أحد قصائده التي قالها في تفضيل ذكر الخمر

(1) الديوان، 62.

على ذكر الأطلال، يطلب من نديميه أن يسيرا إلى إضحاك القناني إشارة إلى الصوت الصادر منها عندما تفرع للشرب، يقول<sup>(1)</sup> :

سِيرَا بِنَا نُضْحَكُ الْقَنَانِي أَلَمْ      آمْرُكُمْ أَقَائِلًا: فِقْنَا نَبْكَ

### • الطاسة

الطاسة إناء من نحاس فعله طاس، أي بمعنى صار كالقمر في حسنه وبهائه<sup>(2)</sup>، لذلك عقد

ابن حجة الحموي مقارنة بين طاسته والقمر، فتغلبت عليه بحسنها وجمالها يقول<sup>(3)</sup>:

أَنَا طَاسَةٌ قَدْرِي سَمَا وَبِرُوضَتِي      نَهْرُ الْمَجْرَةِ لِلنَّجْمِ مَوَارِدُ

وَتَطَاوَلَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ بِحَسَنِهِ      فَعَمَّرْتُهُ وَعَلَيْهِ نَقْشِي قَاعِدُ

ويتغنى بها في موضع آخر ويقول<sup>(4)</sup>:

أَنَّ طَاسَةً بِيضَتْ وَجْهِي عِنْدَكُمْ      وَصَفَا لَكُمْ قَلْبِي بِمَاءِ رَائِقِ

عَذِبَتْ مَشَارِبُهُ بِيَارِقِ بَهْجَتِي      فَتَنَزَّهُوا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ<sup>5</sup>

وذكر إبراهيم الباعوني إناءً آخر استخدموه في الشرب، وهي الباطية فمن كثرة شربه أصبح

لا يذكر لها عدداً، يقول<sup>(6)</sup>:

وَحَانَ كَمْ شَرِبْتُ بِهِ مَدَامًا      قَدِيمًا بِالْكَؤُوسِ وَبِالْبَوَاطِي

(1) الديوان، 42.

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ( طاس )

(3) الديوان، 16.

(4) نفسه، 30.

(5) العذيب وبارق: موضعان في العراق بظاهر الكوفة. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 412/3.

(6) البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 215/3.

## • الخمر والساقى:

يمثل الساقى أحد العناصر البشرية التي تعتمد عليها مجالس الشراب عند شعراء العصر المملوكى الثانى ومن جاء قبلهم من شعراء الخمر<sup>1</sup>، فقد اهتم الخمارون بانتقاء السُّعاة من الأعاجم الذين يتسمون بالجمال والنشاط والخفة فقالوا: " لا ينبغي إلا أن يكون الساقى مليح الوجه، نظيف الثوب، طيب الرائحة، أديباً ظريفاً، إن سكر أحد من الشراب فأشار إليه بالإعفاء فعل، ولم يُكره أحدًا على الشراب، وأدار الكأس عن يمينه"<sup>(2)</sup> ويدل هذا على مذهب الجاهلية في إدارة الكأس على اليمين، ومنه قول عمرو بن كلثوم<sup>(3)</sup>:

صدت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليميناً

فعلى صعيد الشعر احتل الساقى مكانة عظيمة في نفوس الشعراء على مر العصور، فوصفوا سقاتهم وصفاً دقيقاً ظهر من خلاله صورة حية للساقى، فقد كانوا يفضلون أن يكون الساقى " حدث السن، بارع الحسن، رشيقياً كالطبي، مخطف الخصر، مخطوط المتن يتثنى في مشيته، ناعم الأهداب، أبيض بلون العاج، كالبدن غرته، وكالليل طرته قد كسر شعره على جبينه وعقرب سوافه المطرورة بالعنبر على صدغيه كالنونات، مكحول الجفن، غنج اللحظ، في عينيه تفتير، أغن الصوت، ذا لثغة، رخيم الكلام، حسن الدل خنث الشمائل، مخضب البنان، يلبس القرطق<sup>4</sup> أو الدّواج<sup>5</sup> أو القباء<sup>1</sup> من الديباج، معصوب الرأس بتاج من الرياحين، مقلد العنق بقلائد الياسمين مقرط الأذنين وعلى المتن منهما وردتا أذريون<sup>(2)</sup> "

(1) ينظر: الننتشة، أحلام0صورة الساقى في خمريات النواسى، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2013، 2.

(2) القيروانى، قطب السرور، 379.

(3) الديوان، 32.

(4) القرطق: القباء وهو تعريب لكلمة كُرْتَه. ينظر: الفيروزآبادي، تاج العروس، 5/120.

(5) الدواج: المعطف الغليظ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دوج)

فوقوا يتفحصون ويتأملون ملامح سقاتهم، ليجودوا في رسم كل ما تقع عليه حواسهم من تفاصيل الجمال الحسي والمعنوي، مشكلين بذلك لوحات شعرية، تعرض السمات الحسية والمعنوية، والحضارية والإيمائية للساقى، ولما كانت الحواس هي النافذة التي يستقبل بها الذهن رياح الحياة والتجربة، فكان الذهن في كثير من احتمالاته واجتهاداته يحتاج إلى هذه الحواس، لترجمة تلك الاعتمالات والحواس بهذا المعنى هي أهم وسائل الذهن في البث والاستقبال. (3)

"وارتباط الخمر بالحواس أمر طبيعي، فالخمر في حقيقتها محسوس من حيث التكوين والتأثير، فهي سائل يحتوى، ويؤرى ويشم، ويلمس، ويُسمع هديره ومن ثم يتفاعل مع حواس المرء جميعاً، تفاعلها مع أي محسوس آخر"<sup>4</sup>، فارتبطت الخمر بالساقى ارتباطاً وثيقاً، من خلال التفاعل الحسى بينهما والساقى لوحة فنية ملونة، تعرض في الحانات ومجالس اللهو والشراب، فيقبل عليها الرواد متغزلين، بحثاً عن الارتواء الجسدي الذي لا ينتهي، وتلبية لرغبات وحاجات نفسية وروحية، تتوق إلى الجمال في كل شيء، وتبحث عن مواطنه، فتتلذذ بما يظهر في تلك اللوحة، من معالم الجسد وتقاسيم الوجه، وتزيد متعتها بتلك الألوان، التي تضيء عليها مسحة من التفرد والجازبية والإغراء. (5)

(1) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب ويتمنطق به. ينظر: **نفسه**، مادة (قبو)

(2) أدريون: هو صنف من الأقحوان لونه أصفر. ينظر: السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 386. صدقي، عبد الرحمن، **أحان الحان**، 267.

(3) ينظر: الصائغ، عبد الإله، **الصورة الفنية معياراً نقدياً**، 87.

(4) الننتشة، أحلام، **صورة الساقى في خمريات النواسي**، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 99.

(5) ينظر: الننتشة، أحلام، **صورة الساقى في خمريات النواسي**، 124



وقد أبدع الشعراء في رسم صور سقاتهم فهذا ابن زقاعة يصف ساقيه كالقمر الذي سطع  
وملاً مجلسهم بالبهاء والجمال، فهو يسعى إليهم بخمرة تشرق في يده في الظلماء، ومن شدة قوة  
إشعاعها أضاعت فلسطين كلها، من الغور إلى البحر الفلسطيني، يقول<sup>(1)</sup>:

وطاف محبوبنا بالكأس في غسق      على الندامى فيسقيهم ويسقيني  
تشعشع الكأس في الظلماء في يده      فأشرق الغور مع بحر الفلسطيني  
لولا تلطف ساقينا بنا خطفت      أبصارنا وخرجنا كالمجانين

وعندما وصف الشعراء سقاتهم ربطوا بينهم وبين الخمر، فكان طعمها من طعم ريقه  
وإشراقها من إشراق وجهه، ولمعانها من بريق عينه، وأسبغوا عليهم أجمل الصفات بأرق الألفاظ  
وأعذبها، فحسنة يفوق كل الذين في المجلس، ومن ذلك قول الشهاب الحجازي<sup>(2)</sup>:

قام يسقي الراح ساق كالرشا      أهيف القامة مهضوم الحشا  
جمّع الحُسنَ جميعاً وجهه      فإذا البدر رآه دهشا  
وإذا مقلته السكرى دنت      نحو صاحٍ من نداماه انتشى  
يال له من بدر تمّ طالع      من حميا الكأس شمساً في العشا

فحديثنا عن الساقى لا يتوقف عند حدود وصف جماله وحسن هيأته ورشاقة حركته ودأبه  
على إرضاء ندمائه وحسب، ولكن يتعداها إلى أبعد من ذلك لنطرق باب وصف سماته ومحاسنه

(1) الديوان، 107.

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 560.

الحسية والمعنوية ، فهذا أبن عطية تزخر لوحته بالحركة والرائحة العطرة حتى أنه أخرج لنا لوحة بديعة متكاملة في نقلها لصورة ساقيه، فأنت لوحته متكاملة في ألوانها وأصواتها وجمالها، يقول<sup>(1)</sup>:

وشادنٍ طاف بالكؤوس ضحى      فحثها والصبح قد وضحا  
والروض أبدى لنا شقائقه      وآسه العنبري قد نفحا  
قلنا وأين الأقاح قال لنا      أودعته ثغر من سقى القدحا  
فظل ساقى المدام يجحدُ ما      قال فلما تبسم افتضحا

فالساقى عندما يقوم على تأدية وظيفته فهو يركز على عنصر الإغراء في المظهر والفتنة في الجسد، وما يتطلبه ذلك من خضوعه لتدريبات تكسبه طرق جذب رواد الحانات ومجالس اللهو والشراب، وافتعال الانفعالات والتعبيرات البادية على وجهه، فلا يظهر منه إلا الفتنة والجمال والإغراء<sup>2</sup>، فقال مجد الدين بن مكناس<sup>(3)</sup> :

يا حسن ساقٍ فتنت      الحاظه أهـل النقا  
أدار كاسات الطلا      في جنح ليلٍ وسقى

وقد أخذ ابن حجة الحموي المعنى نفسه من مجد الدين بن مكناس، فقال<sup>(4)</sup>:

أرشفني من ريقه مبتسماً      فهمت ما بين العذيب والنقا  
وبعد ذا حيا بشمس راحته      ابهجنى في جنح ليلٍ وسقى

ولما أسر الجمال ابن الزين لبيكم، جعله يأتّم بأمره بلا خجل أو صبر، فرسم لوحة شعرية، ولونها بريشته، وبث فيها الحياة والحركة، لينقل صورة لجماليات الساقى، ويشرك المتلقي

(1) النواجي، مراتع الغزلان، 78.

(2) ينظر: المنتشه، أحلام، صورة الساقى في خمريات النواسي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2013، 101.

(3) الديوان، 33.

(4) الديوان، 105.

في اللذة التي ذاقها والمتعة التي حصل عليها بمجرد رؤيته فوصفه وصفاً حسياً، وأسبغ عليه صفاتٍ مثاليةً، مستعيناً بمقاييس الجمال القديمة، فلم يظهر إلا الجانب الإيجابي لصفاته، وكأنه خالٍ من العيوب، يقول<sup>(1)</sup>:

قم عاطني الصّهباء بالأقداح	ما بين نسرينٍ وزهرٍ أقاح
من كفّ ساقٍ كالذّجنة شعره	وجبينه الوضاح كالمصباح
زاهي الملاحاة فاتن في حبه	ياصاح لا أصغي لقول اللاحي
أحوى حوى رقي رقة خصره	ويحسن نور جبينه الوضاح
طاوعت فيه صبابتي وتسهدّي	وعصبت فيه تهتكّي وصلّاحي
يا حبّذا لو زارني في غفلةٍ	والقلب من شكر الصّبابة صاح
وجعلتُ غصنَ قوامه لي شمعةً	في مجلسي وخذوده تفّاحي
ومن اللواظن رجسي وعذاره	آسي ومعسول المراشف راحي
والوجه بدري والثنايا انجمي	والشعر ليلى والجبين صباحي

وأما ساقى النواجي، فهو ساق غنج موهوب يتقن دوره ويحسن أداءه، ويمارس الدّلال، مما يغرق قلب النواجي بالابتهاج والحبور، فتتحول أجواء المجلس إلى أجواء سعيدة، ويعمها اللهو

(1) الحجازي، الشهاب، روض الآداب، 25.

والمرح، فهو من كثرة ابتهاجه بهذه الليلة وتدلّيل ساقيه له ،أحسّ وكأنها ليلة القدر ليعطيها نوعاً من القداسة،يقول(1):

لم أنس ليلةً زارني متخفياً      خوف العوازل في دجى الشَّهر  
ساقٍ أغنُّ مهفهفٌ غنجٌ      يشدو ومن نغماته شعري  
يا ليلةً يحيي النفوس بها      ما كُنْتُ إلا ليلةً القدرِ

وفي صورة تجمع بين الأضداد والمتناقضات، جمع ابن حجة بين الشمس والقمر وهما لا يجتمعان إلا في عالم الشاعر، عالم الخمر واحتساء الشراب، ولعل تقديم البدر ( الساقى ) على الشمس ( الخمر ) يوحي بترتيب اللذة لديه، فهو يتلذذ بالساقى أولاً وبالخمر ثانياً، وربما أراد الشاعر هنا أن يؤكد على نوارنية الساقى والخمر ، فالنور المنبعث من هذه اللوحة يسطع ليلاً ونهاراً(2) يقول(3):

ساقٍ كبدرٍ وشمس الراح في يده      قد لان عطفاً ولكن قلبه قاسي  
أضحى لعاشقه من رمح قامته      طعن ذكرنا به طاعون عمواس  
وخذّه إن بدا من تحت عارضه      حسبته في الدجى لألاء نبراس  
وقدّه قد رسا من تحته كفل      كالغصن فوق الكثيب الشامخ الراسي

(1) تأهيل الغريب، 480.

(2) ينظر: المنته، أحلام، صورة الساقى في خمريات النواسي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2013، 10-

1.2.

(3) الديوان، 110.

وقد جسد ابن الخطيب داريا في لوحة شعرية أخرى افتتانه بالخمير والساقي فالساقي عنده ليس مجرد إنسان يقدم الخمر، بل إنه غلام ذو جاذبية وإغراء حسي للشاربين بما يتمتع به من فتنة ساحرة وجمال جسدي، فهو يدل في هذه اللوحة بنورها وإشراقها على وجه الشبه بين الساقي والخمر، فكلاهما جميل منير، فلا يدري الناظر إذا ما كان الساقي قد اكتسب نوره من الشمس، أم أن هذا من ضيائه الطبيعي<sup>(1)</sup>:

جُدْ أَيُّهَا السَّاقِي بِمَلءِ كُؤُوسِهَا      وَاحْذِرْ بَأْنَ تَضَعِ الْإِنَاءَ مَنْصَفَا  
قَمِ فَاسْقِنِي بِسَلَفِهَا مَتَدَارِكَا      رَمَقِي فَقَلْبِي بِالْهَمُومِ عَلَى شِفَا  
مَنْ كَفَ فَتَّكَ الْوَاظِحَ مَا دَنَا      إِلَّا وَأَضْحَى عَاشِقِيهِ وَأَتْلَفَا  
يَبْدُو بِهَا فَتْخَالَهُ شَمْسُ الضَّحَى      قَدْ صَاحَبْتَ بَدْرًا وَغَصْنَا أَهْيَفَا

أما ابن زقاعة فقد قدم لوحة مثلى للساقي، "ملقيةً بظلالها على المتلقي فيشعر بالجمال الذي شدّه إليه، كما يشعر بالرقّة في ألفاظه بما تحويه من جمال الموسيقى وحسن الإنشاد، وبمجرد الغوص في المعاني الجزئية لهذه اللوحة، فإن المتلقي يجد فيها الخصوبة والإبداع، فابن زقاعة وصف الساقي ووصف كأسه فأبدع بوصفهما<sup>2</sup> ودعم هذا الوصف باستلهامه لقصة بلقيس ملكة اليمن عندما حارت حين رأت الصرح الزجاجي الذي مهده لها سليمان فاعتقدت بأنه ماء لتكتمل بذلك آيات الوحدة العضوية النصية، التي جمعت بين الشاعر وساقيه وخميره في لوحة شعرية ذات جمال حسي، على وقع الطرب والموسيقى، يقول<sup>(3)</sup>:

(1) ابن اباّس، الدر المكنون، 152. والأبيات غير موجودة في الديوان  
(2) ينظر: المنته، أحلام، صورة الساقي في خمريات النواصي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2013، 109.  
(3) الديوان، 149.

وساقٍ لحظه يسبي      بلا سيف ولا رمح  
يحير كأسه وصفه      كما بلقيس في الصرح  
إذا ما قال غنني      طربت وقلت بالسمح

ومسرة ابن فضل الله العمري تكتمل حين يكون مجلس الشرب قريباً من منزله، لا يكلفه الوصول إليه عناء المسير ومشقة الرحلة، يطوف به ساق أحور يحمل كؤوس المدام التي تكاد تشتعل من سنا نورها يقول<sup>(1)</sup>:

في جانب الدّير لنا منزل      ومنهل عذب به ننهل  
وشادن قد جاءنا أحور      في كفه كأس لها تشعل

ومن المقطوعات الجميلة التي تصور جمال ساقها، وتنقل لنا صورة مخملية الأضواء، خمرية التأثير والأرتواء، صاحبة الجرس، مصاغة بعناية مسبغ عليها من دفاء الحياة وجمال الحركة وما يتناسب وجمال الساقى وعناصر لذته الحسية والروحية، مقطوعة لجابر بن إبراهيم تعكس هذه اللوحة العلاقة بين الشاعر وساقيه، فهو مبهور بساقيه الجميل، وما هذا الإنبهار إلا لما يتمتع به الساقى من جمال وفتنة ودلال يشدّ انتباه الحاضرين وفي مقدمتهم شاعرنا الذي يتلذذ بالخمير، ومن ثم بوجه ساقيه المنير، فهو يسكر من شربه للخمير وينتشي بطلعة ساقيه الحسنة وجمال وجهه، فيقول<sup>(2)</sup>:

طاب الزمان وراقت الصهباء      وشدت على أوراقها الورقاء

(1) العمري، مسالك الأبصار، 447/1، 448 .

(2) ابن الحنبلي، در الحبيب، 420/1 .

وأدارها الساقى علينا فى الدجى      كانت لءاء القوم نعم ءواء  
ساق له وجه حكى بءر الدجى      وظلى الغزال ومقلاة كءلاء  
يرنو إلى النءما فىسكر طرفه      غجباء فلا سهء ولا إغفاء  
كالبءر حاز بكفه شمس الضحى      فى فءفة تحكىهم الجوزاء

وهذا شاعرنا أمين الءىن بن الءمى؁ وقف أمام الساقى؁ ىنفحص وىءأمل لىرسم كل ما تقع  
علیه حواسه من ألوان الفءة والجمال الحسى والمعنوى؁ مشكلاً بذلك لوحة شعرىة تعرض السمات  
الحسىة والمعنوىة والحضارىة والإىمانىة للساقى؁ وتفسر لغة الجسء الذى أنقنها أى إءقان؁ لأن  
الحواس هى النافءة الذى ىستقبل بها الءهن رىاح الحىاة والتجربىة<sup>(1)</sup>؁ فوصف شاعرنا الساقى من  
ءلال ما وقعت علیه حاسة البصر من جسء الساقى؁ فأبرز بصورة لافءة ما اءسم به الساقى من  
صفات جمالىة؁ ىقول<sup>(2)</sup>:

فاسقنى القهوءة حتى أنءنى      مثل ءصن البان لماً ىءاوءُ  
من ىءى ظبى غرىز أهىف      مءطف الخصر رقىق ماىس القء  
كامل الأوصاف لكن ءغره      ولما رىقه حلو مبرء  
جامع الحسن لوصول مانع      طرفه الهءى قء باء فى الحء  
ضىق العىن إذا ما سمءه      قبلء سل من اللءظ مهءء

(1) ىنظر: الصائء؁ عبء الإله؁ الصورة الفنىة معياراً نقءياً؁ 87.

(2) ابن ءغرى برءى؁ جمال الءىن؁ المنهل الصافى؁ 201/8 . الءزولى؁ مطالع البءور؁ 173/1.

وحمى فاه بلحظ فاتر فهو تركي على الثغر مجرد

ياله من عجب في لحظه سكر العشاق منه وهو عريذ

أما ابن مليك الحموي فيقف أمام هذا الساقى متفحصاً متأملاً؛ ليرصد كل ما تقع عليه حواسه من ألوان الفتنة والجمال، وهو إذ يرسم لوحته أفادت ريشته من ألوان الصور القديمة، ومزجتها بألوان جديدة، استمدتها من واقعية وحضارة مجتمعه، فمقياس الجمال في الطول والأرداف والخصر معروف لدى الشعراء غير أن آثار الحضارة المملوكية قد جعلت الساقى يظهر في أبهى صورة، يقول<sup>(1)</sup>:

شدّ المناطق يثني عطف مخمور ظبي من الترك في الحاظ يعفور<sup>(2)</sup>

يحكي جنى النحل بالريق الرقيق بدا خصر المهفف أوساط الزنابير

والجسم والشعر قد أبدى مطابقة فهمت ما بين ممدود ومقصود

رشاً تجمّع من غصن ومن قمر وصيغ رياه من مسك وكافور

تذهبت وجنتاه حين مازجها من ذوب كأس حمياه بإكسير<sup>(3)</sup>

وإذا ما انتقلنا إلى شاعر آخر نرى ما لديه من معان وأوصاف جمالية لساقيه، فنجد ابن سودون ينقل لنا صورة أخرى من ساقيه فهو يلبس رنطاً فوق رأسه تتدلى منه أهداب تغطي وجهه،

(1) الديوان، 28.

(2) اليعفور: ولد البقرة الوحشية، أو ظبي كونه كلون العفر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (عفر).

(3) إكسير: مادة مركبة تحول المعدن الرخيص إلى ذهب، ينظر: نفسه، مادة (أكس).



وجماله مشرب بحمرة، وتبدو قسّمات وجهه من خلال شعره المتدلي عليها، كشفق يحاول الظلام أن يخفيه، وهو ممنطق الخصر بنطاق يشده شداً، يقول<sup>(1)</sup>:

يلوح والزنط<sup>2</sup> أرخى فوق جبهته      هُدياً و سالفه لي منه تحيير  
كأنه قمر قد لاح في شفق      وكاد من شعره يغشاه ديجور  
ناديته إذ بدا يختال ذا ميل      ممنطقاً وفؤادي منه مكسور

وقد ألع الشعراء بسقاتهم، فجاءت قريحتهم بهذا الموضوع وقد جاء معظمه في مقطوعات، وانصب الغزل بالساقى عندهم وساد وانتشر في هذا العصر، وقد ظهر السقاة الأتراك " فلا عجب فهذا عصر المماليك والرقيق، مع سهولة الوصول، والبلوغ إلى المأمول"<sup>(3)</sup>، فقد عرف عن الغلمان الأتراك "بولائهم وشجاعتهم وتمام قاماتهم وحسن صورهم وظرافة شمائلهم"<sup>(4)</sup> فجعل جمالهم هذا منهم موضوعاً شعرياً غزلياً، غير أن مفاهيم الجمال لدى الشاعر المملوكي قد أصابها شيء من التغيير والتحوير بفعل هذا العنصر الجديد<sup>(5)</sup>.

ومن ذلك قول أبي بكر الدماميني في خمار له من الأتراك<sup>(6)</sup>:

قلت لخمار به صبوتي      محمودة والصبر لا يستطاب  
اسقيتني كأس غرام به      ذبتُ ومن فيك براني الشراب

(1) البغيشاوي، ابن سودون، نزهة النفوس ومضحك العيوس، 73.

(2) الزنط: هو مثل القنّاط، وقد تزانطوا إذا ازدحموا كما في العُباب. ينظر: الفيروزآبادي، تاج العروس، 525/4.

(3) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007، 143.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، 3 / 28 .

(5) ينظر: نفسه، 3 / 182.

(6) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007، 143.

ويعد الدماميني في مقطوعاته الخمرية إلى وصف السقاة وآدابهم فهو يقول في وصف ساق  
آخر (1):

قَالَ المَاءَ مَا اسْتَطَعْتُ فإِنِّي      أَمْزَجَ الرِّيحَ بِالدَّمْعِ وَرُودَا  
وَأَدْرَهَا فَالْوَقْتُ طَابَ لَكِن      قَدْ رَأَيْتَنَا مِنَ الحَبِيبِ صَدُودَا

وهنا نلاحظ أن الشاعر مزج الخمر بالغزل حيث صد عنه الحبيب في أجمل الأوقات  
عندما كان الساقى يدور بالخمر، ويقول في المعنى نفسه (2):

بِرُوحِي سَاقٍ هَمْتُ إِذْ طَافَ بَيْنَنَا      بِأَكْوَابِهِ اللَّاتِي شَفِينِ أَنَامَا  
وَرَمْتَ ارْتِشَافَ الرِّيقِ مِنْهُ فَلَمْ يَجِد      وَلَكِن كَسَا جِسْمِي ضَنَى وَسَقَامَا

وأصبح زين الدين بن الخراط على ساقيه التركي أجمل الصفات وبأبسط الكلمات وأرقها  
وأعذبها فهو جميل حتى أن جماله فاق جمال وحسن جميلات العرب، فكان حسنه فوق ما يتصوره  
الخيال يقول (3):

سَاقٍ مِنَ التَّرِكِ فَاقَ حَسَنًا      وَفَاقَ سَعْدًا وَلَبْنَى  
"إن ساقى الخمر الذي وصفه الشعراء بأجمل الصفات وأعذب الألفاظ قد ذكر بصيغة  
المذكر وربما كان مذكراً حقاً، أو يكون ذكره بلفظ المذكر جاء على عادة العرب في الغزل، فغالباً  
ما يذكر التغزل بالمحبيب وتقصده به امرأة، لكننا أحياناً نجد تصريحاً بذكر الساقية باللفظ

(1) نفسه، 143.

(2) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007، 147.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، 4 / 131.

المؤنث"<sup>1</sup>، كساقية ابن حبيب فهي ساقية حوراء ساحرة ذات عيون أشد مضاءً من السيوف وقد

جميل يزري بضوء الشمس، قد سلبت الكرى من عينه الدامعة لتمنعها ودلالها، يقول<sup>(2)</sup>:

تديرها بيننا حوراء ساحرة      كأنها من جنان الخلد قد سرحت  
أحاطها لو بدت للبيض لاحتجبت      وقدها لو رأته الشمس لافتضحت  
ظلامه للكرى على مقاتلي حبست      أما تراها ببحر الدمع قد سبحت

أما ساقية ابن فضل الله العمري فهي فتاة بتول من الرهبان، تطوف عليهم بكؤوس المدام،

أما صفاتها الحسيّة فوجهها متورد كفلق الصبح، وما دام أنها من النصارى فليس عندها من

الحشمة والوقار ما يمنعها من الاقتراب من الرجال والتودد إليهم، فيستغل غياب الرقيب فيسرع إلى

نهب اللذة من لثم ورشفٍ وعض خدود، يقول<sup>(3)</sup>:

تطوف بها من بنات العسو      س باخلّة الكف ليست تهب  
مبتلاة بين رهبانها      لأحاطها في حشانا رهب  
مسيحية طلعت في المسوح      كصبح أطل وليل ذهب  
وقد غاب عنّا عيان الرقيب      وجاد الزمان بما قد وهب  
فرشف اللمي خلّس بيننا      وعض الخدود لدينا نهب

وبذلك نرى أن شعراء العصر المملوكي الثاني قد تحدثوا بإسهاب عن السقاة، فوصفوا

الساقى، وصوروا الساقية الفتاة، ورسوموا صورة الخمار الذي كان يقوم بدور السقاية عندما يقصدونه

(1) الصوص، جنار، شعر الخمرة في العصرين الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 73.

(2) الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء، 5/ 69.

(3) العمري، مسالك الأبصار، 1/ 474 ، 475.

ليلاً أو مع أول خيوط الفجر، ولكن كل هذا جاء بشكل متداخل مترابط، فمكان الساقى مصدر سعادتهم ومتعتهم ولذتهم.

## • الخمر والنديم

"لم تستغن مجالس الخمر عن النديم، بل كانت تلحُّ على وجوده وتحرص عليه، لأن الإنسان الاجتماعي بطبيعته لا يستطيع الانعزال عن الآخرين وبخاصة عالم الخمر، إذ يحتاج إلى الندماء بغية المشاركة، فكان الحوار له دور مهم في استمرار مجلس الخمر، والكلمة والحديث الطريف كانا يشعران من يرتاد مجالس الخمر بأنهم موجودون، أو يؤكد أن أهمية العلاقات الإنسانية التي تخلق التعاون والمحبة"<sup>1</sup>.

وقد أسهب الشعراء في وضع قوانين المنادمة والشروط الني ينبغي أن تتوفر في النديم على مر العصور، ولقد لخص النواجي هذه الصفات بقوله: " ينبغي أن يكون حسن النبرة نبيل الهمة، نظيف الكف، نقي الظفر، متعاهداً لتقليمه وتخليل أصابعه، وغسل يديه ومعصمه، وتسريح لحيته، عطر البشرة، نظيف الوجه والشارب والأنف، نقي الجبين، مستعملاً للسواك، نظيف الثياب، خصوصاً عمامته، لأن العين كثيراً ما تقع عليها، مسبول الذبول وأطراف الكمام، نظيف المخفي من الملابس، والروائح على الشعر والثياب، فإذا كملت فيه هذه الخصال، كان محبوباً إلى القلوب سهلاً إلى الأرواح، وإلا كان بغيضاً إلى النفوس"<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الجانب نظم ابن مكنس أرجوزة سماها " عمدة الحرفاء وقدة الظرفاء ووقف جانباً كبيراً منها على الحديث عن آداب المنادمة، وقد أعجب فيها العديد من الكتاب ومنهم صاحب حلبة الكميت واستشهدوا بما دار منها حول المنادمة والنديم، وأشهر ندامى الشاعر صديقه

(1) ينظر: البيطار، لجين، مجالس الخمر في الشعر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة تشرين 2008، 91-92.

(2) حلبة الكميت، 146.

السكندري وقد نظم قصيدتين في هذا الموضوع ودعا فيهما الأصدقاء والندماء إلى الشرب معه والالتزام بأدب المنادمة يقول (1):

هل من فتى ظريفٍ      معاشِرٍ حريفٍ  
يسمع من مقالي      ما يهبر اللآلي  
أمنحه وصيةً      ساريةً ساريةً  
تسير في الدياجي      كلعنة السراج

وفيها ينهي الشاعر شارب الخمر عن التطفل، فيقول (2):

إيساك والـتطفلا      وشؤمه الـوبيلا  
تبا لها من مخنةٍ      وثلمة وهجنة

فإن دُعي إلى مجلس الخمر مدعو فليس له أن يصطحب أحداً، ولو كان ابنه، يقول (3):

وإن دعـاك الإخـوة      إلى ارتشاف القهـوة  
فلا تصـقع نقتـا      ولا تزهم بابنـا  
ولا بـجار الـدّار      ولا بشـخص طـاري  
ولا نجـل تألفـه      ولا صـديقٍ تصـدغه

وإن توجه المدعو إلى مجلس الندامي فلا يصح له أن يحمل طعاماً أو شراباً، يقول (4):

لا تحمـل الطّعامـا      والنقـل والمـداما  
فـذاك فـي الوليـمـه      شـناعةً عظيمـة

(1) الديوان، 79.

(2) الديوان، 79.

(3) نفسه، 79.

(4) نفسه، 80-81.

لا يرتضـيها آدمـي غير وضـيع عـادم

لأن هذا الصنيع يـحرج الدّاعي. فإذا جلس المرء بين الندامي وجب عليه أن يخالفهم بخلق حسن، وأن يجتهد في مسرتهم ويبتعد - جهده- عما يسوؤهم، وعليه أن يكون مطيعاً باغياً إرضاء الجماعة، يقول(1):

وإن حللت مجلساً بين سـرارة رؤسـا

اقصد رضا الجماعة وكن غلام الطاعة

فلو انقلب الكأس مثلاً كان عليه أن يسرع إلى الشراب السائل فيجففه بمنديله، يقول(2):

وقالت الأكياس: إذا أرى ق الكاس

بإداره بالمنديل في غاية التعجيل

فشمة الكرام سـفـنجة المـدام

وعليه أيضاً أن يكون لطيفاً لا سخيلاً، فلا يليق بالنديم أن يكون هكذا بل عليه أن يكون كيساً، وإلا فهو منهى عنه، فيقول(3):

دارهم بـاللفـظ واحذر وبالـسـخف

وقد تأثر بهذا المعنى بأبي نواس الذي قال(4):

ولا تجعل نديمك في شراب خيف العقل أو دنس الأديم

وعليه ألا يحبس الكأس ولا يعطل دورانها، يقول(5):

لا تمسك الأقداحا تنص الأفراسا

(1) نفسه، 79 - 80 .

(2) الديوان ، 79 .

(3) نفسه ، 80 .

(4) الديوان ، 330 .

(5) الديوان ، 79 .

لا تقطع الطوافه لا تحبس السُّلافه  
ويتجنب الكذب، كما عليه أن يتجنب الثثرة، وإن تكلم فليقل الخير وليحذر أن يهيج في المجلس  
فيعتدي على الندامي، يقول<sup>(1)</sup>:

لا تلة كاذبين كاذبياً لا تهمل الملاعباً  
واختصر السر سواك وقلل المقالالا  
وقل من الكلام مالا لاق بالمدمام  
كرائق الأشعار وطيّب الأخبار  
واترك كلام السّفلة والنكته المبتذلة  
ولا تكن معريداً ولا بغيضاً نكداً  
ولا تكن مقيداً وتسوطو على الندامي

ويرى ابن مكنس لمن يشارك العوام الشراب أن يقتصد في شربه وأن يتجنب الهزل معهم،  
فإن شرعوا هم في المزاح وجدّوا فيه، فليس أمامه إلا أن يشمر عن ساعده ويعاتبهم معاتبة غليظة  
من جنس معابرتهم، وليتقوه بالألفاظ البديئة وليعاملهم بالمثل فهم كالأنعام، يقول<sup>(2)</sup>:

وإن حللت مشربه مع سوقة لا كتبّه  
فاقلل المدمام ففي مجاس العوام  
لا تكن ملحاحاً واجتنب المزاحاً

(1) نفسه، 80.

(2) الديوان، 80.

لا هُـم إن مزحوا      وابتـنلوا واقتبـوا  
والأمر فيه يحتـمل      وكل من شاء فعل  
وأفخر الأمر الرضا      وكل مفعول مضى  
فصـبة العـوام      ضرب من الأنعام

وينصح ابن مكنس بترك منادمة التركي البتة، فإن أذاه مضمون، ويقصد بالتركي الجندي المملوكي، فهذا الإنسان خير حاله يؤدي نداماه بيده، فإن كان شرساً فقد يثور بهم مستخدماً السيف فيقتلهم أو يقتل بعضهم، ويبدلهم بسعادتهم تعاسه، فمن ابتلى بمنادمته فما عليه إلا أن يكون حسن التصرف، فإذا أفلت من قبضته ونجا بنفسه ثم عاد إلى منادمته مرة أخرى فلا يلوم إلا نفسه، يقول<sup>(1)</sup>:

وإن صـحبت تركـي      فاصبر على أكل الصـك  
هـذا إذا تلطفـا      ولم يكن فيه جفا  
وإن يكـن ذا عريـده      ونزعـه منـده  
يقـوم للجـوس      بالسـيف والـدبوس  
أبشـر بقتـل القـوم      وبـؤس ذاك اليـوم  
إن رام منـك مسـخره      فانهض إلى المبادرة

(1) الديوان، 81.



وسسه واتمسخر وقد وإن خلصت لا تغند

وللنديم دور بارز ومهم في مجالس الخمر، فهو الذي يعطيها مظاهر الرقي التي تظهر من خلال الحوار ومناقشة الأمور التي تهم الإنسان ويسعى إلى حلها، وقد تنبه أبو بكر الدماميني إلى هذه المسألة المهمة التي برزت في مجلسه بوضوح، بوصفها حاجة إنسانية، ولما لها من طاقة يواجه فيها الانعزال، ومخاطرة، كما يفصح الشاعر عن العلاقة الحميمة التي تربط الندماء بعضهم بعضاً، وتؤلف بينهم، يقول<sup>(1)</sup>:

وربَّ نهارٍ فيه نادمتُ أغيداً      فما كان أحلاه حديثاً وأحسننا  
منادمةً فيها مُنأي محبباً      نهاراً تقضى بالحديث وبالمنأنا

أما جابر بن إبراهيم فهو حريص كل الحرص في اختيار ندمائه، فهم مثل النجوم يسقيهم خمرهم، ساقٍ كالبدر في جماله، يقول<sup>(2)</sup>:

كالبدرِ حازَ بكفه شمس الضحى      في فتيةٍ تحكيهم الجوزاءُ

وكان شاعرنا رقيقاً مع ندمائه يدعوهم بكل أدبٍ وكرمٍ ويزين لهم شربها فهي جالبة السرور والفرح، يقول<sup>(3)</sup>:

فاشرب ولا تدع السرور بها فقد      غفل الوشاة وغابت الرقباء

ويتخذه بدر الدين البشتكي معيناً على هموم الحياة ومشاكلها، فرسم له صورة أبدع في بيان ضرورة وجود النديم والخمر في حياته، فكانت الحوادث هي الرجس والدنس الذي يعكر صفو حياته وكانت الخمر والنديم بمثابة الصابون الذي يغسل هذه الهموم فيرجع إلى حياته الطبيعية، يقول<sup>(1)</sup>:

(1) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007، 133.

(2) ابن الحلبي، در الحبيب، 420/1.

(3) نفسه، الصفحة نفسها.

وكنتُ إذا الحوادثُ دنستني      فزعتُ إلى المدامة والنديم  
لأغسل بالكؤوس همَّ عني      لأن الخمر صابون الهموم

والشاعر إبراهيم الأنطاكي يتحدث عن ندماء مجلسه الذين اهتم بوصف حالهم عند شربه معهم، فشربه الخمر معهم عنده طرف حسي وقد ربطه بطرف حسي آخر متولد عن طعم الخمر عند وصولها إلى فم شاربها، يصاحب هذا الحسي طرف معنوي نفسي سببه الأثر الناتج عن مشاعر الفرحة والسرور التي غمرت نفسه من ندمائه، فكانت بمثابة المصباح الذي أنار عتمة النفس المتعبة عنده، وتجملت بصحبة ندمائه، يقول(2):

باكر يا صاح لرشف قدح      فزنادُ الخمرة فيه قدح  
واشرب قدحاً وانفِ ترحاً      واجنح مرحاً فالجنح ملخ  
بكر بالكاس إذا جليت      بالبسط أكاد أطيّر فرح

ويصف الشاعر محمد بن عمر الهمداني البغدادي ندماءه بكل دقة، فمعهم يطيب الحديث فهم بجمالهم وحسنهم يمتعونه بشرب خمرة، يقول(3):

لله ذاك العيش والعصر الذي      عاصرت في أيامه عصر الصغر  
تروح من راح مدامة      يديرها من خده الخمر عصر  
هذا وكم من روضة باكرتها      مع فتية مثل المصابيح غرر

(1) الغزولي، مطالع البدر، 138/1.

(2) ابن الحنبلي، در الحبيب، 254/2.

(3) المقريزي، تقي الدين، درر العقود الفريدة، 202/3.

كأنّما الرّاح إذا ما نزلتْ      جسماً من التّبر إلى الكأس انحدر

كأنّما الكاسات في مجلسنا      كواكبٌ تهوي وفي الجو أُخز

ولا يتوارى الشاعر في استخدام اللغة المباشرة الصريحة لإنقاذ مجلسه، فيختار من يحب، ويبعد من يكره بوضوح، فيرغب بالنديم الذي يضيء على المجلس جواً من الفرح والسرور ويتعامل معهم بما تحمله كلمة المحبة من معنى، أما الشخص الذي أراد نفيه من مجلسه فدعاه بالبهيم لإظهار قباحة هذا النديم على المجلس، ومدى الضرر الذي ألحقه بمجلسه، يقول الشهاب الحجازي<sup>(1)</sup>:

في حنّس الليل أتانا فتىً      ونادم القوم فبئس النديم

فقلتُ للأصحاب لمّا أتى      قد جاءنا في جُنج ليلٍ بهيم

وتجسد اللوحة التي رسمها النواجي مظهرًا من مظاهر الحضارة في تلك الفترة إشارة إلى

بعض الألعاب التي كان يتسلى بها الشاعر مع نديمه أثناء معاقرتهم للخمر، يقول<sup>(2)</sup> (المجتث)

فانهض لشرب شمولٍ      واجمع لنا بك شملا

لم أنس يوماً لعبنا      النَّاروز والطاس ثملا

والشمس تدنو نهارةً      والبدرُ يعلوه ليلا

أما ابن حجة الحموي فكانت مجالس الشرب له أماكن للتعبير والحوار، فهو مطراح

ومحاوّر ومتلقٍ جيد لنديمه، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أن الشعراء كانوا ينادمون

أشخاصًا على مستوى عالٍ من العلم وليس الجهال فقط، يقول<sup>(3)</sup>:

(1) النواجي، حلية الكميت، 37.

(2) تأهيل الغريب، 756.

(3) الديوان، 16.

يُطَارِحُنِي بِأَبْيَاتٍ وَلَكِن يُنَاقِضُنِي إِذَا طَالَ اجْتِمَاعِي  
وَإِنْ أَنْشَدْتُ أَشْعَارَ السَّلَامِ يُطَارِحُنِي بِأَبْيَاتِ الْوُدَاعِ

كما لم يغفل الشعراء عن التغني بصفاته الخلقية، فقد تغنى الشاعر ابن الزين لبيكم بقوامه الممشوق، وتورد خدوده وجمالها، وريقه الذي حاكى الخمرة والوجه الذي شابه البدر في جماله، فنال الهناء والسرور لوجود مثل هذا النديم في مجلسه، يقول<sup>(1)</sup>:

وجعلت غصن قوامه لي شمعةً في مجلسي وخدوده تفاحي  
ومن اللواحظ نرجس وعذاره آسي ومعسول المراهف راحي  
والوجه بدري والثنايا أنجمي والشعر ليلى والجبين صباحي  
وأقول يا قلبي لقد نلت المنى جمع الحبيب مجالس الأفراح

لقد تبين من خلال ما تقدم القيمة الفنية للنديم وقدرته على التحكم بالمجلس فهو الذي يحييه ويقضي عليه في الوقت عينه، لذلك كثرت المعاناة في اختيار النديم، واتخذ الشعراء الحيطة والحذر في انتقائه، حرصاً على استمرار مجالسهم، فالنديم يضيف على المجلس غنى ويسعى إلى رفعة شأنه، فتمتعوا بالصورة الحسية في وصف النديم والنوقية في معاورة الخمرة<sup>2</sup>.

### • مجالس الشرب

ظهرت مجالس الخمر في الشعر المملوكي، وتحدث شعراؤها عن مكوناتها الرئيسية، من خمور، وندماء، وسقاة، إضافة إلى عناصر أخرى شاركت في تشكيل هذه المجالس ولذلك كان لا بد من وصف مجلس الخمرة واللهو، وهو أقرب الأشياء إلى نفوس شاربها، فالمجلس هو المكان

(1) النواجي، حلبة الكمي، 35.

<sup>2</sup> ينظر: البيطار، لجين، مجالس الخمر في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة تشرين 2008، 107.

الذي يشربون فيه الخمرة بما فيه من شموع وكؤوس وأزاهير ورياحين وروائح عطرة بقرب المياه الجارية، فيقضون في مجالس أنسها أجمل الأوقات وهم يتلذذون بشرب الخمر التي يطوف بها السفاة، وقد تعددت هذه المجالس، فكان الندماء يتزاورون فيما بينهم فتعقد في بيوتهم، وكانت تعقد في أحضان الطبيعة أو في أحد الحانات أو الأديرة<sup>1</sup>.

وقد اعتاد الشعراء دعوة أحبائهم وأصدقائهم إلى المسامرة في الرياض، فالجلوس في هذه الطبيعة الخلابة لا يشابهها أي مجلس، فكل ما فيها يعجب الأنظار والأسماع ويعطر الأنوف والأنفاس، يقول أحمد بن محمد صالح الإثليمي، داعياً نديمه إلى زيارة روضة صنعته أقطار الغمام وبدت طيورها تغني على العود والزهر طرباً راقصاً<sup>(2)</sup>:

باكر إليها يا نديمي روضة      قد نمقتها أنمل الغمام

غنت على العود مطوقاتها      فزهرها يرقص بالأكمام

ويدعو محمد الطنتدائي شارب الخمر أن يختار مجلساً بهيجا لا يسمع فيه عدل العواذل

وأن يغتنم هبوب الريح التي تحمل بين طياتها ريح الريحان، يقول<sup>(3)</sup>:

واختر لشريك أبهى مجلس بهج      لا تستمع عدلاً في مجلس عدل

إن هب ريحائه فاستغنم عواصفه      قبل السكون وهذا جاء في المثل

ويراود النواجي نفسه لحضور مجلس أنس في روضةٍ ويغريه بشذى الروضة العطرة

وبورودها وبناناتها، يقول<sup>(1)</sup>:

(1) ينظر: الصوص، جنار، شعر الخمرة في العصرين الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2013،

82.

(2) الأزهري، محمد، مستوفي الدواوين، 355/2.

(3) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 320.

هل لك في روضةٍ شذاها      يهـمُ فيه الأنامُ عشقاً

تنظر باناً بها وورداً      نعيشُ في ظلّهِ ونبقى

واستغل الشعراء لحظات الأُنس والسعادة التي قضاها بين الرياض، ودعوا أنفسهم وندماءهم إلى شرب الخمر حتى تكتمل البهجة ومزج الخمر بوصف الطبيعة والرياض، تقليد درج عليه الشعراء قديماً، وسار على هذا النهج شعراء العصر المملوكي الثاني، يقول صدر الدين الأدمي في وصف روضةٍ وداعياً نديمه إلى أن يسقيه الخمر<sup>(2)</sup>:

سبّح القُمْرِيَّ في الروضِ وغرّد      فحسبنا أنّ في الروضة مغبّد

والنّدى فاض على زهر الرّيا      فسرت بين النّدامى نفة النّد

إنّما الزّهر ثغورٌ فتحت      باسماتٍ تجمّع المّزن وتحمّد

فاسقتي القهوة حتى أنثني      مثل غصن البان إذ يتأوّد

ويدعو ابن خطيب داريا إلى شرب الخمر على نشر الورد والنّرجس، يقول<sup>(3)</sup>:

هاتِ اسقتي الصّهباء يا مؤنسي      قد فاح زهرُ الورد والنّرجس

والوقت قد راق ورقّ الهوى      وجاد بالوصل الزمان المؤسي

وقد عبّر الشعراء عن حبهـم للرياض وشرب الخمر فيها، كما تلهفوا لزيارتها والتنعم في مرابعها، فالنواجي يدعو أصحابه لزيارة بستانه والتنعم بأكل ثمار النخيل والزبيب والتوت، يقول<sup>(4)</sup>:

(1) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 320.

(2) ابن تغري بردى، جمال الدين، المنهل الصافي، 201/8.

(3) الديوان، 168.

(4) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 320.

بِاللهِ يَا صَاحِبَ قَمِ وَيَا كَرِ      بِسِتَانِ لَهْوِ حَوِي نَعْوَتَا

تَشْبِيعِ نَخْلًا بِهِ وَكِرْمًا      مَزْبِيًّا يَانَعَا وَتَوْتَا

ولم يقتصر وصف المجالس على هذا الحد بل تعداه إلى الشواطئ، والحانات والأديرة ولعل أكثر شاعر نلتقي به هو فخر الدين بن مكناس ممن وصفوا المجالس، فكانت أوصافه أكثر أصالة، وتشبيهاته أشد توغلاً وأدق إدراكاً لفن الوصف الحقيقي في الشعر، فهو يخصص قصيدة كاملة لوصف شاطئ النيل بما فيه من ظلال وخمائل زاهرة، وهو يصف مجلسه في ذلك الشاطئ الذي يضمه مع أصدقائه في جنبات أحد المنتزهات، ويستهل ابن مكناس الشاطئ بما فيه من مياه مناسبة صافية ويصف ما في هذا الشاطئ من معالم الطبيعة الجميلة، ثم ينتقل لوصف مجلس الأئس الذي يلتئم في منتزه على ضفة هذا الشاطئ، فيصف الجو الذي ينعقد فيه هذا المجلس، فهو يمتلئ بالخمائل التي تنعكس ظلالتها الوارفة على صفحة الماء، فكأنها عرش لملك كريم الأصل، شريف النسب، هذه الخمائل التي يأتيها رزقها رغداً من تلك الأنواء، فتكون سبباً من أسباب النماء والرونق، ولا شك في أن هذه الخمائل والرياض هي ما يحرص عليه الندامي والطيور والآرام عندما تختار مقلها ومربعها<sup>(1)</sup>:

عصاة الشرب أموا روض زاهرة      تغري لأكرم أخوالٍ وآباء

خمائل الروض منشأها ومرضعها      ضرع النميرين من نيل وأنواء

فاستمهدت روضها المخضلاً وافتترشت      نجم الريا ورمت عرشاً على الماء

قريرة العين بالأنواء باردة الـ      قلب الذي لم تنله غير سراء

(1) الديوان، 125.

مقيل ندمان بل مغنى حمام بل كناس آرام بل أفناء درماء<sup>1</sup>

وفي نص مرصع بشعر أبي الطيب المتنبى وصف مجلساً له مع ليلي، تدور فيه الكؤوس المضيئة وتسهر عيون النرجس، ويضج قلب النافورة بالماء، ويعبث النسيم بأطراف شموعه التي يقلقها الحب ويبكيها ويحملها على أن تشكو بثها إلى الشاعر القادر على فهم ما يساورها بحاسته الخاصة<sup>(2)</sup>:

انظر لمجلسنا وكاساتٍ بدت (منها الشموس وليس فيها المشرق)  
وغداً لنرجسه وشاذروانا (عين مسهدة وقلب يخفق)  
والسمع في رهج وفرط تقلق (وجوى يزيد وعبرة تترقرق)  
ويقول لي مشتكياً ومباهتاً (أرقد على أرقٍ ومثلي يأرق)

وكان شاعرنا يحب أن يشرب في الأماكن البهيجة، ولم يقتصر مجلسه على مكان بعينه فربما يكون في ردهة من قصور العاصمة يملكه الشاعر أو أحد إخوانه المترفين أعد على خير وجه ليستقبل فيه الشاربين، أو لعله حانة فاخرة من حانات مصر التي يغشاها مع أولي اليسار من طلاب الثمل، ومن هذه الأماكن: حي لجأ إليه الشاعر هو وإخوانه للتمتع بالشرب ويظهر فيه السعادة التي كانت تعم شاربي الخمر في مجلسهم، يقول<sup>(3)</sup>:

(1) درماء: نبت أحمر الورق ليس بعشب على هيئة الكبد وهو نوع من أنواع الحمض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (درم)  
(2) الديوان، 40.  
(3) نفسه، 72.



حي الرواويق<sup>(1)</sup> بحي من صفا أولئك الأشباح إخوان الصفا

بين ربوع وغوان تصطفى حسبي لقا تلك المغاني وكفا

### معابد ألهمتُ فيها شدي

ويشير فخر الدين بن مكنس إلى عدة أماكن اللهو المعروفة في تلك الفترة وكانت هذه الأماكن بمثابة الجنة له، فيلقي فيها عن كاهله عناء التعب، ويتخلص من همومه، فهناك يجد الراحة والسرور، حيث الغناء والمرح والحب، ولذلك يدعو أصحابه للتمتع والابتهاج، يقول<sup>(2)</sup>:

باكر إلى جزيرة الفيل التي تختال في أفنانها كالجنة

ولا تمل عن وجهها لوجهة صفا حُسنها لمائها والخضرة

وفي دعوة صريحة له لشرب الخمر يدعو شاعرنا نديمه أن يشرب على بحر أبي المنجا، فهو مكان تفوح منه رائحة السرور، كما يدعو إلى الشرب في شعب بوان<sup>(3)</sup>، ثم يطلب منه أن ينتقل إلى اليمن، ويشرب فيها في بستان أحد القصور فيها، فكل ما هو مزروع فيها هو من غرس شاعرنا، حتى أن رائحته كرائحة العروس ليلة زفافها، يقول<sup>(4)</sup>:

واشرب على بحر أبي المنجا فهو لمأسور الهموم ملجا

زوارج به السرور يرجى فشعب بوان لديه يُهجا

(1) الرواويق: حي من أحياء القاهرة، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 215/3.

(2) الديوان، 56.

(3) شعب بوان: موضع ببلاد فارس، يقال إنّه من أطيب بقاع الأرض وأحسن أماكنها، ينظر: الحموي، ياقوت،

معجم البلدان، 320/3.

(4) الديوان، 71.

من حسنه وسغد<sup>(1)</sup> سمرقند

وأنزل على اليمن من القناطر      بستان ملك الأمر بها بادر  
المنجكي الملكي الظاهر      كهف الغلام مهد العساكر

من حيث كان مُرضعاً في المهد

فذاك قد زرعته بنفسي      وكل ما فيه الجميع غرسي  
مرتع غزلاني وروض أنسي      شذاه كالعروس ليل العرس

فلا يقاسُ طيبه بندّ

وبريشة فنان وقلم الشاعر يرسم لنا ابن مكانس صورة لأحد مجالسه التي اعتاد أن يشرب  
بها سواء أكان ذلك سرّاً أم علانية، فهو يقول في جزيرة الطميّة إحدى جزر النيل وكانت إحدى  
متفرجات الناس آنذاك، يقول<sup>(2)</sup>:

بأبي الطميّة حنةً قد زُحرفت      حورٌ وولدانٌ بها ورحيقُ

ولم يقتصر وصف مجالسهم في الأيام التي لم تكن تحوي مناسبة، بل شربوا خمرتهم  
ووصفوا مجالسها في أيام الاحتفالات وفي فصول مختلفة فهذا محمد الأزهري يصف نفسه عاجزاً  
عن النظم في الشتاء بخلاف الربيع الذي يصف فيه النوروز، وهو احتفال يُقام بوفاء النيل<sup>(3)</sup> فهو

(1) السغد: جبل معروف في سمرقند، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 420/3 .

(2) الديوان، 63.

(3) ينظر: المقرئ، تقي الدين، كتاب المواعظ والاعتبار، 108/1.

مشغول بشرب الأقداح وليعبر عن نهمه بالشرب فيه استخدم الفعل " متهتك " ليدل على كثرة الشرب، يقول (1):

مولاي إني في الشتاء لعاجزٌ      عن نظم مدح صيغ كالإبريز  
ولكن في فصل الربيع فإنني      متهتك الأقداح في النوروز

إن المتتبع لشعر مجالس الخمر، يجعل المتلقي يتخيل ما كان يدور فيها من خلعة ومجون وتجاوزات، فاجتماع العناصر البشرية، من ساقٍ ونديم مع العناصر المادية، من خمر وورد وغناء، تكون لدى المتلقي الصورة الكاملة، فيشعر أن لوحته تعبق بطيبه وعطره وروائح المجلس الطيبة، فيظهر لدينا الحانة التي شكّلت أحد المراكز الرئيسة للشرب، يقول ابن زغدان (2):

أجل بكأس الأنس      في حانة الخمار  
وافتح لختم الدن      في حضرة الأقمار  
واسقى شراب الحب      ممزوجة أسرار  
من سكرة في الحان      فاحت شذا العطر  
أطيب من المسك      من ريقه الخمر  
ولفظه المردار      أشهى من الدر

(1) الأزهرى، محمد، مستوفى الدواوين، 323/1.

(2) الديوان، 9.

والباعونية تظهر في إحدى قصائدها سيّدة للجان ويدها الكؤوس والأقداح تصل وتعطي

من تشاء، وتقطع عن تشاء ، تقول<sup>(1)</sup>:

فالحان حاني وأقداح الوفا بيدي وأكؤوس الوصل طوعي في مرادتي

وكلّ ما يتمنى القلب من أملٍ يناله من نوالي في ولاياتي

وفي قصيدة أخرى ارتوت بكؤوس الخمرة في حانها التي كانت عنده لها رياض فهي الملجأ

الذي تلجأ إليه، تقول<sup>(2)</sup>:

وطُفُفْتُ بِكُؤُوسِ بَلَّغْتُ فِيهَا ارْتِوَاءِي

حاناتها لي رياضٌ جَعَلْتُ فِيهَا ثِوَاءِي

ويخلق خيال الباعونية حول الحان في عالم الذر بعد أن تعلقت بالشرب، وتقول حتى إنها

شهدت الساقى بدون ملابس، تقول<sup>(3)</sup>:

في الذر جُلْتُ بحانها وشربتها وشهدت ساقى ما عليه وشاخ

وقد يكون مجلس الخمرة بإحدى الكنائس، أو في دير من الأديرة، يدير طقوسه القساوسة

والرهبان، فابن عبد السلام المنوفي يستذكر مجلساً قصده وقت السحر في دير كان في طريقهم،

وكشف فيه الشاعر عن علاقته بالنديم، وقد ساوى فيه بين الخمر والمكان ، في القداسة والطيبة،

وقد حقق الشاعر عنصر المفاجأة في هذه الأبيات من خلال استخدامه لفظة (فتية) وهي من

الجموع جمع القلة، لكن هذه القلة تصبح عنصر قوة، لأن الوحدة حاصلة بينهم وقد اجتمعوا على

(1) فيض الفضل، 275.

(2) نفسه، 235.

(3) نفسه، 110.

شرب الخمر والاستمتاع بها فهدهم واحد، وقد امتاز هؤلاء الفتية بصفات خلقية حيث جمال الوجه وحسن الطلعة، يقول<sup>(1)</sup>:

وربّ دِيرٍ طرقتا بابه سحرا      وللنواقيس في أعلاه أصوات  
في فتيةٍ كالنجوم الغرّ أوجههم      منيرةٌ أشرفت فيها الدجّناتُ  
فقال راهبه: من ذا فقلت له      قوم السبيل لهم في الدير حاجاتُ  
فقام يسعى إلى إكرامنا عجلًا      وقال بشراكم عندي المسراتُ  
هبّوا فما العيش إلا أن يطوف على الـ      ندمان في الدّير للأحباب كاساتُ

وفي مجلس آخر امتزجت فيه مشاعر الرغبة القويّة في تحقيق الهدف الذي يسعى له طارق ليلٍ بثت في المتلقي الفضول ليسير مع الشاعر ليلاً ليصل معه إلى أحد الأديرة، طارقاً باب راهب الدّير مؤكداً شدة الليل، وحلّته حيث الهدوء والسكنية وفي فترة إقامة طقوس الصلّاة، ولكن هذا الهدوء وهذه الطقوس سرعان ما يزولان ويتحول الدير إلى مجلس شرب حيث الحركة الدؤوب والضياء المنتشر بسبب خمر الراهب، ولعل الأبيات تعكس انفعالات الشاعر ومشاعره الجامحة التي اعتزته لحظتها، فسواد الليل لم يمنعه وأصحابه من الخروج وطلب الخمر، بل تحداه وأحياه، يقول<sup>(2)</sup>:

وربّ راهب دِيرٍ زرتَه وله      في حنّس الليل بالناقوس أصواتُ  
طرقتَه ومعِي سربٌ تخالهم      بدور تمّ لهم في الأفق هالات

(1) النواجي، تأهيل الغريب. 256.

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 107، والقائل مجهول.

بيض الوجوه غطاريف<sup>(1)</sup> إذا انتسبوا شم الأنوف كرام النجل سادات

قلت اسقنا بنت كرم قد أضرب بها من سالف الدهر أعوام وساعات

وجاء يسعى بها راحاً مشعشعةً بها تُراح النفوس الأرحيات

وترصد اللوحات الخمرية اللغة التي يتقنها الساقى للدعوة إلى مجلسه، فهو يميل إلى

توظيف المفردات الرقيقة من المعجم اللغوي، فما يكون منه إلا أن يقنع علي بن وفا السكندري إلى

الإسراع إلى الحان تلبية لدعوة الساقى، يقول<sup>(2)</sup>:

مليح دعاني بلطف المعاني لحن التفاني فأسرعت وصلًا

أما ابن فضل الله العمري فقد أحسَّ جمال المكان فَعكس للقارئ صورةً حيةً نابضةً بالحياة،

فهو مجلس في الدير بجانب منزله فلا يتكلف عناء السفر ومشقة الرحلة للوصول إلى مجلسه فهو

في جماله وحسنه آية لا يشابهه أي مجلس، فالألفة قد تحققت بينه وأصحابه في اجتماعهم في هذا

المجلس، حيث يعم المكان الغناء والطرب واللهو بالإضافة إلى الرياض التي تشقها الجداول

والأنهار، فيتوافر في المجلس الشروط اللازمة لانعقاده، فضلاً عن تداخل عنصر الحركة من

طواف الساقى وعنصر اللون في إشعاع وسنا كأس الخمر فتجتمع لتشكّل لوحة المكان الحاضرة

في مخيلة الشاعر التي دلت عليه ألفاظه، ويظهر ذلك في قوله<sup>(3)</sup>:

في جانب الدير لنا منزل ومنها لُعْزبٌ به نهلٌ

وشادني قد جاءنا أحورٌ في كفه كأس له تشعلٌ

(1) الغطاريف: السادة الكرام، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غطر).

(2) الديوان، 382.

(3) العمري، مسالك الأبصار، 447/1-448.

وروضة تشرق أنهارها      قد شققها في وسطها جدول

ومطرب تطرب أحنائه      كأنه إسحاق أو زلزل

ولعل ابن فضل الله العمري كان مشغولاً بالخمير، مصراً عليها، فها هو يصف مجلساً آخر في دير مختلفٍ، وقد أطلت عليه أحد ساقيات الدير، فتبرز له وجهها الوضاء كالقمر، فيمتع بهذا الجمال الخلاب، ويبدأ مجلسه بإعطائه الكأس الذي ببريقه أضاء عتمة الليل، ويطيب المجلس بالأحاديث والمسامرة التي تمت بينهما، يقول<sup>(1)</sup>:

وبالدير يوم أبيض لي كاسمه      وقد طلعت من جانب الدير أقمار

وقد جليت في الكأس صهباء مزرّة      تكشف منها في الدجنة أستار

وبالدير ديرانية برزت لنا      فتم لنا منها حديث وأسمار

والحديث عنده عن وصف المجالس لم يقتصر على هذا الحد، بل وصف أيضاً مجلساً في دير بلودان<sup>(2)</sup>، ووصف فيه حال غلامٍ قد تمايل من شدة الشرب حتى أصبحت عيناه سكارى، وقد رسم صورة تفصيلية لهذا الغلام ووصف محاسنه، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على الراحة النفسية ونشوة الفرح والطرب التي يحياها الشاعر في هذا المجلس، يقول<sup>(3)</sup>:

حبذا الدير من بلودان دارا      أي دير به وأي نصارى

(1) العمري، مسالك الأبحار ، 429/1.

(2) دير بلودان: بناء قديم بديع الحسن، كثير الكروم والماء الجاري بقرية بلودان، ينظر: نفسه ، 448/1.

(3) نفسه ، 449/1.

ففيهم كلُّ أحوار الطّرف أحوى      فائق الحسن في حياء العذارى  
وغلام رأيتُه كهـلـلـلـلـل      ما بدا للعيون حتى تواري  
بقوام إذا تمايلَ نشوا      نا فأحاط مقلتيه سُكاري  
ناجلُ الخصر حلَّ عُقدَ اصطباري      عندما شدَّ خصره الزُّنارا  
قبل رؤياه ما رأيتُ غزالاً      باتَ يسقي من مرشفيه العقارا

ولعل من أكثر ما ماز مجالس الخمر مصاحبة شربها للطعام فيعمد ابن حجة إلى تشخيص سفرة أحد المجالس بإنسان يدعو إلى دخول هذا المجلس الذي توجد به هذه السفرة سيجد كل ما يسر باله من طعامٍ وشراب، يقول<sup>(1)</sup>:

انظر ترانبي سُفرةً بديعةً      وإن ترد وصفي فمهما شئت قل  
وجهي ظليقٌ وأنبساطي زائدٌ      يا ضيفنا ادخل وانبسط واشرب وكن

ولما كان النديم من أهم مقومات مجلس الخمر استدعاه الشعراء، وطلبوا منه أن يبقى معهم منذ بدء المجلس إلى تفرقهم، ولكن بعض الشعراء عزّ عليه أن يجد النديم المناسب، فأثر أن يقيم مجلساً لشرب الخمر وحيداً، وعندما اختلى بخمره وجدها بكراً لم يمسه أحدٌ قبله، يقول إبراهيم الأنطاكي<sup>(2)</sup>:

إذا لم أجد خلاً وفيّاً على المدى      مقيماً على الحالين في الحرّ والبرد

(1) الديوان، 35.

(2) ابن الحنبلي، در الحبيب، 69/1.



## جلوت عروس الزّاح في وسط راحتى فعابنتها بكرأ خلوت بها وحدي

ومن هنا نلاحظ أنّ الشعراء عكسوا الواقع الذي عبّث به مجالس الخمر فهي ليست مكاناً للشرب فقط بل هو مكان لترويج الخمر ودفع الناس للإقبال عليها بعدما غدت مظهراً من مظاهر الحياة في العصر المملوكي الثاني، ولذلك حرص القائمون على هذه الأماكن من شاربين وسقاة وندماء على توفير مقومات جذب حتى القارئین ، فليست الخمر هي السبب الوحيد لإقبالهم عليها بل لأنهم وجدوا أيضاً مقومات الجمال، والراحة النفسية، والهروب من هموم الحياة ومكاناً للاجتماع بالأصدقاء والسمر والتسلية معهم، ولم تعقد في وقتٍ محدد بل كانت تعقد في أي مكان وفي كل وقت.

أما الطّرب والغناء فهما ركنان من أركان مجلس الشّراب الأساسية، ولا يكاد يخلو منها مجلس من مجالس الخمر فإذا أديرت الكؤوس عُزفت الأعواد وغنت القيان وتلك عادة عربية منقولة من الحضارة الفارسية، فالشّراب والغناء توأمان في رحم واحد فالموسيقا تؤدي دوراً ذا قيمة كبرى في مجلس الشّراب، فعنصر الموسيقى يؤلّد عند السامع حالة من الحيوية والانتباه وإرهاف الحس ويجعله أكثر قدرة على محادثة الندماء والرفاق، وهذا ما جعل الشاربين في حاجة إلى الموسيقى لتشبع حواسهم المرهفة، ولتضاعف سعادتهم بالجلسة واستمتاعهم بها<sup>(1)</sup>، فهذا ابن حجة الحموي يقول في مغن مليح يعرف بـ " الشرابي"<sup>(2)</sup>:

غنى الشّرابي وسقوا مدامةً أعذب من مودة الأجباب

شربتها عند سماع صوته سكرت في الحالين في الشّراب

(1) ينظر: المنتشة، أحلام عبد السلام، صورة الساقى في خمريات النواصي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2012، 86-87 .

(2) الديوان، 98. والشطر الثاني في البيت الثاني مكسور .

وعندما نظرق باب الغناء والموسيقا لا بدّ أن نتحدث عن أدوات اللّهُو والطّرب فلّما كان الغناء منتشراً في مجالس اللّهُو، كانت لذّة الشّراب لا تكتمل إلا باكتمال السّماع، وهكذا ظهر عندهم العود ولعلّه من أكثر الأدوات الموسيقية انتشاراً وشهرة في ذلك العصر، فانتشر بين المغنيين، وأعجب بالحانة السّامعون، وتغنّى به وبصاحبه الشعراء، وفي ذلك قال أبو بكر الدّماميني يصف عوّاداً<sup>(1)</sup>:

يا عذولي في مغنّ مطربٍ      حرّك الأوتار لّما سافرا  
كم يهزّ العطف منه طرباً      عندما تسمع منه وترا

وقال شاعر آخر في مغنّ عوّاد<sup>(2)</sup>:

فتن الأنام بشدوه ويعوده      شادّ تجمعت الفضائل فيه  
حتى كأنّ لسانه بيمينه      وكأنّ ما بيمينه في فيه

كما ذكروا أدواتٍ أخرى منها القانون فقال ابن شهيد<sup>(3)</sup>:

غنى على القانون حتى غدا      من طربٍ يهتزّ عطف الجليس  
فحنت الأرواح من شدوه      إلى أنيسٍ ياله من أنيس

وقال ابن حجر العسقلاني في جارية تضرب على الكمنجا: <sup>(4)</sup>

ما بالها هجرت وكم مرّ لي      منها الرّضى في سالف الأعصار  
وفضيت منها إذ شدت بكمنجة      ما بين سالف نغمة أوتاري

(1) السراحنة، سارة، أبو بكر الدّماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007، 178.

(2) النواجي، حلية الكميّ، 199. دون عزو

(3) نفسه، 202.

(4) الديوان، 128.

ويدعو النواجي خليله إلى سماع كمنجا استهواه صوتها، يقول<sup>(1)</sup>:

انهض خليلي وبإدار      إلى سماع كمنجا  
فليس من صدّ منا      وراح عنا كمن جا

ويذكر ابن الزين لبيكم نوعاً آخر من الآلات الموسيقية التي كانت تستخدم في مجالس

اللهو، ألا وهي الطبلخانة، يقول<sup>(2)</sup>:

منقرنا بالطبلخانة قد غدا      بفرط البها والحسن ينهى ويأمر  
ولمّا رأى عقلي على غصن قدّه      غدا طائراً أضحي عليه ينقر

كما وصف الشعراء أثر صوت المغني في مكنونات أنفسهم فبصوته ينتقلون ويرحلون

إلى عالم آخر معالمه مرسومة في خالهم فقط، لأنه يكون بعذوبة صوته وجمال ألفاظه قد خاطب

الجانب الروحي والعقلي فيهم، ومن ذلك قول ابن الزين لبيكم<sup>(3)</sup>:

بالروح أفدي مغنٍ      بديع حسن جميل  
قد حاز فيه ضروباً      فيها تحار العقول  
فالخصر منه خفيف      والرّدف منه ثقيل

ويعد الغناء من أكثر المؤثرات النفسية ، فأهل الغناء هم أكثر من يعرفون كيف يطربون

السامع، ويؤثرون في أحاسيسه ومشاعره، فمغني ابن حجة الحموي في جميع جلساته يستمتع

(1) النواجي، حلبة الكميت، 203.

(2) نفسه، 199.

(3) النواجي، حلبة الكميت ، 194 .

الحاضرون بأشعاره ولا يهتمهم إن كانت مرقصة أو مطربة باستثنائه فهو يهتم ويفتن بأشعاره ورقته، يقول<sup>(1)</sup>:

المـرغُ مفتـون بأشـعاره      لا في سماع المرقص المطرب  
إلا أنا في الشعر مع دقتي      أفتن من قول أبي الطيب

ويؤكد ابن الصاحب، أنه مواكب للحضارة، فيرسم "لوحة فنية لمغنية حذقة بحرفتها، خبيرة في اختيار أغانيها لرواد مجلس اللهو والشراب، فيشربون من يديها صرفاً أو ممزوجاً كل بحسب حاجته، وتأسرهم هي بصوتها الجميل المطرب، بل وتجعلهم يسبحون معها في عوالم لا متناهية من الخيال والحب والسعادة"<sup>2</sup>. فتسكرهم بألحانها لا بكاسات خمرهم، يقول<sup>(3)</sup>:

غنت فأغنت عن كؤوس الطلا      بالسكر من لذات تلك اللحون  
فقلت إذ هيمني صوتها      في مثل ذا الحلق تروح الذقون

ويضمّن ابن قرناص أبياته الشعرية شطراً من قصيدة بشار بن برد، عندما صدّ أحد المغنين عن مجلسهم ونلمح مدى المبالغة في قوله عندما يصف حاله يكاد يموت من جفاه ويحيون حتى لو نفخ في بعض الأحيان، فعشق هذا المغني وتعلق به وأحبه قبل أن يراه واستند في التأكيد على ذلك قول بشار بعشق الأذن قبل العين أحياناً، يقول<sup>(4)</sup>:

مشبّب بجفاه راح يقتاننا      فإن تداركنا بالنفخ أحياناً

(1) الديوان، 101.

(2) ينظر: المنته، أحلام، صورة الساقى في خمريات النواصي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2013، 175.

(3) النواجي، تأهيل الغريب، 197.

(4) الغزولي، مطالع البدور، 234.

هويتُ تشبيبه فُيبل رؤيته والأذن تعشقُ قبل العين أحياناً<sup>(1)</sup>

كما أنه في قصيدةٍ أخرى يصف أثر المغني فيه، فبصوته قد تشتعل نار الحبّ والعشق،  
يقول<sup>(2)</sup>:

عَلَّقْتُهُ مشرباً مُهفهفاً أخضع في حبي له فيشمخ

لا غرور أن تشبّ من تشبيبه نارُ الجوى أما تراه ينفخُ

ويرصد علاء الدين الوداعي صورةً أخرى يظهر فيها ويصف حاله في ليلةٍ من أجمل ليالي

العمر توجتها الصوت الجميل العذب الذي ينطلق بالغناء تحت تأثير الخمر، يقول<sup>(3)</sup>:

وليلةٍ ما لها نظير في الطيب لو ساعفت بطولي

كم نوبةٍ للفصح فيها أطرب من نوبة الخليل

ويتغنى أبو بكر الدماميني في مليحةٍ تدق بالكف فبدقتها الكف تطوف الأفراح على من

يحضر مجلسها، يقول<sup>(4)</sup>:

لقد دقت بكعبيها فتاةً صفت في فينا خلانقها ورقّت

فأفديها مغنيةً رأينا بها الأفراح حلت حين دقت

وذكر الشعراء أصواتاً أغنثهم عن صوت المغني في مجلس الشرب، فكانت بمثابة الصوت

المطرب لهم في هذه المجالس فوصفوا وأكثروا من ذكر صوت الحمام، ومزجوا صورهم لحمام

بأحاسيسهم ومشاعرهم ففخر الدين بن مكناس يعبر عن سروره وسعادته من خلال إظهار الحمام

(1) بيت بشار بن برد: يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً، الديوان، 135.

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 197.

(3) الغزولي، مطالع البدور 234/1.

(4) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني، شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007، 74.

سعيدة فرحةً ومركزاً على صوتها الذي شابه الغناء، فبدت مغنية راقصةً في روضةٍ قصدوها للشرب، يقول (1):

وكم شدتنا حمامات الأراك على أغصانها فيأله من مغنى وغناء  
ورق تغنت بجنات رقين على عيدانها فأرتنا رقص هيفاء  
من كل ورقاء في الأفنان صادحة بين الحقائق في فيحاء زهراء

وربط الشعراء وصفهم الحمامم بذكر الرياض والأشجار والأغصان، واستخدموا في المقابل الألفاظ التي تعبر عن أحاسيسهم الفرحة المسرورة مثل "الغناء"، والتغريد والتسبيح، فالنواجي قد رأى الحمام في الروضة يعبر من خلال غنائه عن غرامه وحبه المضمرة، عندما اختلى مع نفسه ساعة من الزمن، يقول (2):

وظفرت من خلس الزمان بساعة في روضة حسنت وراقت منظرا  
والورق قد غنت على عيدانها لحناً فأعربت الغرام المضمر

ويزج ابن كميل المنصوري بين صوت القيان وصوت الحمامم، يقول (3):

وشدت ورقها فكانت قياناً آتيات من لحنها بالصواب.

ويجمع صدر الدين الأدمي للقمرى لفظ التسبيح والغناء في دعوته إلى شرب الخمر،

يقول (4):

(1) الديوان، 275.

(2) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 219.

(3) الغزي، الكواكب السائرة، 91/2.

(4) السيوطي، جلال الدين، نظم العقيان، 92.

سَبَّحَ الْقَمْرِيُّ فِي الرُّوضِ وَغَرَّدَ فَحَسَبْنَا أَنْ فِي الرُّوضَةِ مَعْبَدٌ

فَاسْقِنِي الْقَهْوَةَ حَتَّى أَنْتَشِي مِثْلَ غَصْنِ الْبَانِ لَمَّا يَتَأَوَّدُ

أما ابن حجر العسقلاني فهو يبث العواطف الإنسانية في مظاهر الطبيعة، فأوراق الشجر تعجب بغناء الحمام والسحاب يهديها أمطاره وتشبه الدرر، ويعبر الشاعر عن حبه وإعجابه بأصوات الحمام التي تجلو النفوس، وتشبه صوت الآلات الموسيقية، وخاصة الريابة، يقول<sup>(1)</sup>:

غَنَى غِنَاءَ الْوُورِقِ أَوْرَاقَهَا فَتَقَطَّتْ عَجْباً بَدْرُ السَّحَابِ

فَرَاقَتِ الْأَبْصَارُ أَغْصَانَهَا وَأَطْرَبَ الْأَسْمَاعَ وَقَعُ الرَّيَابِ

أما عائشة الباعونية فجعلت أصوات الطيور تفوق أصوات الآلات الموسيقية التي لا تشبهها لأن أصوات الطيور أجمل منها، تقول<sup>(2)</sup>:

وَتَنَاغِيكَ بَيْنَهَا صَادِحَاتٌ خَرَسَتْ عِنْدَ نَطْقِهَا الْأَوْتَارِ

واستمدوا في كثيرٍ من الأحيان صورهم ومعانيهم من معاني القدماء، ومن الأمثلة على ذلك صورة عز الدين الموصلي التي أبرز فيها الأصوات وهجا فيها قوماً لا يحبون الطرب ولا الآلات الموسيقية، فهم يألفون صوت الحمار الذي ينبههم من نومهم، وقد بين الشاعر من خلال هذه الأبيات كدلالة على رفض بعض الناس سماع الغناء والموسيقى في مجالسهم، وهو يضمن بيته الثاني من شعر الفرزدق، يقول<sup>(3)</sup>:

(1) الديوان، 186.

(2) فيض الفضل، 35.

(3) ابن معصوم، علي صدر الدين، أنوار البيع في أنواع البديع، 81/6، البيت الثاني مضمن من شعر الفرزدق، ينظر: الديوان، 360.

نَادَمْتُ قَوْمًا لَا خَلَقَ لَهُمْ وَلَا مِيلٌ إِلَى طَرْبٍ وَأَسْمَارٍ

يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهْيِ حَمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْاُوتَارِ

### • أوقات الشرب

شرب العرب الخمر في مختلف أوقات حياتهم في أيامهم وحروبهم وفي أفراحهم وأعراسهم، وفي أوقات لهوهم، مما جعلهم يولعون بشربها في معظم الأوقات، " فكانوا يسمون شراب الصباح، الصبوح"، وشرب العشي " الغبوق" وشرب السحر " الجاشريّة" وشرب منتصف النهار " القيل" وشرب ظلمة آخر الليل " التغليس" وشرب النهار بأكمله " التّمهق" (1).

فشرب الناس الخمر إلى حد الإسراف حتى كاد ذلك يلهيهم عن أعمالهم ويجعلهم سكارى طوال يومهم، لا يجدون عملاً ولا يستطيعون حراكاً، فشرب الخمر يذفيء الجسم وتزيد وجناته احمراراً وأطرافه سخونة، وتفيض في أعضائه نشاطاً وانتعاشاً وحيويّة زائدة، وتكسب العقل نشاطاً وسروراً، فتشعر معاقرها بالزهو والكبر والخيلاء فيزول خوفه وتردده وجبته فيجد في نفسه شجاعة وجرأة وتكسبه تفاؤلاً واستبشاراً فتسكت أحزانه وهمومه(2)، وذكر أهل الأدب أنه لا فضيلة للسكر سوى فقدان الهموم، وقالوا وفيه مع ذلك فضيلة خفية نافعة وهي خسارة من كان متيماً على إلفه(3).

وبناء على ما تقدم فقد شرب شعراء العصر المملوكي الخمر في كل وقت وكل زمان كلما ساحت لهم الفرصة، فقد شربوا الخمر في فصول مختلفة، فشربوها في فصل الخريف الذي اعتاد الشعراء في حديثهم عنه بنعته بفصل الذّهب في إشارة إلى اصفرار أوراقه وسقوطها، فالشاعر زين

(1) حيدر، بادية، الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1986، 71.

(2) ينظر: النواجي، حلبة الكميت، 19.

(3) ينظر: الإربلي، بهاء الدين، التذكرة الفخرية، 337.



الدين بن الخراط يرسم لوحته بالألوان وينفخ في هذه الألوان من شاعريته، فقد رسم بالكلمات صورة مفعمة بالإثارة والحركة، فاستعار لسقوط الأوراق الصفراء على الخمر صورة الإنسان الذي ينقط عروساً بالذهب، يقول<sup>(1)</sup>:

أَتَانَا الْخَرِيفَ نَدِيمِي فَقَمِ      نُجَدِّدُ الرِّيَّاحَ عَيْشاً ذَهَباً  
إِذَا مَا جَلُونَا عَرُوسَ الطَّلَا      عَلَى الْغَصْنِ نَقَطُهَا بِالذَّهَبِ

وينقلنا شاعر آخر إلى مشهدٍ آخر، وقد اعتمد في هذا المشهد على امتزاج الألوان، ولعل ذلك احدث انفعالاً لدى المتلقي يزيد من توافقه مع النص الشعري، وهو يطوع اللون للتعبير عن الرؤى والأحاسيس، فيصبح ذكر اللون في البيت الشعري ذا قيمة معنوية وجمالية لا يكتمل النص إلا بها، فعلي بن أبيك الدمشقي يخاطب محبوبه ألا يخشى من فقره لأن ذهب الخريف قادم فيمازج بين لون الخمرة الفضي ولون الخريف الذهبي، ويدعون لمشاركته في شربها في هذا الفصل، يقول<sup>(2)</sup>:

لَا تَخْشِ يَا مَحْبُوبُ فَاقْتِي      فَعَنْ قَرِيبٍ ذَهَبِي يَأْتِي  
فَاذْهَبْ لِفَضِيَّاتِ ذَا بِالطَّلَا      وَاسْتَجْلَاهَا فِي الذَّهَبِيَّاتِ

أما فصل الربيع فقد أحبه الشعراء وآثروه على غيره من الفصول، لذلك كانوا يبثون الجمال في كل ما كان يحيط بهم من المظاهر الطبيعية، فكانوا يرسمون صورهم بحيث يرضون حواسهم البصرية المفتونة باستجلاء الألوان، ويرضون آذانهم المتعطشة إلى أصوات الطيور التي تصيح

(1) البدرى، أبو البقاء، نزهة الأنام، 218.

(2) نفسه، 219.

بألحانها العذبة، أكثر مما يطربها العود، كما كانوا يرضون أنوفهم بعبق الأزهار التي تماثل المسك<sup>(1)</sup>.

وتعددت صور الربيع في خيال الشعراء ورأوا في حضوره مناسبة لدعوة الأصحاب للتمتع بجماله واشتتام وروده، يقول أبو بكر الدماميني<sup>(2)</sup> موشياً بيته ببديع الاكتفاء<sup>(3)</sup>:

يقولُ مصاحبي والروضُ زاهٍ      وقد بسطَ الربيعُ بساطَ زَهْرٍ  
تعال نباكر الروضَ المفدَى      وقم نسعى إلى وردٍ ونسري

أما ابن مليك الحموي فيقتنص فرصة قدوم الربيع داعياً إلى شرب الخمر ويصفه بالخيام التي نصبت حلتها السندسية الجميلة فوق الأرض، يقول<sup>(4)</sup>:

باكر إلى زهرِ الرياضِ واسقتي      كأسَ الطلا والراحِ روحِ الأنفسِ  
أو ما ترى نصبَ الربيعِ خيامه      في الروضِ فوقَ مطارفٍ من سندسٍ  
وفي فصل الشتاء شربوا الخمر لاعتقادهم أنها تبعث الدفيء والحرارة في أجسادهم، فقد شرب ابن سودون الخمر زمناً طويلاً لتسخن جسمه في الشتاء، ولما تركها لم يقو جسمه على تحمل البرد مهما كانت شدة ضعفه لأنه اعتاد على الخمر في تدفئة نفسه، يقول<sup>(5)</sup>:

شربتُ سلافتي زمناً فكانت      تُسخنني إذا بَرَدَ الشتاء  
ومنذ تركتها لم يقو جسمي      على بردٍ ولو ضعف الشتاء

(1) ينظر: نوفل، سيد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، 206.

(2) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني، شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007، 107.

(3) الاكتفاء: حذف القافية لدلالة البيت عليها، ينظر: النواجي، كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء، 97.

(4) البدري، أبو البقاء، نزهة الأنام، 143.

(5) البغشباوي، ابن سودون، نزهة النفوس ومضحك العيوس، 52.

ويعبر ابن مكناس عن حبه لشرب الشتاء، فهو يدعو صديقه أن يغتتم شتاءه بالشرب لأنه

ستأتيه أسباب السرور، يقول<sup>(1)</sup>:

واغتم شتاءك واشرب فغد أتتك السعود

أما البرهان الباعوني فهو يسأل نديماً له يدعى إبراهيم إن كان يرغب أن يشرب قهوة يوم

الثلاثاء هي حمراء كالنار تشتعل ولكنها في الشتاء برد وسلام، يقول<sup>(2)</sup>:

هل لك إبراهيم في قهوة أرسبها يوم الثلاثاء إليك

حمراء كالنار ولكنها في البرد برد وسلام عليك

ولم يحصرهم ما تقدم لشربها في فصول معينة أو أيام معينة بل شربها كل يوم وفي كل

الأوقات، فكلما سنحت لهم الفرصة كانوا يتحلقون حول مائدة الشراب، ويحتسون الكؤوس إلى أن

تدب رعشة السكر في رؤوسهم، فبعضهم شربها ليلاً، فيطيل في شربها إلى أن يودع الناس ويشرق

الصباح معلناً سمر الليل، يقول الوداعي<sup>(3)</sup>:

وليل خلت مجلسنا سماء وصحبي كالثريا في اجتماع

فبات الطرف يرعى البدر منهم إلى أن حل منزلة الذراع<sup>4</sup>

(1) الديوان، 21.

(2) البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 18/2.

(3) النواجي، حلبة الكمي، 216.

(4) الذراع: هو خامس منازل الصيف أشدها حرًا، وهما نجمان توأمان يطلق عليهما ذراع الأسد أحدهما هو أسطع

النجوم في السماء ليلاً، وأكثرهما لمعانًا، وهو رابع جرم سماوي بعد الشمس والقمر وكوكب زهرة. ينظر: ابن منظور،

لسان العرب، مادة (ذرع).

أما جابر بن إبراهيم فيرى أن أفضل أوقات الشراب التي يقضيها بالليل يشرب حتى الصباح بلا سهد أو إعفاء، يقول<sup>(1)</sup>:

يرنو إلى النُّدْمَا فيسكُرُ طرفه غنجاً فلا سهدٌ ولا إعفاءٌ

ولما كانت التسلية والمزاح ترافقان مجلس الخمر فكانت مجالسها تستمر من الصباح حتى الليل دون أن يشعر الشاعر بالوقت، يقول النواجي<sup>(2)</sup>:

لَمْ أَنَسْ يَوْمًا لَعْبَنَا      النَّارُوزَ وَالكَأْسَ ثُمَّ لَمَّا  
وَالشَّمْسَ تَمَسُّ نَهَارًا      وَالْبَدْرَ يعلُوهُ لَيْلًا

وبيعث لون الخمرة الحيرة في وجوه الشاربين، فحينما رأوها في كاساتها وقت الظلام فقالوا هي الشمس لكن الوقت هو وقت العشاء وهذا الوقت ليس وقت طلوعها، وهكذا تأتي هذه الصورة الرائعة للكؤوس والخمر ووقت شربها، فهي شمس تطلع على الشراب لتضيء مجلسهم ثم بدلاً من أن تبقى ضوءاً خارجياً تتجه إلى الداخل وتدخل في الأعماق<sup>(3)</sup>، يقول الشهاب الحجازي<sup>(4)</sup>:

ياله من بدرٍ تمَّ مُطْلَعٍ      من حميّا الكأسِ شمساً في العِشا  
يقف الركب إذا ما أفرغت      كأسها وهنأ وإن ثملاً مشى

أما أحد شعراء هذا العصر فلم يزل صحبه على سكرهم من الليل إلى طلوع الصبح، يقول<sup>(5)</sup>:

(1) ابن الحنبلي، در الحبيب، 420/1.

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 756.

(3) ينظر: أبو ديب، كمال، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات نبوية في الشعر، 204.

(4) ابن إياس، الدر المكنون، 123.

(5) النواجي، تأهيل الغريب، 171.

يديرُ من يده خمرا ومن فمه      شهداً به لنفوس القوم لذات  
فطلّ صحبي على خير وبت به      ثم اصطحبنا فظلوا مثلما باتوا

ويصور الشاعر علي بن محمد بن أقبرس الشافعي ليلة من ليالي الشراب فكانت السماء صافية حتى أن نجوم الليل ظهرت في الكاسات فكانت الحبيب الذي يظهر على وجه كأس الخمر، يقول(1):

قد وصل الحبُّ وراق الشَّراب      وانقطع الواشي ورقَّ العتابُ  
وأنعم الليل على كأسنا      كأنها وقت التجلي حبابُ

ولعل شربهم للخمر في الليل كان سببه حتى يخنقوا عن أعين الوشاة والعدال وحتى لا يراهم الناس ولم يقتصر شربهم لها في الليل فقط فهناك من دعا لشربها طوال اليوم من الصباح إلى المساء، ومنهم أبو الفضل بن وفا الذي يدعو نديمه أن يشربها من الصباح إلى المساء دون خوف لأنه قد نال من الدهر الأمان(2):

يا أخا اللهو الأ عش وانتعش      بزمان الصّفو في صفو الزّمان  
واصطبح ثم اغتبق ثم اصطبح      لا تخف نلت من الدهر أمان

وتستمر هذه المجالس الخمرية عند إبراهيم الأنطاكي حتى الصباح والكؤوس تدار يحث بعضهم بعضاً عليها، يقول(3):

والحالُ حلا والبدرُ جلا      والطيرُ تلا والكأسُ طُفحُ  
ما زلت مسائي مغتبقاً      في الحضرة حتى الصّبح وضحُ  
فاشرب في صبحِ عبقتها      فالديك على النّدمان صدحُ

(1) البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 59/4.

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 956.

(3) ابن الحنبلي، در الحبيب، 420/1.

كما شربها علي بن محمد في الليل والفجر والضحي، فقال<sup>(1)</sup>:

تمتع ببنت الكرام في غسق الدُّجى      ولا تنس عند الفجر رشف رضاها

وزفَّ عروس الرّاح في الليل والضّحي      فشمس المحيا أسفرت عن نقابها

لكن ابن مكنس يدعو خليليه أن يشربا الخمر في الصّباح وأن يبكّرا في شربها ويدعوها

ألا يشرباها ليلاً وقد استخدم للخمر اسمًا من أسماء الخيل وهي (الكميت) ، يقول<sup>(2)</sup>:

خاليي هُبّا للصّبح وبكّرا      وحُثّا مطايا لهواه تُحمدُ السُّرى

ولا تركبا الليل البهيم بل اركبا      مِنْ المُدام كميّاً أو مِنْ الصُّبحِ أشقرا

<sup>(1)</sup>ابن الحنبلي، در الحبيب ، 68/1.

<sup>(2)</sup> الديوان ، 238.

## الفصل الثالث

### الدراسة الفنية

- أولاً: بناء القصيدة

أ. القصائد والمقطعات.

ب. حسن التخلص.

ج. خاتمة القصيدة.

- ثانياً: الأسلوب.

- ثالثاً: الصورة الشعرية

1. الصورة المفردة

2. الصورة الطويلة (الكلية).

3. الصورة المرتدة إلى الحواس.

1. الصورة البصرية.

أ. الصورة اللونية.

ب. الصورة الضوئية.

2. الصورة السّمعية

3. الصورة اللمسية.

4. الصورة الذوقية

5. الصورة الشمية

- رابعاً: الموسيقى

1. الموسيقى الخارجية.

2. الموسيقى الداخلية.

## • المبحث الأول: بناء القصيدة

"اهتم النقاد العرب بالبناء الهيكلي للقصيدة العربية، ومازوا بين ثلاثة أجزاء في بناء القصيدة العربية وهي المطلع والتخلص ثم الخاتمة، وعدّوا الشاعر الحاذق من يجيد في تحسين هذه العناصر فحثّوه على الإجابة فيها وجعلوها مقياساً في البراعة الفنيّة، ومعيّاراً من معايير المفاضلة بين الشعراء"<sup>1</sup> إذ يقول الجرجاني في ذلك: "الشاعر الحذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسمع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء"<sup>(2)</sup>.

### أ) المقطّعات

مال الشعراء في العصر المملوكي عامة إلى نظم المقطوعة الخفيفة<sup>(3)</sup>، وبديل ذلك على عدد المقطوعات التي تفوق عدد القصائد، فالقصائد التي وصلت كانت قليلة، إما لأن شعرهم لم يصل كاملاً، أو لأن أصحاب كتب الأدب لم يكونوا يسجلون القصائد كاملة إلا نادراً<sup>(4)</sup>، ويرى محمود رزق سليم أن الشعراء أعجبوا بالمقطوعات ونظموها لحبهم البديع وأصباغها، والتورية، والتشبيه، وبدافع حب التصوير والوصف، فمتى ما ابتدرت إلى أذهانهم عجلوا إلى نظمها في البيت أو البيتين، مدفوعين بحب الابتكار والإبداع والرغبة في المنافسة والتفوق، وتدل مقطوعاتهم على حضور البديهة وحسن الإيجاز<sup>(5)</sup>، فالمقطوعة تستجيب للحظة الانفعال وللفكرة العابرة التي تمرّ في ذهن الشاعر، أما

---

(1) ينظر: الصوص، جنار، شعر الخمرة في العصرين الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2013، 149.

(2) الوساطة بين المتنبي وخصومه، 48.

(3) ينظر: السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 202، والنجادي موسى، وصف الطبيعة في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 225.

(4) ينظر: محمد، محمود سالم، أدب الصنائع وأرباب الحرف، 321.

(5) ينظر: عصر سلاطين المماليك، 8 / 491 - 492.



القصيدة فتحتاج إلى إعمال الفكر وإلى التخطيط والتصوير المسبق<sup>(1)</sup>، كما أن نظم المقطوعات أسهل على الشعراء الذين لم يكونوا يحترفون الشعر بشكل جيد، وبخاصة إذا عرفنا أن ليس كل من نظم الشعر هو شاعر، فمن الممكن أن تكون الفكرة التي أراد الشاعر نظمها قصيرة لا تحتل أن تنظم في قصيدة، وأضرب مثلاً الشاعر محمد بن العفيف يصف في مقطوعة مجلساً من مجالس خمرته ويلتقط بعدسته الشعرية تحركات ساقها، يقول<sup>(2)</sup>:

سَهْرَ العيون يَلدُّ للمشِـتاق  
فاختر سهادك في الهوى عوض الكرى  
وصل المدامة والنديم ومنزل الـ  
واسكن جنان الخلد بالنار التي  
صهبا ترمق من جفون حبابها  
يسعى بها لدن القوام مهفهف  
أحداقه ملئت من الأقداح أم  
والسقم خير ملابس العشاق  
واختر فناءك في جمال الباقي  
حانات واخضع ساجداً للساقي  
لم ترم غير الهَمَّ بالإحراق  
من غير ما هدب ولا آماق  
كالغصن ماس مروثق الأوراق  
أقداحه ملئت من الأحداق

ويلاحظ أن الشعراء اعتمدوا السهولة في لغتهم والتكثيف في أسلوبهم لإيصال المعنى الجميل، ومن الأمثلة على ذلك مقطوعة للشاعر ابن أقيرس يصف ليلة زاره فيها محبوبه وكيف تجلّت النجوم فوق كأسه، يقول<sup>(3)</sup>:

قد وصل الحب وراق الشراب  
وأنجم الليل على كأسنا  
وانقطع الواشي ورق العتاب  
كأنها وقت التجلي حباب

(1) ينظر: محمد محمود سالم، أدب الصناعات وأرياب الحرف، 334.

(2) النواجي، حلبة الكميت، 163.

(3) البقاعي، عنوان الزمان، 59/4.

## ب) القصائد

اهتم الشعراء بقصائدهم في هذا العصر، ولمّا كان المطلع أول ما يتعرض له القارئ في قصيدته، كان الأجدر على الشاعر أن يحسن المطلع حتى يلقى القبول عند الآخرين. يقول حازم القرطاجني: "ويجب على الشاعر أن تكون مطالع قصائده جزلة حسنة المسموع والمفهوم لكي يقبل المتلقي عليها"<sup>(1)</sup>، ودعا النقاد العرب الشعراء إلى الاهتمام بمطلع القصيدة لما له قوة الأثر في السمع، ويدفع السامع وينبئه إلى الإصغاء إذا كان جيداً، وإن لم يكن كذلك كانت النتيجة عكسيّة وانصرف القارئ عنه<sup>(2)</sup>، ويكون المطلع حسناً بأن تكون الكلمات حسنة الدلالة على المعنى ومتمكنة، وأن تكون العبارة جزلة والمعنى شريفاً<sup>(3)</sup>، وإلى جانب حسن المطلع اشترط ابن حجة الحموي أن يكون المطلع أيضاً: "دالاً على ما بنيت عليه- القصيدة- مشعراً بغرض الناظم، من غير تصريح بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم"<sup>(4)</sup>.

والتزم شعراء العصر المملوكي بشروط النقاد في كثير من الأحيان فجاءت مطالعهم حسنة الأسلوب مانوسة الألفاظ، فكانت ألفاظها سهلة سلسة مصاغة بعبارات واضحة بعيدة عن التعقيد والغموض، ودلت على الموضوع الذي أراده الشاعر، فكانوا موفقين في الدخول إلى موضوع الخمرة، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن الزين لبيكم<sup>(5)</sup>:

قم عاطني الصهباء بالأقداح      ما بين نسرين وزهر أقاح

(1) منهج البلاغ وسراج الأدياء، 305-306.

(2) ينظر: بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي، 297.

(3) ينظر: قلقله، عبده، النقد الأدبي في العصر المملوكي، 396.

(4) خزنة الأدب، 30/1.

(5) النواجي، تأهيل الغريب، 250.

وقول فخر الدين بن المكناس<sup>(1)</sup>:

وحنًا مطايا لهوه تحمد السُّري

خليبي هُبَا للصَّبوح وبكرا

وقول ابن خطيب داريا<sup>(2)</sup>:

قد فاح زهُرُ الورد والنَّرجس

هاتِ اسقني الصَّهباءِ يا مؤنسي

وقول الشهاب الحجازي<sup>(3)</sup>:

أهيفُ القامةُ مهضوم الحشا

قام يجلو الرِّاحِ ساقِ كالرِّشا

وقول ابن صالح<sup>(4)</sup>:

فغارت شمسُ الأفقِ واعتادها المحو

ويوم به شمسُ السلافةِ أشرقت

### ثانيًا: حسن التخلص

حرص النقاد على الاهتمام بالتخلص؛ لأنه نتيجة طبيعة لوجود مقدّمة تمهد للدخول في الموضوع الرئيس للقصيدة، لذلك استرسل شعراء هذا العصر على طريقة القدماء في بناء قصائدهم، " ومن النَّاسِ من يسمي الخروجَ تخلصًا وتوسلاً<sup>(5)</sup>" يقول ابن رشيق: " الخروج شبيه بالاستطراد، وليس به، به، لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل، ثم تتماذى فيما خرجت

(1) الديوان، 75.

(2) النواجي، حلبة الكميت، 197.

(3) نفسه، تأهيل الغريب، 560.

(4) البقاعي، عنوان الزمان، 1/244.

(5) ابن رشيق، العمدة، 1/236.

إليه<sup>(1)</sup> وقد عرفه ابن حجة بقوله: "حسن التخلص هو ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاصاً شيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أُفزعاً في قالب واحد"<sup>(2)</sup>.

والتخلص مرتبط بتعدد أغراض القصيدة، وكان اهتمام النقاد القدماء به من باب المحافظة على وحدة القصيدة العضوية، إذ إنه يساعد على ربط أجزائها، ويعمل على تماسكها، أما موضوعه في شكل القصيدة فيكن تالياً لمقدمتها، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة ابن خطيب داريا التي قدّم لها الشاعر بمقدمة خمريّة بدأ فيها بدعوة نديمة إلى أن يسقيه الخمر وسط مظاهر الطبيعة الجميلة، كما كان أسلوب القصيدة يوحي بفرحة الشاعر وسعادته في هذا الجو الذي يبعث السرور والأنس، كما أن ألفاظه مزجت بالحياة الحضارية ومعانيها وابتعدت عن التكلف والصنعة يقول<sup>(3)</sup>:

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي	قد فاح نشر الورد والتّرجس
فالوقت قد راق ورقّ الهوى	وجاداً بالوصل الزّمان المُسي
والروض قد وافا بأزهاره	تتيه في زاه من الملبس
كأن من غصن البان قد الذي	أهواه في أثوابه السندس
كأن بدر التّم تحت الدّجى	جبينه البّاهر في الفندس

ثم ينتقل إلى الحديث عن الخمر، قائلاً<sup>4</sup>:

فعاطينها غير ممزوجة	عذراء تُجلى من صدا الأنفس
---------------------	---------------------------

(1) ابن رشيّق، العمدة، 234/1.

(2) خزانة الأدب، 149.

(3) الديوان، 168.

(4) نفسه، 167.

وإن يكن لابد من مزجها فمن رضاب الشادن الألعس

ومن الأمثلة أيضاً على ذلك قصيدة للدمايني حيث بدأ الشاعر قصيدته بالغزل وانتقل بعدها

إلى وصف ليلته، فكان العفاف نديمهم، وكانت كؤوس العتاب تدار بينهم، يقول<sup>(1)</sup>:

فديناه غصناً مذ تثنى تفردا  
هو الشمس لكن لا زوال لحسنه  
بجمع جمال ردّ عقلي مبددا  
أو البدر لكن ما تكلف إذا بدا

ثم انتقل بعد استرساله في غزله الرقيق إلى الوصف، يقول<sup>(2)</sup>:

وليلة بتنا والعفاف نديمنا  
وأسجع وجداً إذ أعابن قدّه  
بروضة أنسٍ قد تطابقت وصفها  
وكم بعيني ثم أعين نرجسٍ  
ندير كؤوساً من عتاب ترددا  
فأبصرت في الغصن الحمام المغرداً  
وأعرب عن لحن نبا الطير إذ شدا  
وكم راق عيني ياسمين بها بدا

أما العمري فقد حاكى سنة الشعراء العرب القدامى فهو لا يقف على الدّير ل الدّوارس ولا يدعو لسكانها بالسقيا وانهمار المطر، بل إنها ديار عامرة تجري فيها الغدران ليست موحشة، وليست قاحلة ثم ينتقل إلى وصف محبوبته ولكن محبوبته ليست امرأة بل فتى مسيحي عيونه كعيون الرئم، وجبينه كالبدر ووجنته كالورد، يقول<sup>(3)</sup>:

يا دير عزة في ربا الخمان<sup>(4)</sup>  
لم أنس في اللذات ساعة منزل  
وهناك كلُّ كحيل طرف فاتر  
ثم ينتقل إلى وصف محبوبه يقول<sup>(5)</sup>:  
درت عليك السحب بالهملان  
برياك فوق صفائح الغدران  
تعزى لواظظه إلى الغزلان  
بدر الدجى في النصف من شعبان  
قمرٌ مسيحيٌّ كأن جبينه

(1) السراحنة، سارة، أبو بكر الدمايني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 76.

(2) نفسه، 77.

(3) العمري، مسالك الأبيصار، 1/ 437.

(4) هو دير ببلاد أذرعات مبني بالحجارة السوداء، وهو من البناء الرومي القديم، الحموي، معجم البلدان، 2/ 507.

(5) العمري، مسالك الأبيصار، 1/ 438.

في وجنته جنِّي وردٍ أحمرٍ  
ما شدَّ زنارًا له في بيعه  
قد سيّجوه بأخضر الرّيحان  
إلا وحلّ عزائم الرّهبان

ومن الأمثلة أيضًا قول ابن اللوكة يمدح السلطان محمد شاه حيث ابتدأها بالحديث عن وصف الخمرة، وقد استوحى ألفاظه من عناصر الطبيعة الجميلة التي منحها أسلوبًا قويًا وموسيقا شعريّة جميلة تمثلت في ألفاظها، يقول<sup>(1)</sup>:

رقت الخمر وقد رقّ النسيم  
اسقتي الصّهباء صرفًا يا نديم  
فانجلا الدّهر سرورًا ونعيم  
قهوةً في الكأس ترمي بالشّرر  
عند رقص الحبيب بشعاعٍ كاد أن  
يغشي البصر شبه نار تلتهب

إلى أن يصل بحسن تخلصه إلى مدحه والثناء عليه، يقول<sup>(2)</sup>:

عمدة الباري محمد شاه من  
وأقام الحق سرًّا وعلن  
مهد الدنيا بُعدك مؤتمن  
فاغتدت أيامه بيضًا غرر  
سيد الخلفا مأمون الحجر  
كعبة الجود ومنهاج الرّجا

### ثالثًا: خاتمة القصيدة

اهتمّ النقاد والبلاغيون القدماء بختام القصيدة، "فهو قاعدتها وآخر ما يبقى في الأسماع، وسبيله أن يكون محكمًا لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"<sup>(3)</sup>.

إنّ ورود نهاية القصيدة بصورة أقرب إلى التوفيق يظل أمرًا ضروريًا ولازمًا من أجل احتمال مراحل العمل الفني، وقد وعي شعراء العصر المملوكي الثاني أهمية خاتمة القصيدة أو المقطوعة،

(1) البقاعي، عنوان الزمان، 3/181.

(2) نفسه، والصفحة نفسها.

(3) ابن رشيق، العمدة، 1/239.

وجعلوا منها نهاية تعلق في الأذهان، وتعذب على القلوب، لها صلة بمقدمتها ومضمونها، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن عبد السلام المنوفي<sup>(1)</sup>:

بادر إلى اللذات واعتنم الـ  
واشرب على وجه من تهوى مشعشة  
راخ تريك من الأقداح سلطنة  
كانها الشمس نوراً والمدير لها

أوقات إن صفاء الدهر ساعات  
بنورها تهدي الزهر المنيرات  
لها على الهم والأحزان غارات  
بدر الدجنة والأقداح هالات

فهو يؤكد في خاتمة قصيدته احتساء الخمر والمداومة على شربها فهي تريحه من همومه وأحزانه ويشاطره في هذا الرأي بدر الدين البشكي، يقول<sup>(2)</sup>:

وكنت إذا الحوادث دنسنتني  
لأغسل بالكؤوس الهم عني

فزعت إلى المدامة والنديم  
لأن الخمر صابون الهموم

وقال آخر يطلب في نهاية قصيدته من صاحبه أن يسرق أوقات اللذات بالشرب في كل وقت لأن العمر فان وألا يستمتع لواش، يقول<sup>(3)</sup>:

فقم تناهب اللذات سعياً  
خليلي أعلم بأن العمر فان

بقصفٍ واعتباقٍ واصطباح  
فلا تصغي إلي واشٍ ولاح

ومن لطائف ابن حجر العسقلاني في هذا الباب قوله<sup>(4)</sup>:

نحن أهل الهوى بلوناه قدماً  
وشربنا خمر الجفا كل حين

بين خوفٍ من هجره وأمان  
بكؤوسٍ قد أترعت وأوان

1- النواجي، تأهيل الغريب، 168.

2- الغرولي، مطالع البدر، 1/ 128.

3- ابن إياس، الدر المكنون، 58.

4- الديوان، 93.

أما ابن مكناس فهو يختم قصيدته بدعوته لخليبيه أن يحجا إلى الكأس العتيق حتى يؤجرا على الشرب يقول<sup>(1)</sup>:

وحجّا إلى الكأس العتيق بعزمه  
ولا تأمرا حشافي بالحج إنني  
وطوفا به لكي على الشرب تؤجرا  
أحاذرُ خوفاً أو حرّ الحجّ ينفرا

ومثال ذلك قول ابن حجة الحموي<sup>(2)</sup>:

أتى بها عاصرها في كأسها  
وقال هذي تحفة في عصرنا  
مشرفةً بأسمة كالثغر  
قلت: اسقتها يا إمام العصر

وقول أبو الفضل بن وفا<sup>(3)</sup>:

عاجل اللذات في أوقاتها  
لا تبع إلا معاطاة يد  
واغنم الفرصة من كلّ أوان  
وتوكل وعلى الله الضمان

وقول صدر الدين الآدمي<sup>(4)</sup>:

قل لساقينا إذا طاف بها  
أترع الكأس واسرع واغنم  
سحراً بين الندامى يتردد  
جمع شملي واخش أن يتبدد

وجاءت بعض نهاياتهم على شكل توبة وندم على ما قدموه في الأيام الخوالي ومن الأمثلة على

ذلك قول عز الدين الموصللي<sup>(5)</sup>:

يا رب إنّ العبد عبدٌ مذنبٌ  
قد قطف اللذات في شبابه  
وهو فقيرٌ ماله عنك غنى  
بجهاله فاغفر له ما قد جنى

(1) الديوان، 201.

(2) الديوان، 16.

(3) الحجازي، شهاب، روض الآداب، 128.

(4) الغزولي، مطالع البدر، 173/1.

(5) النواجي، حلبة الكميت، 384.



ومن الأمثلة على ذلك قول محي الدين بن قرناص<sup>(1)</sup>:

سأولي الكأس تعبيسًا وصدًا  
عزمت عن الرجوع عن الملامي  
وإن جاءتْ تُقَابِلُ بابتسام  
ومثلي من يدوم على اعتزام

### ثانيًا: الأسلوب

هو إطار الفكرة وهو القالب الذي يصبُّ فيه الشاعر أفكاره وعواطفه ومعانيه، وهو أيضاً طريقة الشاعر الخاصة التي من خلالها يعبر عن أحاسيسه، ويصور مشاعره من أجل أن يصل إلى ذهن المتلقي وشعوره<sup>(2)</sup>، وهو "المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه"<sup>(3)</sup> كما أن للشاعر أسلوبه الخاص به، فإن لأغراض الشعر أساليب خاصة بها، أو على حدّ تعبير ابن خلدون<sup>(4)</sup>: "إن لكلّ ضد من الكلام أساليب تختص به، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة".

كما تعرض عبد القاهر الجرجاني لمفهوم الأسلوب في نظرية النظم، بل يكاد يطابق بينهما بوصفهما ممثلين لإمكانية خلق التنوعات اللغوية القائمة على الاختيار الواعي والأسلوب عنده هو "الضرب من النظم أو الطريقة فيه"<sup>(5)</sup>، وهو : ترتيب مفردات اللغة ترتيباً مبيّناً على العلاقات النحوية أو معاني النحو كما يسميها، و هذا الترتيب يقع بين معاني الألفاظ المفردة، لا بين الألفاظ ذاتها<sup>(6)</sup>.

(1) النواحي، حلبة الكميت، 380.

(2) ينظر: الشايب، أحمد، الأسلوب، 44.

(3) ابن خلدون، المقدمة، 570.

(4) نفسه، 571.

(5) أسرار البلاغة، 125.

(6) ينظر: السيد، شفيق، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، 23.

والقارئ لشعر هذه الفترة يلاحظ ازدواجية أساليب الشعراء، فقد تراوحت بين أساليب تقليدية التزموها، وبين أساليب خاصة بشعر الخمرة، فقد نوعوا فيها، وصبوا فيها أفكارهم التي حرصوا على توصيلها للمتلقين، ولم يسلك شعراء الخمرة طريقاً واحداً وإنما سلكوا عدّة طرق بما يتوافق وعواطفهم المتأججة في صدورهم؛ وهذا يعني أن أساليبهم لم تأت على نمطٍ واحدٍ، وإنما شملتها عدّة أشكال وأنماط، وأجادوا في اختيارها ومن هذه الأساليب:

### • الأسلوب الزخرفي:

من الأساليب التي أكثر الشعراء استخدامها في أشعارهم أسلوب المحسنات البديعية فقد أُلوع الشعراء في هذا العصر بها، واستخدمها العرب على البديهة منذ العصر الجاهلي<sup>(1)</sup>. لعدة أسباب منها: أن القرن الثاني الهجري شهد نشاطاً كبيراً في تأليف علوم البلاغة التي تمخض عنها ولادة فن البديع، كما أن هذا الفن لقي قبولاً كبيراً من الناس بعد اشتهار أول بديعية وسيرورتها على ألسنتهم<sup>(2)</sup>، وسأبدأ بأكثرها شيوعاً بين الشعراء.

### أ- الطباق

هو "الجمع بن الشيء وضده"<sup>(3)</sup>، وكان الطباق من ضروب البديع التي اعتمد عليها الشعراء في قصيدة الخمر في هذا العصر لتحسين الكلام وتجميله، ومن الأمثلة على ذلك قول الشهاب الحجازي في وصفه لروضة حوت مجلس لهوهم، يقول<sup>(4)</sup>:

وروضة رقصت أغصانها طرباً      من شدو ورقٍ عن الألحان تغنيا  
شقيقها شق غيظاً قلب حاسدنا      وحسنٌ منثورها المنظوم يلهينا

(1) ينظر: شبيب، غازي، فن المديح النبوي في العصر المملوكي، 88.

(2) ينظر: الريدادي، محمود، ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً، 187.

(3) العسكري، أبو الهلال، كتاب الصناعتين، 339.

(4) السيوطي، جلال الدين، كوكب الروضة، 367.

فهو يطابق بين المنثور والمنظوم.

وقال أبو الفضل بن أبي الوفا<sup>(1)</sup>:

يسعى إليّ بكاسات قد استبقت  
وللكؤوس ابتسام حال قهقهة  
لمهجتي من فمي تسعى على الرووس  
وللغيوم بكاء حال تعبيس

فهو يطابق بين الابتسام والتعبيس وبين القهقهة والبكاء.

وقال ابن حجر العسقلاني<sup>(2)</sup>:

لقد تعطينا فرد جوابنا  
وإن نأى الساقى فنوحوا معي  
تروى وهذا الوقت وقت الرواء  
شوقاً فإني لا أطيق النواء

وهو هنا يطابق بين التعطيش والرواء

### ب- الجناس

اهتم شعراء هذا العصر بالجناس ووظفوه وتلاعبوا به في أشعارهم الأمر الذي أظهر قدرتهم على التعامل مع أنواع البديع المختلفة والجناس تشابه اللفظتين في النطق تشابهاً تاماً أو جزئياً مع اختلافهما في المعنى<sup>(3)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك قول أبي الفضل بن أبي الوفاء<sup>(4)</sup>:

وكان الطير لما أن شدت  
فقد جانس بين كلمتي (مغانٍ ومغان) جناس تام  
في ربا الروض مغانٍ في مغانٍ  
ومن الأمثلة أيضاً قول ابن حجة<sup>(5)</sup>:

في ليلة أفراحٍ كأن هلاله  
لشرب ما بين الندامى زروق  
حتى استظل الفجر يطعن في الدجى  
فهو السنان أو العدوالأزرق

(1) الحجازي، الشهاب، روض الآداب، 129.

(2) الديوان، 98.

(3) ينظر: العسكري، أبو هلال، الصناعتين، 337.

(4) حروب، إسماعيل، شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء، 173.

(5) الحموي، ابن حجة، خزنة الأدب، 76/1. والأبيات غير موجودة في الديوان.

جانس بين كلمتي (زورق والأزرق) جناس لاحق<sup>1</sup>

وقال مجد الدين بن مكناس<sup>(2)</sup>:

أدارَ الهوى كأسَ المحبّة ملآنا      فلا تعجبوا إن رحّت في الحبّ نشوانا

وكان قد جانس بين كلمتي (المحبّة والحب)

وقول الشهاب الحجازي<sup>(3)</sup>:

يسعى لنا بشمولٍ من شمائله      وبالخدودِ يحيّنا فيحيّنا

فقد جاء الجناس عنده في كلمتي (يحيينا ويحيينا)

وقول النّواجي في قصيدة يستعدي بعض أصحابه<sup>(4)</sup>:

وفي مجلس أنسي      آيات ذكرك تتلى

فانهض لشربِ شمولٍ      واجمع لنا بك شملاً

فجاء فن الجناس في الأمثلة السابقة لطيفاً لاستكراهيه في هولا تكلف، وقد زاد من الإيقاع الموسيقي في الأبيات.

### ج- التورية

رأى ابن حجة أن التورية من "أعلى فنون الأدب وأعلى رتبة"<sup>(1)</sup> ومعناها أن يذكر المتكلم لفظاً

لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجازاً أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد

(1) وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف بحرف آخر من غير مخرجه ولا قريب من. ينظر: ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، 140/1.

(2) الديوان، 102.

(3) الحجازي، روض الآداب، 118.

(4) النواجي، تأهيل الغريب، 753.



لَيْتَهَا السُّكْرَ لِي فَحِينَئِذٍ

سَأَلْتُمْ أَنْ الْعَجُوزَ قَوَادَةَ

فلفظة (عجوز) معناها القريب المرأة المتقدمة في السن، أما المعنى البعيد فهو اسم من أسماء الخمر، وهو المقصود، فيشكل هذا التركيب اللغوي كسرًا لتوقع المتلقي فالسحابة تجود بالمطر، ولا تسقى الخمر، ويشبه السحابة بالفتاة المتعصية الممتعة التي لم تسلم نفسها له، غير أنها لانته بفعل هذه العجوز فالخمر تفعل بالعقل وتسيطر على النفس بلذتها ما تصنعه العجوز القوادة التي تذلل الصعاب لأجل لقاء المحبين.

### • الأسلوب التقريري

استخدم الشعراء الأسلوب التقريري، وذهبوا إليه لتأكيد معنى من المعاني ومن ذلك:

**التكرار:** وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد<sup>(1)</sup>. ومن الأمثلة على ذلك قول ابن خنيط داريا<sup>(2)</sup>:

كأئما الأغصان غيدٌ وقد	لبسن أثوابًا من الأطلس
كأئما شحورها راهبٌ	يردد الإنجيل في برنس
كأئما صغيرها عاشقٌ	صبَّبْ بأثواب الضنا مكتسي
كأن غصن البان قد الذي	أهواه في أثوابه السندس

ويقول أبو الفضل ابن أبي الوفاء<sup>(3)</sup>:

ذَكَرَاهُ صَفْوُ أَيَّامٍ مَضَتْ	حَيْثُ صَفَّتْ مِنْبَعُ الْهُوَ دَنَا
----------------------------------	---------------------------------------

(1) ينظر: عبد الهادي، حسن، دراسة شعر تاج الملوك يوري بن أيوب، 69.

(2) الحجازي، الشهاب، روض الآداب، 56.

(3) حرروب، إسماعيل، شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء، 191.

حيث نجم الزهر في أفق الرُّبا      والظُّلا والكأسُ فيه نيرانُ  
حيث أفلاك الهوا دائرةٌ      ولذي الشمس بذو البدر قِران

والتكرار لا يكون باللفظة فقد يكون التكرار بالأصوات فالتكرار يؤثر في تعميق المعنى وزيادة بيانه وتتخطى فائدته إلى الفائدة الصوتية أو النغمية، فاللفظة مكونة من مجموعة أصوات يكون في تكرارها ترديد للأصوات ذاتها، فيساعد ذلك على إيجاد نغم لا ينفصل عن المعنى<sup>(1)</sup> فتكرار حرف بعينه يحدث انسجاماً موسيقياً، فالتكرار عند ابن فضل الله العمري يلعب دوره في التأكيد على أهمية المكان فتتابع حرف الدال والراء في عجز البيت يبين مدى حبه وتعلقه به، يقول<sup>(2)</sup>:

جلتها كأن الطور جانب كأسها      والآريا دارين من دونها دارُ

وقول أبو الفضل بن أبي الوفاء في تكراره لحرف الحاء في بيته<sup>(3)</sup>:

رح إلى الرّاح على رغم الصّحا      ولحا الله عليها من لحا

### • الأسلوب القصصي:

استخدم شعراء العصر المملوكي الثاني أساليب كثيرة لإيصال أفكارهم إلى السامعين والمتلقين ولهذا الشعر، ومن أهم الأساليب التي استخدموها هم ومن قبلهم من الشعراء الأسلوب القصصي، فقد مال الشعراء إلى القص والسرد في بعض الأحيان، فالشعر القصصي يصف نواحي المجتمع، وقد

(1) ينظر: العيكل، عهد، الصورة الشعرية عند ذي الرمة، 237.

(2) غريب، علي، شعر ابن أبي فضل الله العمري، جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2008، 225.

(3) لنواجي، تأهيل الغريب، 244.

قصر شعراء العصر الملوكي الثاني في ميدانه، وفي مجال القص والتفصيل والتحليل والتعليل<sup>(1)</sup>، ومن الأمثلة على الأسلوب القصصي قول المنوفي الذي سار على نهج أبي نواس في سرد قصته مع أصحابه<sup>(2)</sup>:

وربّ ديرٍ طرقتنا بابه سحرًا  
في فتية كالنجوم الزهر أوجههم  
فقال راهبه: من ذا فقلت له  
فقام يسعى إلى إكرامنا عجلًا  
وللنواقيس في أعلاه أصوات  
منيرة أشرفت فيها الدجئات  
قوم السبيل لهم في الدار حاجات  
وقال بشراكم عندي المسرات

ومن الأمثلة على السرد القصصي أبيات للنواجي يروي فيها كيف زاره محبوبه في ليلة شديدة الظلمة خوفًا من العوازل مستخدمًا الألفاظ السهلة الواضحة البعيدة عن الألفاظ الصعبة فيعيش المتلقي القصة بتفاصيلها، يقول<sup>(3)</sup>:

لم أنس ليلة زارني مُختفيًا  
حيث الهلال مسامري ونجو  
لا واشيًا فيها سوى قمرٍ  
من خده ورد ومن فمه  
ساقٍ أغنّ مهفهف غنج  
يا ليلة يحيى النفوس بها  
خوف العوازل في دجى الشعير  
مُ الزاح تطرد كوكب الفجر  
رقيب غير الأنجم الزهر  
نُقلي ومن رشقاته خمري  
يشد ومن نغماته شعري  
ما كنت إلا ليلة القدر

(1) ينظر: سليم، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك، 8 / 198.

(2) ابن إياس، الدر المكنون، 42.

(3) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 341.



إن الاستقراء الدقيق لهذه القصة، يجعل المتلقي يتخيل ما كان يدور في مجالس الخمر، من خلاعة ومجون وتجاوزات، فاجتماع العناصر البشرية، من ساق ومغن ونديم، مع العناصر المادية، من خمر وورد وغناء، يمكن أن يقود إلى ألوان شتى من الانحرافات؛ تنفيساً عن الرغبات وتحقيقاً للشهوات.

واستخدم الشعراء أسلوب الحوار، وهو ما يسمى بالمراجعة، ورأى ابن حجة أن المراجعة ليس بها كبير أمر، يقول: "ولو فَوْضَ إليَّ حَكْمٌ في البديع ما نظمتها في أملاك أنواعه"<sup>(1)</sup> واستخدم القدماء هذا الأسلوب في شعرهم ومن بعدهم شعراء هذا العصر، يقول ابن حجة في هذا الأسلوب<sup>(2)</sup>:

قالت ثغورُ الأقبوان بأنها	تحكيه نشرًا قلتُ: لا تتفوهي
والكأسُ قال: أنا أحَاكي ثغره	فعليه أفواهُ القناني قهقهي
تفاحة الشَّاميِّ في وجناته	كم قال: يا عينَ المُحبِّ تفكَّهي.

#### • الأسلوب الإنشائي

لجأ شعراء العصر المملوكي الثاني إلى تكثيف استعمالاتهم لأساليب الإنشاء والتنويع فيها وعبروا من خلالها عن حُبهم لخمرهم، وقد ساعدتهم هذه الأساليب على توصيل تجاربهم للمتلقين وكانوا على علمٍ بوظائف الأساليب التي نجحوا في توظيفها، ومن هذه الأساليب:

#### أ- أسلوب النداء:

أكثر الشعراء من استخدامهم لهذا الأسلوب بغرض لفت انتباه السامع إلى ما يدور في مجلسهم الخمري حيث اصطحاب الندماء والقيان، كقول ابن حجة<sup>(1)</sup>:

(1) خزانة الأديب، 1/ 218.

(2) الديوان، 49.

نـدـيـمـي لا تـسـقـتـي  
ودع كأسها أطلسا

وقول أبي الفضل<sup>(2)</sup>:

يا أخوا اللهو ألا عش وانتعش

وقول الشهاب المنصوري<sup>(3)</sup>:

يا ليلةً بات كأس الثغر مغتبي

وقول فخر الدين بن مكاس<sup>(4)</sup>:

خليلي هباً للصبح وبكرا

وقول ابن زقاعة<sup>(5)</sup>:

ألا يا مدير الكأس صرح بذكر من

وقول النواجي<sup>(6)</sup>:

بالله يا صاح قم وباكرا

تشبع نخلاً به وكرما

سوى الصرْف فهُوَ الهني  
ولا تسقني مع دني

بزمان الصفو من صفو الزمن

فيها فذاك سواد القلب والحدق

وحشا مطايا لهواه تُحمد السُري

له معجزات قاطعات بلا حد

بستان لهو حوى نعوتا

مزيباً يانعاً وتوتا

(1) الديوان، 98.

(2) حروب، إسماعيل، شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء، 123.

(3) النبهاني، المجموعة النبهانية، 2/ 229.

(4) الديوان، 74.

(5) الديوان، 83.

(6) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 210.

## ب- أسلوب الاستفهام

أكثر شعراء العصر المملوكي من استخدام أسلوب الاستفهام ومن الأمثلة عليه قول النّواجي<sup>(1)</sup>:

من أين للخمر تلك النكهة العطرة؟

يا من يقول بأن الخمر ريقته

فقد خرج عنده الاستفهام إلى التعجب

وقول أبي الفضل بن أبي الوفاء<sup>(2)</sup>:

بما أدارته من كأس وصهباء

أبدت مقبلها سمراء قد فتنت

بالماء في النّار أم بالنّار في الماء؟

بأي معجبةٍ من ذا وذات وأتت

وقول ابن عبد السلام المنوفي<sup>(3)</sup>:

بقربكم والتّام الشّمل عودات؟

أحبابنا هل لأوقاتٍ لنا سلفت

كأسٍ وتقضي لنا منك لبانات؟

وهل نعود كما كنّا وتجمعنا

وقال الشهاب المنصوري<sup>(4)</sup>:

لطفنت شكلاً ومعنى

بنيت كرم خندريس

هي في الكاسات أم لا؟

لست أدري من سناها

وقول مجد الدين بن مكناس<sup>5</sup>:

أم خمرةٍ عتقها القاصد؟

أمن زلال ريقك العاطر

(1) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي ، 191.

(2) ابن إياس، الدر المكنون، 42.

(3) غريب، علي، شعر ابن فضل الله العمري، 97.

(4) النبهاني، المجموعة النبهانية، 2/ 225.

(5) الديوان ، 65

### ج- أسلوب النهي:

أكثر شعراء العصر المملوكي من استخدام أسلوب الاستفهام ومن الأمثلة عليه بيت النواجي<sup>(1)</sup>:

فلا تشرب بأقداح صغار      فإن النفس قد سئمت وملت

وقول فخر الدين بن مكناس<sup>(2)</sup>:

ولا تركبا الليل إليهم بل اركبا      مدام كميّت من الصبح أشقرا

وقول ابن التعاويذي<sup>(3)</sup>:

إذا اجتمعت في مجلس الشرب سبعة      فبادر فلا التأخير عنه صواب  
شواغٍ وشمام وشهد وشادن      وشمعٌ وشادٍ مطربٍ وشرابُ

وقول ابن وفا الشاذلي<sup>(4)</sup>:

إلا لا تلوموني فليست بمقلع      إذا انحدرت من كأسها الخمر في حلقي  
سأوي إلى بحر من الزاح مترعًا      أحط المراسي عنده فأملني لي واسقي!

### د- أسلوب الطلب:

ويقصد به طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، والاستعلاء هو أن ينظر الأمر على أنه

أعلى منزلة ممن يخاطبه سواء أكان أعلى منزلة أم لا<sup>(5)</sup>.

(1) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 230.

(2) الديوان، 42.

(3) النواجي، حلية الكميّة، 134.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور، 1/ 811.

(5) ينظر: عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، 81، 83.

ومن الأمثلة على ذلك قول الطريفي<sup>(1)</sup>:

أليق بالأوتار طول سكاتها؟  
وأقم صلاة اللهو في أوقاتها

يا صاح قد نطق الهزار مؤذنا  
فخذ ارتفاع الشمس من أقداحنا

وقول ابن العبي الحلبي<sup>(2)</sup>:

ولا تنس عند الفجر رشف رضاها  
فشمس المحيا أسفرت عن نقابها

تمتع ببنت الكرم في غسق الدجى  
وزف عروس الرّاح في الليل والضحي

وقول ابن خطيب داريا<sup>(3)</sup>:

قد فاح نشرُ الورد والنرجس

هات اسقتي الصهباء يا مؤنسي

وقول إبراهيم الأنطاكي<sup>(4)</sup>:

فزنّاد الخمرة فيه قدح  
واجنح مرحا فالجنح ملخ  
بالبسّيط أكاد أطيّر فرح

باكر يا صاح لرشف قدح  
واشرب قدحا وانف ترحا  
بكر بالكأس إذا جليت

وقول جابر بن إبراهيم<sup>(5)</sup>:

غفل الوشاة وغابت الرقباء

فاشرب ولا تدع السرور بها فقد

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 11 / 199.

(2) الطباخ، إعلام النبلاء، 2 / 102.

(3) الديوان، 168.

(4) ابن الحنبلي، در الحبيب، 1 / 68.

(5) نفسه، 1 / 69.

وقول الدماميني<sup>(1)</sup>:

وقد بسط الزبيح بساط زهر  
وقم نسعى إلى وردٍ ونسري

يقول مصاحبي والورد زاه  
تعال نباكر الرّوض المفدى  
هـ- أسلوب الشرط:

ومن الأمثلة عليه قول ابن فضل الله العمري<sup>(2)</sup>:

ما بدا للعيون حتى تواري  
نا فأحافظ مقلتيه سُكاري

وغلام رأيتُه كهلالٍ  
بقوامٍ إذا تمايل نشوا

وقول بدر الدين البشتكي<sup>(3)</sup>:

فزعتُ إلى المدامة والنّديم  
لأنّ الخمر صابون الهموم

وكنتُ إذا الحوادثُ دنسنتني  
لأغسل بالكؤوس الهمّ عني

وقول ابن حجة الحموي<sup>(4)</sup>:

أهيمُ كأنّي قد شملتُ من السُّكرِ  
لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري

فيا جيرة العاصي إذا ذقتُ ماءكم  
ولولا بقايا طعامه في مذاقي

وقول الشهاب الحجازي<sup>(1)</sup>:

(1) سراحنه، سارة، أبو بكر الدماميني، شاعرًا وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 107.

(2) العمري، مسالك الأبيصار، 1/ 449.

(3) الغزولي، مطالع البدور، 1/ 138.

(4) الديوان، 135.

فإذا البدر رآه دهشاً  
نحو صاحٍ من نداماه انتشى

جمع الحسن جميعاً وجهه  
وإذا مقلته السكرى دنت

وقول المقر الأميني<sup>(2)</sup>:

تهادى بها نشوان يمشي ويعثر

وإن أزشفتة من رضاب زلالها

وقول صدر الدين الآدمي<sup>(3)</sup>:

رضابٌ وما في وردنا من مصادر

إذا وردنا تلك الخدود وخرنا

## و- التواصل بالموروث

وهو من السمات الأسلوبية، فقد تواصل الشعراء مع التراث، الأمر الذي عكس ثقافتهم وسعة اطلاعهم على العلوم الأخرى، ولما كان القرآن الكريم مصدرًا مهمًا من مصادر ثقافة الشعراء تأثروا به، ووشحوا أشعارهم به، ليزيد تعبيرهم قوةً ويكسب المعنى الذي يريدونه وضوحًا وجمالاً، ومن الأمثلة على ذلك قول فخر الدين بن مكاس<sup>(4)</sup>:

تسرع في استعلائها والأياب  
أسرع فانقضَّ عليه شهاب

شبهت أقداحهم إذا غدت  
بماردٍ يسترق السمع قد

(1) ابن إياس، الدر المكنون، 123.

(2) النواجي، تأهيل الغريب، 399.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 95/8.

(4) الديوان، 91.

والبيت الثاني فيه اقتباس من قوله تعالى: "وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا"<sup>(1)</sup>.

وقول صدر الدين الآدمي<sup>(2)</sup>:

فكم ليلةً بتنا يهدد فجرها  
فلم يتنفس صُبْحَهَا أَبَدًا وَإِنْ  
تدير علينا أكْوَسًا من مدامه  
بثعبان شعرٍ أزرق اللونِ ماهرٍ  
أفاق تغشته بتلك الضفائرِ  
يداها وأخرى بالعيون الفواترِ

اقتباس من قوله تعالى: "والصبح إذا تنفس"<sup>(3)</sup>.

أما التواصل بالحديث الشريف فقد جاء قليلاً ومن الأمثلة عليه قول أبي بكر الدماميني<sup>(4)</sup>:

قَلْتُ لَهُ وَالِدُجِي مَوْلٌ  
قَد عَطَسَ الصُّبْحُ يَا حَبِيبِي  
وَنَحْنُ فِي الْأَنْسِ بِالتَّلَاقِي  
"فلا تشتمته بالفراق"

اقتباس من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته"<sup>(5)</sup>.

"إن استعمال المفردة القرآنية أمر ظاهر عند شعراء العصر، وهذا التوظيف في شعرهم لا يدل على حسهم الديني، فلو كان ناتجاً من حس ديني لما تجرؤوا على كتاب الله وهم موقنون بحرمه الخمر، ولكنهم كانوا ينظرون إلى القرآن الكريم على أنه مصدر من مصادر اللغة بعيداً عن طابع القداسة"<sup>6</sup>.

(1)الجن، 9.

(2)النواجي، تأهيل الغريب، 449 - 450.

(3)التكوير، 18.

(4) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 117.

(5) النووي، أبو زكريا، رياض الصالحين، 365.

(6) الشروف، فواز، شعر الخمر في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 160.



وقد طرز شعراء العصر المملوكي شعرهم ببعض أقوال من سبقوهم إظهارًا منهم لسعة الباع وطول النظر في التراث، وكان هذا الصنيع يروق للصفوة المتأدبة التي فتنت بالقديم، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن قرناص الذي زين أبياته بشطر من شعر بشار بن برد في البيت الثاني<sup>(1)</sup>:

مشبب بجفاه راح يقتاننا      فإن تداركنا بالنفخ أحياننا  
هويت تشببيه قبيل رؤيته      والأذن تعشق قبل العين أحياننا

وقول فخر الدين بن مكنس الذي رصع نصه بشعر أبي الطيب المتنبي في وصف مجلس

ليلي<sup>(2)</sup>:

انظر لمجلسنا وكاسات بدت      (منها الشموس وليس فيها المشرق)  
والشمع في رهج وفرط تقلق      (وجوى يزيد وعبرة تترقرق)  
ويقول لي متشكيًا ومباهًا      (أرق على أرقٍ ومثلي يأرق)

### المبحث الثالث: الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية ركيزة أساسية من ركائز العمل الأدبي، فهي تمثل جوهر الشعر وأهم وسائل الشاعر في نقل تجربته، والتعبير عن واقعه، وبعد مفهوم الصورة الشعرية من المفاهيم المعقدة شديدة الاضطراب وذلك لتشعب دلالاته الفنية المعقدة<sup>(3)</sup>.

والصورة الشعرية مصطلح حديث صيغ نتيجة التأثر بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها، فمصطلح الصورة بصياغته الحديثة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب غير موجود صراحة، أما القضية التي يثيرها هذا المصطلح الحديث فموجودة في التراث وإن اختلفت طريقة

(1) الغزولي، مطالع البدر، 234.

(2) الديوان، 40.

(3) ينظر: الشناوي، غلي الغريب، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، 17.

العرض والتناول، أو تميزت جوانب التركيز والاهتمام، لكن الصورة الفنية هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر وقد تتغير مفاهيمها بينما يظل الاهتمام بها قائماً ما دام هناك شعراء يبدعون، ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه<sup>(1)</sup>.

وقد اختلفت الآراء حول مفهوم الصورة الشعرية وتعددت الدراسات حولها، ويكاد يحصر المدلول اللفظي للصورة في الجانب المادي المحسوس من الكلام، واللفظ يقابل المعنى وذلك ضمن النقد العربي القديم، مع أن الصورة قد رست بعمق، ولكنها لم تكن تعرف بغير التشبيه والاستعارة والمجاز والكنائية، وذلك لقوة التيار البلاغي آنذاك<sup>(2)</sup>.

ولتعريف الصورة الشعرية فقد تميز في تاريخ تطور الصورة مفهومين: قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز، وحديث يضم إلى الصورة البلاغية نوع آخر وهو الصورة الذهنية<sup>(3)</sup>، وقد اجتهد النقاد في وضع تعريفات لها منها: "أن الصورة هي الصوغ اللساني المخصوص الذي بوساطته يجري تمثيل المعاني تمثيلاً جديداً ومبتكراً بما يحيلها إلى صورة مرئية معبرة، وذلك الصوغ المتميز والمتفرد هو عدول عن صيغ إحالية من القول إلى صيغ إيحائية"<sup>(4)</sup>.

ومنها تعريف أحمد الشايب الذي عدّ أن هذا المجال ومفتتح الدرب، فأثمر سعيه إلى أكثر من مفهوم فهو يقول: أنها الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه

---

(1) ينظر: عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، 7-8.

(2) ينظر: الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي، 12.

(3) ينظر: البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، 15.

(4) عباس، إحسان، فن الشعر، 230.

وهو يقرر ثانيًا: إن الصورة الأدبية لها معنيان: أحدهما ما يقابل المادة الأدبية ويظهر فيها الخيال والثاني: ما يقابل الأسلوب ويتحقق بالوحدة<sup>(1)</sup>.

ويرى جابر عصفور تعريفًا للصورة الفنية يرتضيه ويطمئن إليه وهو قوله: "إن الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير ووجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير ولكن أيًا كانت هذه الخصوصية أو ذلك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته لأنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه"<sup>(2)</sup>.

وهناك تعريفات كثيرة وأخرى لا مجال لذكرها جميعًا لأنها تصب في النهاية في الوعاء نفسه فالصورة الشعرية معيار لإبداع يعبر الشاعر بها عن أحاسيسه وأفكاره وتجربته، وتعمل على تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة للكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون والمبنى بطريق إيحائية، وتعد الصورة الشعرية إعادة إنتاج عقلي، وذكرى لتجربة عاطفية و إدراكية عابرة تؤلف بين المتباينات، وتبث الحياة في الجوامد، وتجمع بين المتناقضات وتتمثل قوة الشعر في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصورة لا في التصريح بالأفكار المجردة ولا في المبالغة بوصفها<sup>(3)</sup>.

ومن هنا فقد اهتم شعراء العصر المملوكي الثاني بالصورة اهتمامًا بالغًا واعتمدوا الأسلوب الفني التصويري في نقل أفكارهم ومشاعرهم سواء أكان ذلك بالأساليب البيانية المعروفة أم بالوصف الذي يعتمد على ظلال الكلمات وإيحاءاتها في رسم المشهد وإشاعة الجو الذي يريده الشاعر لذا فقد تجلت

(1) ينظر: أصول النقد الأدبي، 242.

(2) الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، 171.

(3) ينظر: التميمي، حسام الصورة الشعرية في شعر القدسيات زمن الفتح 583هـ، مجلة جامعة النجاح، مج 13، ع (2)، 1999، 523.

الصورة الشعرية عندهم بأنماط عدة، ولم تكن كل صورة قائمة بذاتها بل تألفت الصورة الشعرية جميعها في تشكيل النص الأدبي الكامل، وما هذا التقسيم إلا شكل من أشكال تنظيم الدراسة وتبويبها.

## أ- الصورة المفردة

وهي أصغر وحدة تعبيرية تمثل جزءاً تصويرياً دلالاته النفسية والمعنوية، وتتألف الوحدات وتتفاعل فيما بينها لتصل إلى الصورة المركبة التي تعكس رؤية الشاعر وهي الأشمل والأكثر تعقيداً، ذلك لاشتمالها على صور عدة مفردة مبنية بناءً محكمًا من خلال علاقات خاصة معنوية ونفسية، ومثل هذه الصورة تتشكل من خلال التشبيه والتشخيص والتجسيم وتراسل الحواس وغيرها ولذا فإن الصورة المفردة هي من مكونات التصوير، وهي تأتي متلائمة مع غيرها من عناصر التشكيل للفضاء الشعري<sup>(1)</sup>، ومن الأمثلة عليها قول أبي الفضل بن أبي الوفا<sup>(2)</sup>:

والثغر كالكأس ترشأفاً ومبتسمًا      أخذتُ منه على الحالين مشروبي

فقد شبه ثغر محبوبته بكأس الشراب فحلت الخمر والمرأة في نسيج واحد، وما اجتماعهما إلا من وحي السعادة التي يحيها الشاعر، ويثري التشبيه بالحركة، فالعلاقة بين المشبه والمشبه به علاقة انصهار واتحاد، حيث يتحول المشبه إلى كائن حي، يقول<sup>(3)</sup>:

فلؤلؤات الطلا في الكأس قد نثرت      كالعقد في الثغر سلكُ ذاك مرتبط

(1) ينظر: غنيم، كمال، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، 206.

(2) الحروب، إسماعيل، شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء، 231.

(3) النواجي، تأهيل الغريب، 913.

فشبه حباب الخمر الذي تتأثر على حرف كأس الشراب، وحدود الكأس يمسه من الانفلات  
فينتظم على حوافه، بالعقد الذي انتظمت حباته بالسلك، وما هذا التشبيه إلا نتيجة الشعور بالارتياح  
والسعادة الكبرى حين يصف حباب الخمر بالجواهر النفيس.

أما إبراهيم بن عمر البقاعي فهو يشبه مرور ليالي الأتس والسعادة بالبرق فهي تنقضي بسرعة  
دون أن يرتوي منها ويتمنى عودتها قبل أن يموت ويدفن في قبره، يقول<sup>(1)</sup>:

يا رعى الله هاتيك الليالي      مثل برقٍ سرى وما نلت قصدي  
يا تُرى هل أفوز فيها بعودٍ      قبل ألقى مثل الركاز<sup>(2)</sup> بلحدي

وأخذ الشاعر أحمد بن محمد بن مظفر صورته للسحاب من مجالس الخمر، فجعله ساقياً وجعل  
نبات الروض ندماء، يقول<sup>(3)</sup>:

كأن السحاب الجون<sup>(4)</sup> ساق مطاوعٍ      يطوف على شرب الرياض بأكؤسٍ

ويشبه ابن فضل الله العمري حال السكارى الذين افترشوا الأرض، ولم يعودوا قادرين على  
الحراك بفعل تأثيرها في عقولهم وقوتهم بحال من أصابه الجن فيتخبط على غير هدى، يقول<sup>(5)</sup>:

فما لكم في الأرض صرعى كأنكم      سُقيتم جميعاً من سلافة جان

1- البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 81/2.

2- الركاز: قصد الشاعر بها الميت المدفون في الأرض، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "ركز"

3- البقاعي، برهان الدين، عنوان الزمان، 1/ 231.

4- الجون: اللون الأبيض والأسود، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (جون).

5- غريب، علي، شعر ابن فضل الله العمري، 284.

ومن الصور الجميلة تشبيه فخر الدين بن مكنس للإبريق في يد الخمار، وهو يسكب الخمر  
بالأم التي ترضع ولدها أو بالمجوسي الذي يسجد حول مجامر النار، استغرافاً منه في السكب وكرم  
صاحبها، يقول<sup>(1)</sup>:

إبريقنا عاكفٌ على قَدحٍ      كأنه الأم ترضعُ الولدا  
أو عابداً من بني المجوس إذا      توهم الكأس شعلة سجدا

ب- الصورة الطويلة (الكلية)

تعدّ هذه المحصلة النهائية التي تصور الرؤيا المتكاملة للشاعر، وتشكل بجملتها قصيدة متكاملة  
يجمعها خيط نفسي واحد وفكرة واحدة، وتظهر في هذه الصورة وحدة المشاعر التي انطلقت منها  
الأفكار والرؤى؛ ذلك لأن الوحدة العضوية هي وحدة الصورة وهي بالضرورة وحدة الإحساس أو هيمنة  
إحساس واحد على القصيدة كلها، وعلى هذا فالوحدة العاطفية هي دليلنا إلى تحقيق الوحدة  
العضوية<sup>(2)</sup>.

ويتحقق تأثير هذه الصورة بتآلف عناصر العمل الأدبي حتى يتم نقل تجربة الشاعر، كما  
يتوجب اتحاد الصورة بعناصر العمل الفني من عاطفة وخيال خوفاً من أن تفقد روحها في التأثير  
بشخصية المتلقي<sup>(3)</sup>. ومن الأمثلة عليها قول الشهاب المنصوري الذي يصف روضاً ضحكت أزهاره  
وتفتحت من بكاء السحب التي استترت وراء الشمس، وقد استلهم من مجلسه صورة الغصون التي

(1) الديوان، 48.

(2) ينظر: العشماوي، محمد زكي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، 108-110.

(3) ينظر: ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، 274.

سكرت بكأس المطر ورسم للحمام صورة القيان التي أتت من غنائها بالألحان الصائبة الجميلة، فرسم هذه المعاني وجمعها في لوحاتٍ متكاملة حتى تكون صورة على أروع وأجمل الصور، يقول<sup>(1)</sup>:

ضحك الرّوضُ من بكاء السّحابِ  
وتثنت هَيْفُ العُصونِ سكارى  
وتوارت شمس الضحى بالحجابِ  
وتثنت هَيْفُ العُصونِ سكارى  
مذ أدار الغمامُ كأس الشرابِ  
وشدت ورقها فكانت قياناً  
آتياتٍ من لحنها بالصّوابِ

ومن الأمثلة عليها أيضاً قول الطنتدائي في قصيدة له يصف فيها كيف كان مجلسه، فبدأ الحديث عن الساقى الذي طاف عليهم بالشراب، وكيف بدأ يحبب الناس في شربها وتعاطيها، فمن سعى إليها نال الثواب فهي شراب العارفين، فالوقت قد طاب لشربها والتمتع بها، يقول<sup>(2)</sup>:

جلا السّاقى الكريم لنا شراباً  
ونادى أيها الندمان فاسعوا  
رأينا فيه العجب العجبا  
إليها تغنموا منها الثوابا  
فإن الوقت راق لها وطابا  
شراب العارفين فيها هلمّوا

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن فوائد هذه الخمر لشاربها ومدى تأثيرها عليه في صور متتابعة

يقول<sup>(3)</sup>:

بها تُنفى الهموم وكل سقم  
إذا شرب الفتى منها نصيباً  
وتعطي راحةً فيها التعابا  
ويعظم قدره في النَّاس لَمّا  
يوفق وهو في السكر الصوابا  
يلوح من الجهات لها ضياء  
يُكمّل في محبتها النصابا  
فردّ عليه باللب الجوابا  
دعا السّاقى الفضيل إلى حماها

(1) السيوطي، جلال الدين، كوكب الروضة، 385.

(2) البقاعي، عنوان الزمان، 5/ 299.

(3) نفسه، 5/ 300.

## فأسقاه فصّار بها ولياً نجيباً منجياً لَمّا اجابا

واستغل الشعراء لحظات الأُنس والسعادة التي قضاها بين الرياض، ودعوا أنفسهم وندماءهم إلى شرب الخمر حتى تكتمل البهجة، وقد صوروا هذه اللحظات بصور متتابعة مستوحاة من واقعهم المعاش لتظهر للقارئ مشاهد متتابعة يعيش لحظاتها من خلال اللوحات التي يرسمها الشاعر، ومن الأمثلة عليها، قول صدر الدين الأديمي<sup>(1)</sup>:

سبّحَ القمريُّ في الرّوضِ وغرد  
والندى فاضّ على زهر الرّيا  
إنما الزّهر ثغورٌ فُتّحت  
فاسقتني القهوة حتى انثني  
فحسبنا أن في الرّوضِ معبّد  
فسّرت بين الندامى نحة النّد  
باسماتٍ تجمع المزن وتحمد  
مثل غصن البان إذ يتأوذ

### 1. الصورة المرتدة إلى الحواس الخمس

تعرف هذه الصورة بالحواس الحقيقية وترتد إلى حاسة من حواس الإنسان الخمس<sup>(2)</sup> وتشكل كل حاسة مستقبلاً لمؤثر خارجي أو داخلي يجلي الشاعر أثره أو يعيد وقع هذا الأثر على نحو ينسجم مع نظرتة للأشياء، وقد اهتم شعراء الخمر بصور الحواس الخمس لتعكس بذلك أعماق الحس الإنساني، وهذه الصور " هي صور تقليدية في غالب الأحيان، ومنها ما قد يكون مستمدًا من العصر الذي يعيش فيه الشعراء متأثرين بالمظاهر الحضارية"<sup>(3)</sup> وسأتحدث عن كل صورة من هذه الصور.

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 201/8.

(2) ينظر: الشناوي، علي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، 131.

(3) عبد المهدي، عبد الجليل حسن، الحياة الأدبية في الشام، 395.



## 1. الصورة البصريّة:

تعد حاسة البصر أدق الحواس، لأنها تمدّ العقل بأكبر قدر من الإحساس<sup>(1)</sup>، وبما تقع عليه هذه الحاسة من مشاهد يحيلها الشاعر إلى صور ذات قالب خاص به يتجاوز الخارج جاعلاً العمق الإنساني منظوراً من خلال النص<sup>(2)</sup>. لذلك أطلق الشعراء العنان لأبصارهم التي نقلت إلى ذاكرتهم المشاهد الجميلة، ومن ثم أطلقوا العنان لشاعريتهم في تصويرها ورسمها مازجين هذا العمل بأحاسيسهم وعواطفهم مستعينين بالألوان المختلفة حتى تخرج الصورة كاملة الملامح، وقد جاء الشعراء بصور جميلة أبرزوا من خلالها أهمية العضو البصري في رسم الصورة الشعرية من ذلك أبيات لابن خنبلين داريا في وصف ساقٍ له ركزَ فيها على العنصر البصري فكان التأثير الأكبر لهذا الساق في نظراته، يقول<sup>(3)</sup>:

قم فاسقتي بسلافها متداركاً  
من كفّ فتّاك اللواظ مارنا  
يبدو فتخاله شمس الضحى  
رمقي فقلبي بالهموم على شفا  
إلا وأصمى عاشقه وأتلفا  
قد صاحبت بدرًا وغصناً أهيفا

وقول محب الدين الشافعي<sup>(4)</sup>:

الكاس والطّاس يجلو في يدي قمر  
فالأراح شمسٌ وساقينا حكى قمرًا  
قوامه يخجل الخطار إذ خطرا  
والشمس لا ينبغي أن تدرك القمر

(1) ينظر: عبد الرحمن، نصرت، في النقد الحديث، 22.

(2) ينظر: خوجة، غالبية، قلق النص، 62.

(3) ابن إياس، الدر المكنون، 152.

(4) البقاعي، عنوان الزمان، 186/4

ويندرج تحت هذا الشكل من الصور نوعان يمكن ارتدادها إلى حاسة البصر، وهما: الصورة اللونيّة والصورة الضوئيّة.

## أ. الصورة اللونيّة

إن الألوان من أغنى الرموز اللغوية التي فتحت الباب واسعاً أمام الشعراء لاستخدامها في إبداعاتهم وإخضاعها بما تحمله من دلالات موروثية أو مستخدمة لصالح التعبير الشعري ومحاولة رسم المحسوسات كما انطبعت ذواتها أو معانيها في عقل الشاعر ونفسه وقلبه، وبالتالي يلعب اللون دوراً مهماً في حياة الشاعر وصياغته بما يتمثل له فيه من معانٍ خاصة أو عامة<sup>(1)</sup>، فالألوان الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث توتراً في الأعصاب وحركة في المشاعر، فهي مثيرات حسية متفاوتة تأثيرها في الناس، فالشعر ينبت ويترعز في أحضان الأشكال والألوان سواءً أكانت منظورة أو مستحضرة في الذهن وهو بالنسبة للقارئ وسيلة لاستحضار هذه الأشكال والألوان في نسق خاص، إنه تصورات تستمتع الحواس باستحضارها وإلا كان شيئاً مملأً<sup>(2)</sup>. وتعد الصورة اللونية أكثر الصور البصرية دوراً في الشعر وقد ذكر شعراء هذا العصر عدّة ألوان وظفوها لخدمة النص الشعري سواء صرحوا بها باللفظ المباشر أو بلفظة أخرى دالة عليه، ومن الأمثلة على ذلك<sup>(3)</sup>:

وصهباء من تبر المسرة خلقت      وقد نفخت في جسمها الروح بالفرح  
عليها شباكٌ من حُباب لآليٍّ      يخاف عليها أن تطير من الفرح

(1) ينظر: نوفل، يوسف حسن، الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، 27.

(2) ينظر: إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، 59-60.

(3) البقاعي، عنوان الزمان، 62/5.

فيرسم في البيتين السابقين صورة للخمرة المشروبة؛ فهي خلقت من التبر إشارة إلى لونها الأصفر ويصف الروح التي نفخت في جسمها بأنها روح الفرح، ثم يصف وجه الكأس وقد تزين بحبات كاللؤلؤ ويخاف عليها أن تطير من الفرح.

ويرسم الطنتدائي لها صورة أخرى ملوناً إياها باللونين الفضي والأصفر فكان اللون الفضي لون كاسات الخمر التي سكبت فيها الخمر أمّا اللون الأصفر فقد كان لون الخمر نفسها يقول<sup>(1)</sup>:

أقداحها فضة قد شبهت وبها  
حُطت خلاصة خمرٍ نيبٍ من ذهب  
والصورة نفسها يرسمها البرهان البهنسي فهو يدعو نديمه أن يباكر إلى شرب الخمر بلونها الذهبي، يقول<sup>(2)</sup>:

باكر معي يا صاح  
نستجلي الأقداح  
فكم ذهب في الحميا  
ذهب على كأس وراح

ويعزيها الفخري بن مكانس إلى الروم فقد اكتسبت لونها الأصفر من الروم، يقول<sup>(3)</sup>:

صفراء تعزى لأبٍ كريم  
إلى بني الأصفر أو الروم

وفي لوحة تزخر بالألوان يمزج علي بن أبيك بين لون الخمرة الفضي ولون الخريف الذهبي ويدعو لشربها والتمتع بها في هذا الفصل، يقول<sup>(4)</sup>:

لا تخش يا محبوباً من فاقتي  
فمن قريبٍ ذهبي يأتي  
فاذهب لفضياتٍ ذا بالطلا  
واسـتـجـلها في الـذـهـبيات

(1) نفسه، 188/5.

(2) نفسه، 51/2.

(3) الديوان، 110.

(4) البدري، أبو النقاء، نزهة الأنام، 219.

ومن الأمور التي نقشوا فيها لوحاتهم اللون الأحمر وكان له بروزٌ واضحٌ في لوحاتهم الخمرية فقال بعضهم يطلب من ساقيه أن ينثرها من فم إبريقه صافيةً حمراء، يقول<sup>(1)</sup>:

وانثرها من فم الإبريق صافيةً حمراء قد حجبت عنها المسآت

أما مجد الدين بن مكناس فهو يستعير لون الدم للدلالة على لون الخمرة الأحمر فهو يدعو لقتل الراوق وسفك دمه كناية عن التخلص من الخمرة الحمراء الموجودة فيه، يقول<sup>(2)</sup>:

قم واصلب الراوق واشف قلبي منه ويلغني بذاك سؤلي

واسفك دم الزق وناد هذا جزاء من يلعب بالعقول

وقام ابن حجة بنقل مشهد أعجبه للسامع عندما ربط له لون الخمرة بلون الحناء ليبرز لوحته ويظهر تفاصيل ودقائق صورته، يقول<sup>(3)</sup>:

خلت كأس الراح لما أن بدا حبب من فوقه قد كاله

معصم قد خضبته عادةً ومن الدر عليه سلسله

## ب. الصورة الضوئية

هي الصورة التي يلجأ إليها الشعراء بموازاة حواسهم وملكاتهم من عناصر الضوء في الطبيعة كالنجوم والكواكب، والظلام والنور والليل والنهار والشمس والقمر.

ومن الأمثلة عليه ما قاله ابن العطار في إشعاع خمرته التي من قوة إشعاعها تريحهم الصبح في العتمة، يقول<sup>(4)</sup>:

(1) النواجي، تأهيل الغريب، 177.

(2) نفسه، حلية الكميّ، 174، والأبيات مكسورة وغير موجودة في الديوان.

(3) الديوان، 116.

(4) الأشبهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 2 / 407.

وكأس ترينا آية الصبح في الدجا  
مقطّبة ما لم يزرها مزاجها  
فيا عجبًا للدّهر لم تخلُ مهجةً  
فأولها شمس وآخرها بدرُ  
فإن زارها جاء التبسُّم والبشرُ  
من العشق حتى الماء يعشقه الخمرُ

أما علي وفا السكندري فيقارن بين لمعان كأسه ولمعان وجه محبوبته فعلى الرغم من قوة شعاع الشمس في كأس محبوبه إلا أن شعاع وجهها أكثر إشراقًا، يقول<sup>(1)</sup>:

الشمس من لمعان كأسك تشرق  
والغصن من ترفٍ يميل صبايةً  
فعلى الحقيقة إن وجهك أشرقُ  
لكن معاطفك الرشيقة أرشقُ

أما خمر أحمد بن محمد بن صالح فقد أشرقت على الكون فغارت باقي الشمس منها حتى أنها غابت وانمحت من شمسه التي أشرقت، يقول<sup>(2)</sup>:

ويومٍ به شمس السلافة أشرقت  
وصلنا به الكاسات والغيم مطبقٌ  
فغارت شمس الأفق واعتادها المحو  
فليس لنا فيه ولا للسمما صحو

ونور الدين البهرسي يرسم لوحة فنية صور فيها مجلسه متقنًا في وصفه، فقد حشد في هذه اللوحة مجموعة من العناصر الضوئية (البدر والشمس والنار) ليبرز إشراق خمرته فقد صور الخمر بالشمس والكؤوس حولها بدور تدور في فلکها، يقول<sup>(3)</sup>:

أرى الشمس راحًا والبدر كؤوسها  
يديرون كأس الأنس في جنة الرضى  
فلا أعدم الله الشفاه شموستها  
ونار الجفاء لا يسمعون حسيستها  
فكيف بهم لما سقوا خندريستها  
تراهم سكارى من سنى قرقفية

(1) الديوان، 233.

(2) البقاعي، عنوان الزمان، 1/ 204.

(3) البقاعي، عنوان الزمان، 4/ 90.

ويجعلها البشكي النور والمصباح الذي يرشدهم وينير لهم دربهم ليلاً، يقول<sup>(1)</sup>:

وخمّار هدينا في الـدياجي      بجذوة كأسه وسنى النديم  
سألنا منه عن خمـر حديثنا      فأخبرنا عن العصر القديم

## 2. الصورة السمعية

وهي من الصور الحسية التي ترتدُّ إلى حاسة السَّمع، وتكون انعكاسًا لما سمعه الشاعر فهزَّ مشاعره، وأطرب قلبه فارتدت إلى ذهنه، وراح يصنعها ويشكلها في خياله بحسب ما يتوافر لديه من أدوات، سواء كانت من ثقافته أو بيئته المحيطة به، وهذه الصورة تقع بعمق في الأذن، وهي نوع من الخيال السمعي الذي يشكله المتلقي حين يدمج وعيه بوعي النص؛ فالشاعر والمتلقي يشتركان في إنتاجها<sup>(2)</sup>، وتعكس هذه الصورة أثرها على النص من خلال حركة الدلالة المشبعة بالإيحاء الصوتي، فالمفردات تصفي نغمة حركتها، وصوت معناها، ومحاكاتها كدينامية: الريح والرعد والمطر... لتوحي بتنوعات سمعية دلالية متزاوجة داخل المعنى، واقتراب الصوت من أذن المتلقي فإنه يحدث اهتزازًا رنينيًا موازيًا لذلك الاهتزاز الذي لامست موجاته أذن المبدع قبل صياغة صورته متأثرًا بحافز خارجي أو داخلي، فشكل هذا الاهتزاز تشكيلاً لفظياً دالاً على مكونات نفسه<sup>(3)</sup>.

وقد نوع شعراء عصرنا في صورهم السمعية ومن الأمثلة عيها قول عز الدين الموصلي<sup>(4)</sup>:

منابر الدّوح فيها الورق قد سجعت      فمالت القضب للألحان واستمعت

(1) النواجي، حلبة الكميت، 17.

(2) ينظر: المبارك، محمد، استقبال النص عند العرب، 124، 125.

(3) ينظر: خوجة، غالية، قلق النص، 61-62.

(4) الغزولي، بهاء الدين، مطالع البذور، 139/1.

وهاجها سحرًا مرُّ النسيم فد      هب القبول إلى طيب الصبوح دعت

فشاعرنا يشبه صوت الحمام وألحانها بالسجع فأعجبت القضب بهذه الأصوات والألحان فمالت  
وأخذت تستمتع لصوتها الرّنان والذي دعاها إلى ذلك النسيم الذي مر في السّحر فدعت إلى شرب  
الصبّوح في هذه الطبيعة.

ولما كانت معظم مجالس الشعراء في الطبيعة فقد استهوتهم أصوات الطيور وخاصة الحمام،  
فهذا ابن حجر العسقلاني يبيث العواطف الإنسانيّة في مظاهر الطبيعة فالأوراق تُعجب بغناء الحمام  
فتغني مثلها والسحاب يهديها أمطاره التي تشبه الدّرر، ويعبر الشاعر عن حبه وإعجابه بأصوات  
الحمام التي تجلو النفوس، والتي تشبه صوت الآلات الموسيقية وخاصة الربابة، يقول<sup>(1)</sup>:

غنى غناء الورق أوراقها      فنقّطت عجبًا بدرّ السّحاب  
فراقت الأبصار أغصانها      وأطرب الأسماع وقع الرباب

أما عائشة الباعونية، فجعلت أصوات الطيور تفوق أصوات الآلات الموسيقية التي لا تشبهها  
لأن أصوات الطيور أجمل منها، تقول<sup>(2)</sup>:

وتناغيك بينها صادحات      خرسثُ عند نطقها الأوتار

ويرسم الشهاب المنصوري للحمام صورة القيان المغنيات، وفي ذلك تعبير عن الحبّ  
والإعجاب بأصواتها، وهذه من الصور التقليدية التي ألح عليها الشعراء كثيرًا، يقول<sup>(3)</sup>:

وشدت ورقها فكانت قيانًا      آتياتٍ من لحنها بالصواب

(1) الديوان، 186.

(2) فيض الفضل، 2/177.

(3) السيوطي، جلال الدين، كوكب الروضة، 385.

وأبرز الشعراء الأصوات التي تسمع من أدوات الخمر، ففخر الدين بن مكنس يظهر الصوت الذي يخرج من الإبريق إذا ما أميل للصب، يقول<sup>(1)</sup>:

راحًا إذا ركع الإبريق يمزجها سمعت من صوته تسبيح فأفاء

ويتبين أن في حديث الشاعر عن الإبريق تقديسًا فيختار له صوتًا قريبًا من النفوس وهو صوت التسبيح فهو يريد من السامع أن يظلل قريبًا من خمرته وأدواتها التي يصفها وألا ينفّر منها.

ويمزج ابن مكنس صوتي الضحك والنحيب في بيت واحد فهو يصور انسكاب الخمر من القنينة والصوت الصادر منها بصوت القهقهة ولكن لا يدري أهذا الصوت ضحك ليفرح الندامي أم هو صوت نحيب على فراق المدام، يقول<sup>(2)</sup>:

خبروني عن قهقهات القناني أنا منها في غاية الإبهام  
أتراها ضحكًا لبسط النّدامي أم نحيبًا على فراق المدام

### 3. الصورة الليلية

وقد وردت في الشعر الخمري عند شعراء العصر المملوكي الثاني بدرجة أقل من الصور البصريّة والسمعيّة، وتعتمد هذه الصورة على اللمس، فتأخذ أبعاد هذه الحاسة، مثل الخشونة والنعومة والصلابة والحرارة والبرودة<sup>(3)</sup>، ومن تلك الصور قول أبي الفضل بن أبي الوفا<sup>(4)</sup>:

وأسهرتني في ليلٍ وفي شعرٍ في ليلةٍ من ليالي الحبِّ ليلاء  
وأحرقنتي من نيران وجنتها بخمرةٍ من خمّار الخدِّ حمراء

(1) الديوان، 10.

(2) نفسه، 62.

(3) ينظر: عبد الرحمن، نصرت، في النقد الحديث، 67.

(4) الحروب، إسماعيل، شعر أبي الفضل بن أبي الوفا، 167.



فقد نجح في اختيار الكلمة الموحية في مجال حاسة اللمس والمتمثلة بلفظة (أحرقنتي) وزاد الصورة جمالاً عندما لَوَّنَها باللون الأحمر عندما جعله لوناً مشتركاً لخمرة وخذَّ محبوبه وقول علي بن وفا السكندري<sup>(1)</sup>:

إِثْمًا خَمْرٍ زِنَادٌ قَادِحٌ      وَلَهُ حَزَاقٌ قَلْبِي قَدْحَا

ومحمد بن العفيف يرى في ساقيه قسوةً، فقلبه قاسٍ وهذه ميزة تحدد باللمس يقول<sup>(2)</sup>: (السريع)

أَسْكُرُنِي بِاللِّطْفِ وَالْمَقْلَةِ الـ      كَحَلَاءِ وَالْوَجْنَةِ وَالكَاسِ  
سَاقٍ يَرِينِي قَلْبُهُ قَسْوَةً      وَكَلِّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسٍ

ومن الصور اللمسية التي أبدعها الشعراء فخر الدين بن مكنس الذي بيّن بصورة حركية دور الراووق والدف في مشاركته رثاء نديم له توفي وتركهم فبكى الراووق عليه من حزن، أما الحركة فكانت عند الدف الذي شارك باللطم، وهي التي كانت تدق في مجالس الخمر فحزنت عليه ومثلها باللطم، يقول<sup>(3)</sup>:

يَا بَنِي الرَّفَا أُوخُومُ قَدِ دَرَى      مَا اتَّخَذْنَا مِنْ ذَوِي الْأَنْسِ خَلِيلَا  
وَبَكَى الرَّاوُوقُ مِنْ حَزَنِ وَقَدِ      لَطَمَ الدَّفَّ خَفِيفًا وَثَقِيلَا

ويعود أبو الفضل بن أبي الوفا لنا ببينتين يعكسان موقفه من خمرته، فهو يسعى الى جذب المتلقي إلى خمرته ، ويريد منه أن يتذوق خمرته المرادة بالحواس جميعها، ويطلب منه أن يبصر

(1) الديوان، 191.

(2) النواجي، حلبة الكميت، 156.

(3) الديوان، 54. الشطر الأول من البيت الأول مكسور.

خمرته وأن يحسها بيده، وأن يشمها بأنفه، وأن يتذوقها، ليكشف للقارئ الحب والعشق الذي يحمله الشاعر لخمرة، فيشعر بالشعور نفسه الذي يستشعره شاعرنا عندما يرى خمرة، يقول<sup>(1)</sup>:

مدامة من يعاظني يدًا بيدٍ  
فالمس وذق وارو واسمع وانتشق أبدًا  
فيها فإني على هذا أبايعه  
تجد دواءك قد عمّت منافعه

#### 4. الصورة الذوقية

يشكل الشاعر صوراً حسية عن طريق حاسة الذوق فيمنحها حيوية وواقعية ناقلاً أثرها النفسي؛ لأنّ المهم أن تكون الصورة في مجملها معبرة ناقلة للمشاعر الصادرة نقلاً مثيراً<sup>(2)</sup>، ولا يشترط في هذه الصورة أن يكون المستطعم طعاماً أو شراباً أو شيئاً قابلاً للذوق، فقد يتذوق الشاعر شيئاً معنوياً فاجذب المتلقي إلى عالمه النفسي، واستعمال الشعراء لهذه الحاسة يقل موازنة مع سابقاتها من الحواس، لأن الذوق حاسة لها وضعها الخاص، فالناس مختلفون في تفضيل الطعومات كذلك الذوق لا يظهر كظهور حاستي البصر أو السمع، والإحساس به لا يكون إلاّ من الشخص الذي يقدم على تذوق الشيء بعكس المحسوسات الأخرى<sup>(3)</sup>.

وكثيراً ما يقارب الشعراء بين ريق المحبوبة والخمرة، إذ يعمدون عند تصوير رضاب المرأة إلى مقارنته بالخمرة، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن حجر العسقلاني<sup>(4)</sup>:

لله أيام الوصال وطيبها  
لو لم يكن كوكب الأسحار

(1) الحروب، إسماعيل، شعر أبي الفضل بن أبي الوفا، 169.

(2) ينظر: إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، 82.

(3) ينظر: الغنيم، إبراهيم، الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، 11، 112.

(4) الديوان، 97.

## ليلات ارتشفت الرحيق من الثغد

ور فانتشي دون شرب عقار

فهو من ارتشاف الرحيق الموجود وفي الثغور ينتشي ويسكر بدون شرب الخمر.

ويجعلها محب الدين الشافعي دواء، فريق محبوه كالخمر في طعمه، فيه المنافع، يقول<sup>(1)</sup>:

لئن لدغ الأحشاء عقرب صدغه

فريقه كالخمر فيه منافع

والصورة نفسها عند محمد بن أحمد التكروري، فهو يمزج الصورة الذوقية مع الشمية؛ فريق

محبوه يذكّره بطعم الخمر وكذلك رائحة الزاح، فهي معطرة كطيب محبوه، يقول<sup>(2)</sup>:

ذكرت ريق حبيبي

بشرب راح معطر

وليس ذا بعجب

فالشيء بالشيء يذكر

وقد يمزج الشعراء أحياناً صورهم الذوقية والبصرية والشمية، كوصف إبراهيم بن محمد بن علي

ابن مدلج للخمر الذي شابته الورود في لونها وطعمها ورائحتها، يقول<sup>(3)</sup>:

هذا أوان الورد فاشرب قهوة

قد شاكلته فلونها من لونه

ومذاقها من طعمه وأريجها

من نشره وكأنها من كونه

إن جف كأس كان وردًا جامدًا

أو ذاب وردًا فالمدام بعينه

ويفضل علي بن أبيك الشمس على اللذات والطرب، فيراه أشهى منها، يقول<sup>(4)</sup>:

ومشمسٍ جاعني من أعجب

أشهى إلي من اللذات والطرب

(1) البقاعي، عنوان الزمان، 4 / 187.

(2) نفسه، 5 / 28.

(3) البقاعي، عنوان الزمان، 2 / 97.

(4) البدري، أبو البقاء، نزهة الأنام، 115.

كأنه في هبوب الرّيح تشبّه  
بنائق<sup>(1)</sup> خرطت من خالص الذّهب

ويتمتع ابن مكنس باحتساء الخمر، وينتشي برائحها ولذّتها، فأضحى الخبير بأمرها وبطعمها،  
فمهما اختلف طعمها فهو عذب، ثم يبدأ يفصل في طعمها، يقول<sup>(2)</sup>:

فيا غيبًا ليس يدري سرّها  
دعها لنا فما عرفت قدرها  
واستفتني فيها لأبدي أمرها  
فقد بأوث خلوها ومرّها  
وهي على الحالين عذبٌ عندي  
والزنجبيل زيف بالقرنفل  
فرمها كالمسك حشو الفلفل  
وخلوها على الندامى ينجلي  
كالشهد ممزوجًا بماء السلسل<sup>3</sup>  
ذاك الذي أمسى حبيب كبدي

## 5. الصورة الشميّة

وهي "الصورة التي تثير فينا الخيال عندما نشعر بها عن طريق عضو الشّم فينا، فنذكر  
بالرائحة فوارق الأشياء"<sup>(4)</sup> ويمكن تشكيل هذه الصورة عن طريق نشر روائح معينة في محيط ما،  
وتأتي حيوية هذه الصورة من كون المتلقي يستشعر عبقها أو ننتها، فيرتاح وينتشي أو يمزج وينقبض  
أمام هذه الصور، فليس بالضرورة أن تكون الصورة الشميّة شميّة دائمًا<sup>(5)</sup>.

(1) البنائق: جمع بنية، وهي لبنة القميص أو فتحته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بنق)  
(2) الديوان، 110.

(3) السلسل: الماء سهل المرور في الحلق لعذوبته وصفائه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلس)

(4) الشناوي، علي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطلي، 14.

(5) ينظر: الصوص، جنانار، شعر الخمرة في العصرين الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013،

وغالباً ما تكون قليلة نسبياً، إذا ما قورنت بالحواس الأخرى، وجاء أكثرها في وصف الرياض والأزهار ورائحة الخمر، فقد صور الشعراء روائحها الطيبة التي تنتشر في الأرجاء المعطرة لها، كما أنهم وصفوا أثرها في نفوسهم ومشاعرهم فرسموا لها صوراً جميلة لتكون الصورة كاملة، فصدر الدين الأدمي يشبه الرائحة السارية في الروض وسط تسامر الأحبة برائحة عود البخور، يقول<sup>(1)</sup>:

والتدى فاض على زهر الربا فسرت بين الندامى نفحة الندى

ويطلب أحمد بن الفران من نديمه أن ينظر إلى الكؤوس الموجود في الروضة فقد فاح منها المسك ونشر الخزام، يقول<sup>(2)</sup>:

انظر إلى الكؤوس في روضها فاح بها المسك ونشر الخزام  
سماؤها بالدرق زخرفت وحلّ فيها كل بدرٍ تمام

ورائحة الورد أغرت ابن خطيب داريا، وجعلته يدعو أصحابه لشرب الخمر في وسط الجو الربيعي الذي يحثهم على الشرب، يقول<sup>(3)</sup>:

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي قد فاح نشر الورد والنرجس

#### • المبحث الرابع: الموسيقى

إن العلاقة بين الشعر والموسيقا قديمة، فقد أدرك الإنسان البدائي الصوت الذي تلد له الأذن وتطرب لسماعه، فسخر إمكاناته الصوتية التي يتوفر عليها الشعر، وسعى إلى ربطها بالإمكانات الموجودة في الموسيقى، فأنجح بحدسه لغة شعرية مبنية على تنظيم موسيقى بحت<sup>(1)</sup>.

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 201/8.

(2) البقاعي، عنوان الزمان، 1/ 217.

(3) الديوان، 168.

"وينقسم الإطار الموسيقي في شعرنا العربي إلى قسمين رئيسيين: قسم خارجي يحكمه العروض، وتمثل في الوزن والقافية، وقسم داخلي تحكمه قيم صوتية داخلية، وهو ما يعرف بالموسيقا الداخلية ولكن هذا التقسيم لا يعني أننا نضع حداً بين القسمين، بحيث يبدو كل منهما وكأنه يعمل بمعزلٍ عن الآخر، فهما يتفاعلان ويتعاونان ويتداخلان، ومن جملة هذا التفاعل يضيفان جمالاً على الشعر"<sup>2</sup>.

وشرط ذبوع الشعر وشهرته أن تستمتع آذان الناس لموسيقاه قبل استمتاعهم بمعانيه ومراميه، فنغمته الموسيقية تلذ السامع أياً كانت بيئته الاجتماعية، وهي ما يسمعا في شعر هذا وشعر ذلك... فإذا حاول الشاعر نظم الشعر في صورة جديدة غير مألوفة بين الناس لم يذع قوله ولم يسهل ترده، لأن شرط ذبوع الشعر، أن تألف الآذان نغمة موسيقاه<sup>(3)</sup>.

### أولاً: الموسيقا الخارجية

يشكل الوزن والقافية دعامتي الموسيقا الخارجية؛ لأن الحديث عن أحدهما يستتبع الحديث عن الآخر، ذلك أنّ "الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"<sup>(4)</sup>.

" والوزن والقافية قاعدتان لا يمكن أن يقوم بناء القصيدة العربية إلاّ على أساسهما"<sup>(5)</sup>، وكل هذا مما يؤكد الارتباط الحميم بين شقين متلازمين، يمتنع أن يسمى الشعر شعراً إلاّ بوجودهما مجتمعين<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: الشروف، فواز، شعر الخمر في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 125.

(2) الصوص، جنار، شعر الخمر في العصرين الزنكي والايوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، 167.

(3) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، 59.

(4) ابن رشيق، العمدة، 1/ 134.

(5) خليف، يوسف، مقدمة ديوانه "نداء القمم"، 15.

(6) ابن رشيق، العمدة، 1/ 151.

ومن خلال الاطلاع على العصر المملوكي، نجد أنهم نظموا أشعارهم الخمرية على بحور الشعر التقليدية المعروفة، ولا غرابة، فهم جزء من حلقة الشعر العربي الممتدة من الجاهلية حتى العصر الذي عاشوا فيه، فقد ساروا على نهج الشعراء في النظم على البحور المختلفة، وأثبتوا قدرتهم في الصياغة والتعبير ومجارة الآخرين، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

النسبة المئوية	عدد القصائد والمقطوعات	البحر
14.7	75	البسيط
10.7	55	الكامل
8.4	43	الطويل
6.8	35	الرمل
6.2	32	الوافر
4.3	22	الرجز
2.5	13	الخفيف
2.3	12	السريع
1.5	8	المجتث
1.3	7	المتقارب
0.7	4	المتدارك
0.5	3	المنسرح
0.1	1	الهجج

يلاحظ من هذا الجدول خلوه التام من ثلاثة بحور هي المديد والمقتضب والمضارع، أما المقتضب والمضارع فيقول الدماميني: "وأنكر الأخفش أن يكون المضارع والمقتضب من شعر العرب، وزعم أنه لم يسمع شيئاً من ذلك، قلت هو محجوج بنقل الخليل، قال الزجاج: هما قليان حتى أنه لا يوجد منها قصيدة لعربي، وإنما يروي كل واحدٍ منهما البيت والبيتان، ولا ينسب بيت منهما إلى شاعرٍ من العرب ولا يوجد في أشعار القبائل"<sup>(1)</sup>.

ونلاحظ أن سبعة بحور استعملت في أشعارهم أكثر من غيرها على الترتيب" البسيط، الكامل، الرمل، الوافر، الرجز، الخفيف" وقد احتلّ البسيط النصيب الأكبر من مقطوعاتهم لسهولة ألفاظها وانسيابها، أما الكامل الذي يلي البحر البسيط لأنه يستوعب الكثير من معاني الوصف والمدح، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلل على أن الشعراء كانوا يختارون موسيقا ألفاظهم بعناية ودراية.

## ■ القافية

"تعد القافية عنصراً صوتياً صارخاً، تحمل في طياتها نغمة إيقاعية جذّابة، والقافية تعد جزءاً هاماً في الشعر باعتبارها وحدة صوتية مطرودة اطراداً منظماً في نهاية الأبيات، فهي بمثابة فواصل موسيقية يتوقع السامع تردها، ويتمتع بتكرارها بين فترات زمنية محددة"<sup>(2)</sup>.

فالقافية "آخر كلمة في البيت"<sup>(3)</sup>، ويعدها ابن رشيق "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى حتى يكون له وزنٌ وقافية"<sup>(4)</sup>.

1- الدماميني، بدر الدين، العيون الفاخرة على خبايا الرامزة، 76.

2- أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، 244.

3- العروضي، أبو الحسن، الجامع في العروض والقافية، 263.

4- العمدة، 15/1.



ويعرفها إبراهيم أنيس، فيقول: "ليست القافية إلاّ عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر والأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءًا هامًا من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن"<sup>(1)</sup>.

وترتكز القافية بشكل رئيس على حرف الروي وهو الحرف التي تبني عليه القصيدة وتنسب إليه<sup>(2)</sup>. والقافية هي النتيجة الطبيعية لأبيات مبنية على المقاطع نفسها، وهي تجانس صوتي للحركة الأخيرة وهي ليست تابعة لشيء آخر، فهي عنصر مستقل، وظيفته الحقيقية لا تظهر إلاّ إذا وضعت في علاقة مع المعنى"<sup>(3)</sup>.

ومن خلال تتبعنا شعر شعراء هذه الحقبة في رسم الخمرة بما وقع بين أيدينا من مقطوعات وقصائد نجد أنهم اهتموا بتتويج حرف الروي في قوافيهم وتعددتها، وهذا ما سيظهر في الجدول الآتي:

حرف الروي	عدد القصائد والمقطوعات
الهمزة	72
الباء	49
التاء	47
الجيم	3
الحاء	18

(1) موسيقا الشعر، 246.

(2) العروضي، أبو الحسن، الجامع في العروض والقافية، 266.

(3) كوهن، جون، بنية اللغة الشعرية، 98.

عدد القصائد والمقطوعات	حرف الروي
1	الخاء
53	الدال
46	الراء
1	الزاي
24	السين
1	الطاء
19	العين
1	الغين
25	الفاء
20	القاف
5	الكاف
28	اللام
18	الميم
28	النون
13	الهاء
15	الياء

فمن خلال تأمل الجدول نجد أن بعض حروف الروي منها ما جاء ليناسب التعبير عن صوت

واضح مسموع كروي الباء والدال، ومنها ما يعبر عن صوت يختلج العاطفة كروي الحاء والميم، إذ

قسم إبراهيم أنيس حروف الروي إلى أقسامٍ عدّة، وذلك وفق كثرة ترددها وشيوعها " فهناك حروف وردت بكثرة مثل: الراء والميم والنون والذال والسين واللام، وحروف متوسطة الشيوع مثل: الضاد والطاء والثاء والصاد وحروف نادرة في مجيئها رويًا كالذال والغين والحاء والزاي والواو"<sup>(1)</sup>.

ونلاحظ خلو مقطوعاتهم وقصائدهم - فيما وقع بين يدي- من حرف الروي: الثاء والذال والشين والصاد والضاد والطاء والواو.

### ثانيًا: الموسيقى الداخلية:

إن التلاؤم بين أجزاء القصيدة ينتج قوى موسيقية خصبة تبرز من خلالها جماليات القصيدة الخاصة التي تميزها عن قصيدة أخرى، وهذه الموسيقى تتصل بجرس الألفاظ وخواصها الصوتية، وأنماطها البديعية، كذلك لها صلة بطريقة تأليف الكلام<sup>(2)</sup>.

فقد اعتنى النقاد والعروضيون والقدامى بهذا النوع من الموسيقى، لأنها تتعدى حدود الأوزان والعروض والقوافي، فهي التي تفرق بين بيتين في قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة، وهي أدق من الأولى، وإذا فقدت في الشعر يسمى كلامًا عروضيًا موزونًا ولا يسمى شعرًا، فهو يشبه الشعر في الوزن والقافية ويختلف في موسيقاه الداخلية الفنية<sup>(3)</sup>.

ومن هنا كانت عناية الشاعر المملوكي ببعض فنون البديع والتفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم وموسيقا، وحتى يسترعي الأذان بألفاظه كما يسترعي القلوب<sup>(4)</sup>.

(1) أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، 248.

(2) ينظر: نفسه، 45.

(3) ينظر، ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 113

(4) الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب، 2 / 278.

ومن هذه الفنون:

## أ. التصريح

للتصريح دورٌ مهم في تحقيق الإيقاع الموسيقي، ومن الأمثلة على ذلك قول الوفايي المقدسي<sup>(1)</sup>:

إذا كان ساقبها إزائي      فلا أدري من ورائي

وقول ابن حبيب<sup>(2)</sup>:

نديمي قم إلى الأذات بادر      فقد وافى الربيع بكل نادر

ويقول البدر البشتكي<sup>(3)</sup>:

رعى الله الليالي الذاهبات      ودهراً قد تقضى ذاهبات

ولم يكتف الشعراء بتصريح المطع، بل صرعوا في الأبيات التي تليها، الأمر الذي أثرى الإيقاع

الشعري في البيت، يقول الشهاب المنصوري<sup>(4)</sup>:

ومليحة تسقيك من أجفانها      أضعاف ما تسقيك من راحتها  
في روضةٍ حاكت محاسن وجهها      وحكت محاسن وجهها زهراتها  
رقت لرقّةٍ خصرها ريح الصبا      وتحركت شوقاً إلى حركاتها  
والنهر في قلقٍ إلى أردافها      والغصن في ميلٍ إلى خطراتها

(1) البقاعي ، عنوان الزمان ، 5 / 323.

(2) الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء، 80/5.

(3) السيوطي، جلال الدين، كوكب الروضة، 176.

(4) نفسه ، 356.

## ب. التكرار:

وهو من الوسائل الفنية التي تسهم في خلق العلاقات المتعددة داخل البيت عن طريق تمييزه بالتوازن، والإخبار تبعاً للسياق، فيتحقق بالإفهام والتأثير<sup>(1)</sup>، ويكون التكرار بالحروف والألفاظ والعبارات، وهذه جميعها تعطي نوعاً من الموسيقى الداخلية من خلال التكرار، ومن الأمثلة على ذلك قول الجيلي<sup>(2)</sup>:

سلافٌ تريك الشمس والليل مظلمٌ	تبدي السُّها والصبح بالصبحو مقحم
مبرقعة من دونها كل حائلٍ	ومسفرة كالبدر لا تتكلم
ف نورٌ ولا عينٌ وعينٌ ولا ضياءً	وحسنٌ ولا وجهٌ ووجه ملثمٌ
شميمٌ ولا عطرٌ وعطرٌ ولا شذى	وفمٌ ولا كأسٌ وكأسٌ مختمٌ

فتكرار بعض الألفاظ أعطى جرساً موسيقياً للأبيات، وقد كرر الشعراء الحروف في مقطوعاتهم وقصائدهم معطين بذلك نوعاً من الجرس الموسيقي العذب الذي يزيد الإيقاع جمالاً ومن الأمثلة قول الشهاب الحجازي<sup>(3)</sup>:

انظر إلى حسن السماء إذا صحت	والنور يشرق والغيوم قد انمحت
فبصحوها وبضوئها وبلونها	تشفي قلوباً بالهموم تدحدث
وكأنها مثل الكوكب في الدجى	فيها عيونٌ قد سهت وتفتحت

فتوالي حروف التاء والهاء والواو والحاء يعطي نوعاً من الجرس الموسيقي للأبيات. وقال علي ابن إبراهيم<sup>(4)</sup>:

راح للمدام أكرع راحك	وعاود العود العطار
----------------------	--------------------

(1) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة الأسلوبية، 219.

(2) الإنسان الكامل، 1 / 72.

(3) السيوطي، جلال الدين، كوكب الروضة، 262.

(4) البقاعي، عنوان الزمان، 9/4. والأبيات مكسورة

وأكرع لما عذر حلوه  
أهوى طلاً أكحل ألمى  
وكم وكم كسر حساد  
أو سلط صارم حول الآس  
لو سلاحه مع طلعه

كم راح لها والله سكار  
سظى على الأعداء أرمهاها  
وأهل الملاحة أسماها  
وكم صارم أدمهاها  
وورد حوله صار عطار

### ج- الجناس:

لا يخفى في الشعر لما للجناس من دور هام في تحقيق الإيقاع الموسيقي، ومن ذلك قول ابن

كميل<sup>(1)</sup>:

وأبشر بقين بأوقات هنيئات

استجل بالبشر كاسات المسرات

فقد جانس بين (البشر وأبشر).

وقال<sup>(2)</sup>:

من لؤلؤ الحب لا من لؤلؤ الحب

أهدت كؤوساً من الأفراح طافها

فقد جانس بين كلمتي (الحب والحب)

ومثله قول ابن حجة<sup>(3)</sup>:

وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف

ولمّا أراني الشعر وهو (مذيل)

فقلت لهم هذا (الجناس المحرف)

بدا بخمار من خمار بريقه

ومنه رأينا حاتمًا (يتصحف)

وفي كفه قد أصبح الجو خاتمًا

(1) البقاعي، عنوان الزمان، ، 5 / 47.

(2) نفسه، 5 / 41.

(3) الديوان، 75.

## الخاتمة

تناولت في هذا البحث شعر الخمرة في العصر المملوكي الثاني ما بين الفترة ( 784 - 923هـ) بالدراسة والتحليل، وأبرزت خلاله أهم صفات الخمرة التي تغنى بها الشعراء وتقاليد احتسائهم بها، وأهم الدوافع التي أدت إلى سلوك الشعراء نحو هذا الاتجاه.

وأبرز النتائج التي توصلت إليها:

كثرة الأشعار التي تناولوا فيها موضوع الخمر، ومن ذلك تصويرهم أواني الخمرة، فهي لها بمثابة الرّحم للجنين، أو كالثياب للإنسان، وتحدثوا عن تلك الأواني بالتفصيل لعلاقتها الوثيقة بالخمرة، فوصفت مقترنة بها، وغير مفصولة عنها، ولذلك لم يكن حديث الشعراء عنها لرصدها وذكر أسمائها، بل لصلتها المباشرة بالخمرة، فالآنية لا قيمة لها في نظرهم وهي فارغة وإنما تستمد قيمتها مما تحويه من خمرة.

وأبدع الشعراء في رسم صورة السّقاء والندماء، وإن أغلب ما يقال في الساقى مبني على باب النديم وأدبه، وربما انفرد واختص به بأن يكون بديع الجمال، زائداً في الظرف والدلال، يفوق ببديع محاسنه الأتراب ويدهش بلطف شمائله عقول أولي الألباب، فالورد يقطف من وجنتيه والطبي ينفر من لحظاته.

وكان للنديم دورٌ فاعل في مجالس الخمرة، فهو الذي يضيء عليها مظاهر الرقي التي تتجلى بالحوار، ويمنع عن المجالس الملل، ويكلله بمباهج الظرف والمتعة والطرافة، ومن هنا نرى أن شعراء العصر المملوكي الثاني اتبعوا منهج أسلافهم في منادمة الأصحاب واحترام الندماء وإكرامهم والحفاظ على أسرارهم، فتحدثوا عن مجالسته وخصاله الخُفِيّة والخُلقِيّة.

وأسهب الشعراء في الحديث عن مجالس اللهو والشراب وتصويرها، وما يتعلق بها من كؤوس ودنان وسقاة وندماء، كما وصفوا مجالس خمرتهم أيام الاحتفالات، ومن أهم مزايا مجلسهم أنها تجمع الرفاق بعد طول فراق، فيرتشفون كؤوس السلاف والسرور شعارهم واقتناص الملذات هدفهم كيف لا وهم ينعمون بصوتٍ شادٍ عذب اللحن والأنغام فيطربهم ويؤنسهم.

وصف الشعراء المملوكيون أدوات اللهو والطرب، فقد كان الغناء منتشراً في مجالس اللهو، بحيث أصبح سمة بارزة من سماتها، فلا تكتمل لذة الشراب إلا باكتمال السماع، فظهر لديهم العود، وهو من أشهر الأدوات الموسيقية في تلك الفترة، وبرز لديهم بالإضافة إلى العود، المزامير والطبول، ووصفوا عذوبة صوت المغني، وأثره عندما يقع على أسماعهم، فيطربهم، ويدخل المسرة إلى خلجاتهم، ويبعث الحياة في عروقهم وكأنه يخاطب أفئدتهم وعقولهم، فيأخذهم بسحر ألفاظه، ورقة معانيه وتناغم لحنه.

لقد كان للخمر أثر واضح على شاربها وفعلها في نفوسهم، فوصفوا حالتهم النفسية بعد أن تعتريهم النشوة، فكم من شارب احتساها لكي يسكر ويهرب من واقعه المؤلم فهو يسكر ليهرب من مشاكله وليضع أحزانه وهمومه في كأس خمرته.

وبسبب الانحطاط الأخلاقي والفساد الذي ساد تلك الفترة تزايدت الدعوات إلى شرب الخمر والمجاهرة في احتسائها فشربوها حتى في وضوح النهار أمام أعين الناس ولذلك قلت الأشعار التي نادى إلى التوبة عن شرب الخمرة، وحتى لم يجدوا للحشيشة طريقاً بديلاً عن الخمرة كما ظهر في العصر المملوكي الأول.



في الجانب الفني كانت المقطوعات القصيرة هي الشكل الغالب على بناء القصيدة الخمرية في تلك الفترة، ولربما السبب في ذلك يعود إلى طبيعة شكل الخمر الذي يميل إلى الإيجاز والتكثيف، وهو ما يسعى إليه الشعراء لتحقيق ما يسعون إليه، ولإيصال رسائلهم بأسرع وقت ممكن.

ولم تكن أوزانهم الشعرية خارجة عن الأوزان التقليدية التي نظم فيها الشعراء القدامى، وإنما بدت عندهم ظاهرة جلية، لافتة للانتباه نظمتها على البحور الخفيفة وأكثرها من استخدام المحسنات البديعية التي تحدث جرساً موسيقياً، وقد احسنوا صياغتها وسبكها في أشعارهم دون إشعار السامع بالتكلف.

وأبرز الشعراء في أوصافهم الشعرية الصور السمعية، والبصرية والذوقية والشمية، وكانت الاستعارة والتشخيص حاضرتين واستمدوا موضوعاتهم من واقعهم المشاهد والمحسوس أو من معاني السابقين أوصافهم أو من الموروث الديني الضخم.

وفي الختام هذه بعض التوصيات التي يمكن أن تخدم الأدب والعلم في هذا العصر:

- التركيز على الدراسة الأدبية لهذا العصر من خلال تحقيق المخطوطات التي لا زالت تنتظر النور لتخرج إلى المكتبة العربية.
- توفير دواوين الشعراء المشهورين في هذا العصر التي لم أجدتها في مكتبتنا، مثل ديوان الشهاب المنصوري، والشهاب الحجازي، وديوان فخر الدين بن مكنس، وابنه مجد الدين، وديوان ابن حجة الحموي، وديوان ابن خطيب داريا، كما ينبغي تحقيق الدواوين المخطوطة لهؤلاء الشعراء.
- ضرورة توفر دراسات أدبية متعمقة ومركز لهذا العصر لأنني لمست من خلال البحث والمطالعة أن معظم الدراسات تركزت حول العصر المملوكي الأول مع إغفال هذا العصر أو التعرض له بشكل سطحي.

والحمد لله رب العالمين.

# ملحق تراجم الشعراء

## ملحق التراجم:

### ابن الآدمي ( 767 - 816هـ )

- صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد الحنفي الدمشقي، المعروف بابن الآدمي، ولد بدمشق قدم للقاهرة، وتولى كتابة السر في دمشق، وولي نظر الجيش، وبرع في الشعر والأدب.

ينظر: شذرات الذهب، 9/ 192      النجوم الزاهرة، 14/ 12.

### أحمد السندفائي ( 733 - 82هـ ).

- أحمد بن عبد العال بن عبد المحسن بن يحيى السندفائي، ولد بسندفا من أعمال الغربية في مصر ويشتهر بوالده.

ينظر: عنوان الزمان، 1/ 86 - 87      الضوء اللامع، 1/ 347.

### أسطا إبراهيم الحمامي (... - 926هـ)

- إبراهيم الأنطاكي الحلبي، كان شاعرًا ذا ذكاء وذوق وله موشحات وألحان.

ينظر: الكواكب السائرة، 1/ 111.

### ابن أقبرس ( 801 - 862هـ )

- علي بن محمد بن أقبرس، طلب الفقه والنحو المعاني والبيان، وتولى عدّة وظائف منها نظر البيوت والأوقاف ومشیخة خانقاه تولى الحسبة في القاهرة، وناب في القضاء.

ينظر: الضوء اللامع، 5/ 292      شذرات الذهب، 9/ 442.

## ابن أبيك ( 728 - 801هـ )

▪ علي بن أبيك بن عبد الله القصباوي الدمشقي، عنيبالأدب واشتهر بالنظم له مدائح نبوية وكان ملماً بالتاريخ.

ينظر: الضوء اللامع، 5 / 194 - 195 شذرات الذهب، 20/9.

## الباعوني ( 777 - 780هـ )

▪ إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني، يعرف بالباعوني كأبيه، درّس وخطب وأفتى، وأبى استلام القضاء.

ينظر: وجيز الكلام، 2 / 774 الضوء اللامع، 26/1.

## البدر البشتكي ( 748 - 820هـ )

▪ محمد بن إبراهيم بن محمد بن البدر أبو البقاء الأنصاري، أديب وشاعر نشأ بالقاهرة له ديوان شعر، وصنّف عدداً من الكتب وتوفي بالقاهرة

ينظر: حسن المحاضرة، 1 / 467 المنهل الصافي، 208/9.

## بدر الدين بن الصاحب ( 717 - 788هـ )

▪ بدر الدين بن محمد بن علي بن محمد المصري المعروف بابن الصاحب، مهر في العلم والنظم والنثر، وفاق أهل عصره، وألف الكثير من الكتب.

ينظر: إنباء الغمر، 2 / 230 شذرات الذهب، 7 / 516 - 517.

## برهان الدين البهنسي ( 761 - 846هـ )

▪ إبراهيم بن علي البهنسي تعلم الفقه وأولع به في النظم وبرع فيه وكتب عنه الكثيرون.

ينظر: الضوء اللامع، 1/ 81 بدائع الزهور، 1/ 692.

## أبو بكر الدماميني ( 763 - 827 هـ )

▪ محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي بدر الدين، ولد بالإسكندرية، ودرس بالأزهر علوم الشريعة، وولي قضاء المالكية، وتفنن بالأدب، وقال الشعر الجيد.

ينظر: الضوء اللامع، 7/ 184 - 185 شذرات الذهب، 9/ 262. بغية الوعاة، 1/ 66

## تقي الدين المقرئ ( بعد 760 - 845 )

▪ أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، مؤرخ الديار المصرية، اشتغل في الفنون، وولي حاسبة القاهرة نظم ونثر وألف الكثير من الكتب.

ينظر: شذرات الذهب، 9/ 370 إنباء الغمر، 9/ 170.

## التكروري ( 790 - 857هـ )

▪ محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله التكروري الأصل واشتهر بالتكروري، درس الفقه والنحو والعروض والفرائض.

ينظر: عنوان الزمان، 5/ 28.

## جابر بن إبراهيم ( ... - 942هـ )

- جابر بن إبراهيم بن علي التنوخي القضاعي الشافعي، فاضل له شعر من أهل حلب، ولي نيابة القضاء، وكان عارفاً بالأدب، مكثراً من النظم، اتهم بالانحلال العقيدة.

ينظر: در الحبيب، 410/1.

## الجيلي (767-832هـ)

- عبد الكريم بن إبراهيم بن سبط بن عبد القادر الجيلي، عاش شاعراً صوفياً وله العديد من المؤلفات في التصوف.

ينظر: هدية العارفين، 610/1.

## ابن حجة الحموي ( 777 - 838هـ )

- أبو المحاسن تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي، ولد في حماه، وتنقل في طلب العلم، عانى عمل الحرير وعقد الأزهار، ونظم الأزجال والأشعار ومدح أعيان دمشق.

ينظر: درر العقود، 215 / 1 شذرات الذهب، 319 / 7 الضوء اللامع، 53 / 11.

## ابن حجر العسقلاني ( 773 - 825هـ )

- أحمد بن علي بن محمد بن علي، قاضي القضاة شهاب الدين، كان أبوه من أعيان التجار اشتغل بالأدب ونظم الشعر، وتفقّه على علماء عصره، ألف الكثير من الكتب.

ينظر: حسن المحاضرة، 1/ 310 الضوء اللامع، 2/ 36 شذرات الذهب، 7/ 270 - 271.

### ابن الحمصي، أمين الدين الأنصاري ( 800 751 هـ )

- محمد بن محمد بن علي أبو عبد الله الحمصي طربلسي الفقيه أبو عفيفه شارح كفاية عدد فنون مهر في الأدب، ألف في التاريخ وفوض إليها القضاء وخطب في جامع دمشق.

ينظر: الكواكب السائرة، 2/ 97 المنهل الصافي، 11/ 76-77

### ابن الخراط ( 777 - 840 هـ )

- زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المروزي، نزل القاهرة، عرف بابن الخراط، مدح أكابر حلب وتولى كتابة السر في طرابلس وعمل في ديوان الغشاء وتولى قضاء بلدة الباب شمال حلب

ينظر: الضوء اللامع، 4/ 130 إنباء الغمر، 8/ 438.

### ابن خطيب داريا ( 742 - 810 هـ )

- أبو المعالي محمد بن أحمد بن سليمان الدمشقي، عني بالأدب ومهر في اللغة وفنونها قال الشعر صبيًا، وكان مفرط الذكاء، سكن بيسان ومات فيها.

ينظر: المنهل الصافي، 9/ 304 شذرات الذهب، 7/ 89. بغية الوعاة، 1/ 25

### ابن خلوف ( 829 - 899 هـ )

- أحمد بن عبد الرحمن شهاب الدين الخلوف، شاعر تونسي أصله من فاس ومولده بالقسطنطينية، سافر إلى مكة والقاهرة، وسكن القدس وبرع في الأدب.

ينظر: الضوء اللامع، 122/2.

ابن الزعيفري (822-...هـ)

▪ أحمد بن يوسف بن محمد الدمشقي، عرف بابن الزعيفري، نظم الشعر ومدح بعض أعيان عصره.

ينظر: النجوم الزاهرة، 141/15 الضوء اللامع، 250/2.

ابن زغان (820-882هـ)

محمد بن أحمد بن داوود بن سلامة أبو عبد الله المعروف بابن زغان ولد بتونس حيث نشأ وحفظ القرآن كما درس العربية والفقه والنطق توفي في القاهرة ودفن فيها

ينظر: الضوء اللامع: 38/2 شذرات الذهب، 335/7

ابن زقاعة (724-816 هـ)

▪ إبراهيم بن محمد بن بنادر أبو اسحاق القرشي، عمل في الخياطة وتفرد في معرفة الأعشاب والنجوم وعلوم الحروف، وكان يسترزق بالعقاقير، وله نظم جيد.

ينظر: الضوء اللامع، 1/130 إنباء الغمر، 119/7

ابن سودون

▪ علي أبو الحسن بن سودون البشباوي، أخذ العلم عن علماء عصره وتفنن في العلوم وراج أمره بالمجون، أمّ ببعض المساجد وتعانى الأدب.



شذرات الذهب: 255/9

ينظر: الضوء اللامع، 229/5

### ابن شاذيحا ( 862 - ... هـ )

■ محمد بن شاذيحا ناصرا الدين المحمدي، اشتغفيا النحو وتكسبفيا العنبر وبرعفي

صنا عتهو تولعبا لأدبوخالط الفضلاء.

ينظر: الضوء اللامع، 263/7.

### الشهاب الحجازي ( 790 - 875 هـ )

■ أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي المعروف بالحجازي، من شيوخ الأدب في

مصر، نظم الشعر ومدح الأكابر، واشتهر وعني بالموسيقى وتصدر للتدريس

شذرات الذهب، 9 / 475.

ينظر: الضوء اللامع، 2 / 147 - 148

### الشهاب المنصوري ( 798 - 886 هـ )

■ أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين المنصوري، شاعر مصري، ولد ببلدة المنصورة تعاني

الأدب والنظم، وخلف ديوان شعر كبير

الضوء اللامع، 2 / 15 - 151.

ينظر: شذرات الذهب، 7 / 346

### ابن الشهيد ( 728 - 793 هـ )

■ فتح الدين أبو بكر بن إبراهيم بن إسحاق المعروف بابن الشهيد، اشتغل بالعلم وتعانى الأدب،

وله شعر جيد وكان كاتب السر في دمشق.

ينظر: النجوم الزاهرة، 98 /12 شذرات الذهب، 8 /563.

### ابن صالح (820 - 863هـ)

- أحمد بن محمد بن صالح بن الفخر عثمان أبو الثناء، شهاب الدين الأشليمي، برع في الفنون وأقبل على الأدب، وله نظم ونثر جيد.

ينظر: نظم العقيان، 58.

### الطريفي (726 - 784هـ)

- إبراهيم بن محمد بن عسكر الطائي، ابن مفتي المسلمين شرف الدين الطائي، نشأ في القاهرة، وحفظ القرآن الكريم ولازم شعراء عصره وكان له النظم الفائق والنثر الفائق.

ينظر: المنهل الصافي، 89/1 النجوم الزاهرة: 11/196.

### الطننتائي (... - 793هـ)

- محمد بن زين بن محمد بن زيد بن محمد الطننتائي النحراري المولد، رحل إلى القاهرة نظم كثير من العلوم، ومدح النبي (صلى الله عليه وسلم) وغير ذلك.

ينظر: عنوان الزمان، 5/165.

### عائشة الباعونية (... - 922هـ)

- عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني، تعرف بالشيخة الصالحة العالمية، ذات علم ودين وأدب وخلق، نالت من العلوم حظاً وافراً، وكانت تدرس وتفتي.

ينظر: شذرات الذهب، 10/ 157 الكواكب السائرة، 1/ 287 - 292.

ابن عبد السلام المنوفي ( 847 - 927هـ )

- أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام أبو الخير، قاضي منوف نطقه بها، وقرأ الفرائض والحساب، كان عفيفاً نزيهاً.

ينظر: شذرات الذهب، 8/ 150 الضوء اللامع، 2/ 181 - 182.

ابن العبي الحلبي ( 690 - 790هـ )

- علي بن محمد بن عبد الرحمن الحلبي أبو الحسن، أحد موقعي الدست في حلب وسمي بابن العبي لأنه كان يبيعها.

ينظر: درر العقود، 2/ 453 - 454 إبناء الغمر، 2/ 303

ابن العجمي ( ولد قبل 820- ..... هـ )

- أبو بكر زيد الدين بن عثمان بن العجمي، نزيل القاهرة، تولع بالأدب، ونظم الشعر، وباشر التوقيع بالقاهرة، وطرح الشعراء، وتولى توقيع الدّرج.

ينظر: درر العقود، 1/ 479 النجوم الزاهرة، 12/ 135.

ابن عريشاه ( 791 - 854هـ )

- أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو محمد، ويعرف بابن عرب شاه، مؤرخ رحالة، له اشتغال بالأدب، أتقن اللسان الفارسي والخط المغولي

ينظر: الضوء اللامع، 2/ 126-127 شذرات الذهب، 9/409.

عز الدين الموصلني ( ... - 789هـ )

▪ علي بن حسن علي بن أبي بكر الموصلني الدمشقي، كان شاعرًا ماهرًا سكن دمشق وأقام مدة بحلب.

ينظر: بدائع الزهور، 1/ 389 أنوار الربيع، 1/92.

ابن العطار ( 746 - 794هـ )

▪ أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين العطار، أديب من دنيسر، له نظم كثير، مدح الأكابر، واشتغل بالفقه، وتهاجى مع بعض أدباء عصره.

ينظر: شذرات الذهب، 8/ 569 عنوان الزمان، 1/ 226-227.

ابن العفيف ( 752 - 813هـ )

▪ علي بن محمد بن إبراهيم الجعفري النابلسي أبو الحسن، فاضل من أهل نابلس تولى قضاءها وكان حنبلي المذهب.

ينظر: الضوء اللامع، 5/ 279

علي بن إبراهيم ( 770 - 855هـ )

▪ علي بن إبراهيم بن علي المغربي الأصل ثم الدميري الشهير بالأديب ولد في مصر في دميرة.

ينظر: عنوان الزمان 4/6-7.

**علي بن محمد البهرمي (765 - ... هـ)**

▪ علي بن محمد بن عبد الله، والشيخ نور الدين البهرمي، ولد في حمص، كان عالماً بالدين ونظم الشعر.

ينظر: عنوان الزمان، 4/67.

**علي وفا (759 - 807 هـ)**

▪ علي بن محمد بن محمد بن وفا أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، ولد ومات في القاهرة، اشتغل بالأدب والوعظ وعاش متصوفاً وعاش متصوفاً وله عدة مؤلفات.

ينظر: شذرات الذهب، 9/106 إنباء الغمر، 5/253.

**فخر الدين بن مكاس (745 - 794 هـ)**

▪ فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، ولي نظر الدولة، وزارة دمشق، تنقل في الولايات، كان عارفاً بصناعة الحساب واغتيل بالسم.

ينظر: شذرات الذهب، 8/570-571 المنهل الصافي، 7/174

**ابن فضل الله العمري (... - 799 هـ)**

▪ أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، ولد بدمشق له شعر ونثر من مؤلفاته الشهيرة كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار، توفي بالطاعون

ينظر، عنوان الزمان، 512/1.

### أبو الفضل بن أبي الوفا ( 745 - 814هـ )

- عبد الرحمن بن محمد بن أبي الوفا الشاذلي، أحب الأدب ونظم الشعر الفائق، كان ذكياً حسن الأخلاق لطيف العشرة.

ينظر: الضوء اللامع، 58/4 شذرات الذهب، 9/158.

### الفيروز آبادي ( 729 - 817هـ )

- مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب، ولد في كازرون في شيراز، أخذ اللغة والأدب من والده وانتقل إلى العراق ثم قدم إلى القاهرة، صنف كثير من الكتب وله شعر كثير.

ينظر: الضوء اللامع، 79/10 شذرات الذهب، 9/186.

### ابن كميل المنصوري ( 775 - 848هـ )

- محمد بن محمد بن أحمد بن عمر، ولد في المنصورة في مصر ويعرف بابن كميل، ناب في القضاء، وكان بديع الذكاء، جيد الكتابة وله شعر جيد.

ينظر: الضوء اللامع، 28/7.

### ابن اللوكة ( 794 - 860هـ )

- عطا بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن سعد الله بن محمد بن أبي العباس بن زماخة القحطاني البصري الشافعي، عرف بابن اللوكة، ولد بالبصرة ونشأ فيها، عني بالأدب وطالع الدواوين ونظم الشعر الجيد.

ينظر: عنوان الزمان، 176/3-177.

مجد الدين بن مكناس (769 - 822هـ)

- القاضي مجد الدين فضل الله بن فخر الدين عبد الرحمن المعروف بابن مكناس، شاعر مصري برع في الأدب وكتب الإنشاء مدة وتولى القضاء، ومات بالطاعون

ينظر: النجوم الزاهرة، 157/14 الضوء اللامع، 172/6

ابن مدلج ( ولد بعد 780 - .... هـ )

- إبراهيم بن محمد بن علي بن أحمد بن مدلج، تردد إلى القاهرة والإسكندرية، وأقبل على العلم وعني بالشعر، وكان قادراً على حل ألغاز الشعراء في عصره.

ينظر: نظم العقيان، 39.

ابن مليك الحموي (840 - 917هـ)

- علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عبد الله، تعلم الأدب والنحو والعروض، وشارك في اللغة والنحو والصرف، برع في النظم، وله معرفة بكلام العرب، وتوفي في دمشق.

ينظر: شذرات الذهب، 115/10

ابن الموازيني (829-883هـ)

- علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف بن أحمد بن محمد نور الدين القاهري المعروف بابن الموازيني، ذاع صيته كأحد أعيان النواب، وتوفي في الحجاز.

ينظر: الضوء اللامع، 2/165.

### النواجي ( 788 - 859 هـ )

- محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي شمس الدين، عالم بالأدب وناقد وشاعر من أهل الأدب في مصر وينسب إلى نواج، أمعن النظم في علوم الأدب وألف الكثير من الكتب.

ينظر: الضوء اللامع، 7/230 شذرات الذهب، 7/296 - 297.

### الوادعي ( 716 - 790 هـ )

- علاء بن المظفر بن ابراهيم بن عمر بن زين الأديب المقرئ الكاتب علاء الدين المعروف بالوادعي، حفظ كثيرا من أشعار العرب وكان فاضلا عالي الهممة في تحصيل العلوم.

ينظر: النجوم الزاهرة ، 9/235.



## • المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس وهو أسفار العهد القديم والجديد مترجم من اللغات الأصلية، نداء الرجاء، (د.ط)، شتوت غارد، ألمانيا، 1996م.
- الأَبْشَهي، محمد بن أحمد (ت 850هـ):
  - المستطرف في كل فن مستطرف، تحقيق: عبد اللطيف سامر ودياب محمد، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، بيروت، 1995م.
  - الأخطل، غياث بن غوث:
  - الديوان، شرحه: عبد الرحمن المصطاري، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2005م.
  - أدونيس، علي أحمد سعيد:
  - الثابت والمتحول، دار الساقى، ط10، بيروت، 2011م.
  - الإربلي، أبو الحسن البهاء علي بن عيسى (ت 92هـ):
    - التذكرة الفخرية، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن، المجمع العلمي العراقي، (د.ط)، بغداد، 1984م.
    - الأزهرى، محمد بن عبد الله (ت 889هـ)
    - مستوفى الدواوين، تحقيق: زينب القوصي ووفاء الأعصر، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، (د.ط) القاهرة، 2005م.
    - إسماعيل، عز الدين:
    - الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة، 2002م.
    - التفسير النفسى للأدب، دار المعارف للطباعة والنشر، ط1، مصر، 1963م.
    - الأَعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت 7هـ)

- الديوان، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- أنيس، إبراهيم:
- موسيقا الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، 1985م.
- ابن إياس الحنفي، محمد بن احمد (ت930هـ)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: إبراهيم السيسي، جامعة طنطا، (د.ط)، مصر، 2000م.
- الأيوبي، ياسين:
- آفاق الشعر العربي، في العصر المملوكي، جروس برس، ط1، طرابلس- لبنان، 1995م.
- باشا، عمر موسى:
- الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر، ط1، دمشق، 1989م.
- الباعوني، إبراهيم بن احمد بن ناصر (ت894هـ):
- الديوان، نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم (أدب طلعت-1439).
- الباعونية، عائشة بنت يوسف بنت احمد (ت922هـ):
- ديوان فيض الفضل وجمع الشمل، نسخة بدار الكتب المصرية، كتبها احمد المازني من نسخة كتبت سنة 1621/1013، تحت رقم (شعر تيمور-431)
- البدري، أبو البقاء عبد الله بن محمد (ت894هـ):
- نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، ط1، بيروت، 1980م.
- بدوي، أحمد أحمد:
- أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر، ط2، القاهرة، 1960م.

- البغدادي، علي إسماعيل باشا (ت1339هـ)
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين المصنفين، مكتبة المثني ، (د.ط)، بغداد، 1954م.
- البغشاي، ابن سودون أبو الحسن علي (868هـ):
- ديوانه نزهة النفوس ومضحك العيوس، تحقيق: منال محرم، مراجعة: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، (د.ط)، القاهرة، 2003م.
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن حسن (ت885هـ):
- عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 2001م.
- البطل، علي:
- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثامن الهجري، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1981م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت874هـ):
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1999م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- التميمي، حسام:
- الصورة الشعرية في شعر القديسيات زمن الفتح 583هـ، مجلة جامعة النجاح للعلوم والأبحاث، مج(13)، ع(2)، 523، 1999م.
- الثعالبي، أبو منصور:

- فقه اللغة، شرحه وقدم له ووضع فهرسه: ياسين الايوبي، المكتبة العربية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- الجرجاني، عبد القاهر (ت470هـ):
- أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، (د.ط)، جدة، 1991م.
- الجرجاني، ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن (ت392هـ):
- الوساطة بين المتنبى وخصومه، مطبعة العرفان، (د.ط)، صيدا، 1912م.
- الجواليقي، موهوب بن احمد بن محمد (ت540هـ):
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: ف. عبد الرحيم، دار القلم، ط1، دمشق، 1990م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ)
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، (د.ت).
- الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم (ت805هـ):
- الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، (د.ط)، القاهرة، 1970م.
- الحاوي، إيليا:
- فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- الحجازي، شهاب الدين احمد بن محمد (ت875هـ):
- روض الآداب محفوظ في الجامعة الأردنية، ميكروفيلم رقم (4575) نسخة ثانية مصورة على ميكروفيلم في عهد إحياء المحفوظات العربية بالقاهرة رقم (429) أدب.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ):

- إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1986م.
- ديوان ابن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة: فردوس نور علي، دار الفكر العربي، (د.ط)، مصر، 1996م
- ابن حمديس، عبد الجبار بن ابي بكر (ت527هـ):
- الديوان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1998م.
- الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن حجة (ت837هـ):
- خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شـعيتو، دار مكتبة الهلال، ط2، بيروت، 2004م.
- الديوان، مخطوط في دار الكتب القومية المصرية، برقم (247) شعر تيمور.
- كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، المطبعة الأنسية، (د.ط) بيروت، 1312هـ.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ)
- معجم البلدان، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1957م.
- الحنبلي، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن احمد بن محمد (ت1089هـ):
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم بن يوسف (ت974هـ):
- درر الحبيب في تاريخ أعيان حلب، منشورات وزارة الثقافة، (د.ط)، دمشق، 1973م.
- ابن خطيب داريا، محمد بن احمد بن سليمان (ت810هـ):
- ديوانه، مخطوط في المكتبة العامة في الرباط برقم (225).
- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ):

- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدر اويش، دار

يعرب، ط1، سوريا، 2004م.

▪ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة النهضة

المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1950م.

▪ خليف، يوسف:

- ديوانه (نداء القمم)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1956م.

▪ خليفة، عبد الكريم:

- الألوان في معجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع32، 1978م.

▪ خوجة، غالية:

- قلق النص، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1، 2003م.

▪ أبو ديب، كمال:

- جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، ط3، بيروت 1984م.

▪ الدماميني، بدر الدين أبو بكر محمد بن عمر (ت 827هـ):

- العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة

الخانجي، ط2، القاهرة، 1994م.

▪ الربداوي، محمود:

- ابن حجة الحموي شاعرا وناقدا، دار قتيبية، (د.ط)، 1982م.

▪ ابن رشيق، علي بن الحسن القيرواني (ت 456هـ):

- العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة

الخانجي، ط1، القاهرة، 2000م.

▪ الرياحي، أبو الهندي:

- الديوان، صنعه: عبد الله الجبوري، مطبعة النعمان، ط1، بغداد، 1969م.
- ابن زقاعة، إبراهيم بن محمد بن بهادر (ت816هـ):
- ديوان ابن زقاعة، شاعر خليل الرحمن، تحقيق ودراسة: يونس عمرو، دار المستقبل للدراسات والنشر والأعلام، ط1، الخليل- فلسطين، 2001م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت528هـ):
- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998م.
- الزوزني، عبد الله الحسن بن أحمد (ت486هـ):
- شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1998م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ):
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1950م.
- سليم، محمود رزق:
- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1955م.
- السيد، شفيق:
- الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى، دار الفكر العربى، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت458هـ):
- المخصص، تحقيق: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربى، ط1، بيروت، 1996م.

▪ **السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن عثمان (ت911هـ):**

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، مصر، 1964م.

- **جنى الجناس**، تحقيق ودراسة: محمد رزق الخفاجي، المطبعة الفنية، (د.ط)، القاهرة، 1986م.

- **حسن المحاضرة غي أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997.

- **كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة**، تحقيق: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2002م.

- **نظم العقيان غي أعيان الأعيان**، حرره: فيليب حتى، المكتبة العلمية، (د.ط)، بيروت، 1927م.

▪ **الشاذلي، علي وفا السكندري (ت806هـ):**

- **ديوان علي وفا السكندري**، تحقيق: انس عطية الفقي، دار الغد الجديد، ط1، مصر، 2002م.

▪ **الشايب، احمد:**

- **الأسلوب**، مكتبة النهضة المصرية، ط12، القاهرة، 2003م.

- **أصول النقد الأدبي**، مكتبة النهضة المصرية، ط8، القاهرة، 1972م.

▪ **شبيب، غازي:**

- **فن المديح النبوي في العصر المملوكي**، أشرف عليه وراجعه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1998م.



- ابن الشعار الموصلي، كمال الدين أبو البركان المبارك (ت654هـ):
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ( عقود الجمان في شعراء هذا الزمان)، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م.
- شكري، عبد الوهاب:
- الإضاءة المسرحية، الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1985م.
- الشناوي، علي الغريب:
- الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2003م.
- الصائغ، عبد الإله:
- الصورة الفنية معياراً نقدياً، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، ط1، بغداد، 1987م.
- صدقي، عبد الرحمن:
- ألحان الحان، دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1957م.
- الصفدي، خليل بن أبيك أبو الصفا (ت764هـ):
- الوافي بالوفيات، تحقيق: مجموعة من العلماء، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، القاهرة، 2000م.
- صريع الغواني، مسلم بن الوليد:
- شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق: سامي الدهان، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1985م.
- الصيرفي، رشيد غازي:
- كشف النقاب عن أنواع الشراب، بيروت، (د.ط).

- ضيف، شوفي:
- في النقد الأدبي، دار المعارف، ط7، مصر 1962م.
- الطباخ، محمد راغب (ت1370هـ):
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه: محمد كمال، دار القلم العربي، ط2، حلب، 1989م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الصالحي (ت953هـ):
- المواكب الإسلامية في المالک والمحاسن الشامية، تحقيق: حكمت إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، (د.ط)، دمشق، 1992م.
- عباس، إحسان:
- فن الشعر، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي (ت246هـ):
- الديوان، تحقيق: محمد التنوخي، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، 1993م.
- عبد الرحمن، نصرت:
- في النقد الحديث-دراسة نقدية في مذاهب نقدية حديثها وأصولها الفكرية، مكتبة الأقصى، ط1، عمان، 1979م.
- عبد المطلب، محمد:
- البلاغة الأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1994م.
- عبد المهدي، عبد الجليل حسن:
- الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري، مكتبة الأقصى، ط1، عمان، 1977م.
- عبد الهادي، حسن محمد السراحنة:

- دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب مع تحقيق ديوانه، دار الينابيع للنشر والتوزيع، (د.ط)، 1997م.
- عتيق، عبد العزيز:
- علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- ابن عرب شاه، احمد بن محمد (ت854هـ):
- عجائب المقذور في أخبار تيمور، المطبعة العالمية العثمانية، (د.ط)، القاهرة، 1887م.
- العروضي، أبو الحسن أحمد:
- الجامع في العروض والقوافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 2008م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت567هـ):
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1971م.
- العشماوي، أيمن محمد زكي:
- خمريات أبي نواس، دراسة تحليلية في المضمون والشكل، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1998م.
- العشماوي، محمد زكي:
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1979م.
- عصفور، جابر:
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992م.

- العكيلي، عهود عبد الواحد:
- الصورة الشعرية عند ذي الرمة، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
- عمر، احمد مختار:
- اللغة واللون، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1997م.
- العمري، احمد بن يحيى بن فضل الله (ت794هـ):
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات  
آخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.ط)، 2001م.
- غريب، جورج:
- شعر اللهو والخمر (تاريخه وأعلامه)، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- الغزولي، علي بن عبد الله البهائي (ت815هـ):
- مطالع البذور في منازل السرور، المكتبة الثقافية الدينية، (د.ط)، القاهرة، 2000م.
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد أبو المكارم (ت1061هـ):
- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان  
الجبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1979م.
- الغنيم، إبراهيم:
- الصورة الفنية في الشعر العربي-مثال ونقد، الشركة العربية للنشر  
والتوزيع، ط1، القاهرة، 1996م.
- غنيم، كمال:
- عناصر الإبداع الفني في شعر احمد مطر، مكتبة مدبولي، ط2، مصر، 1998م.
- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة:
- الديوان، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ):

- القاموس المحيط، دار الفكر، (د.ط) بيروت، 1999م.
- القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن (ت 684هـ):
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، (د.ط)، تونس، 1966م.
- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت 821هـ):
- صبح الاعشى فى صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1961م.
- قلقلبة، عبده عبد العزيز:
- النقد الادبى فى العصر المملوكى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1972م.
- القيرواني، إبراهيم بن القاسم:
- المختار من قطب السرور فى وصف الأنبذة والخمور، اختيار: علي نور الدين المسعودي، حققه و عارضه بأصوله: عبد الحفيظ منصور، نشر مؤسسة عبد الله بن عبد الكريم، (د.ت).
- الكتبي، محمد بن شاکر (ت 764هـ):
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1974م.
- كوهن، جون:
- بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 1986م.
- المتنبى، ابو الطيب احمد بن الحسين (ت 354هـ):

- شرح ديوان المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى (التبيان في شرح الديوان)، ضبط نصه وصححه: كمال طالب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م.
- محمد، محمود سالم:
- أدب الصناعات وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري، دار الفكر، ط1، دمشق، 1993م.
- ابن المعتز:
- فصول التماثيل في تباشير السرور، المطبعة العربية، (د.ط)، مصر، 1925م.
- ابن معصوم، علي صدر الدين المدني (ت1120هـ):
- أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: هادي شاکر شکر، مطبعة النعمان، ط1، النجف الأشرف، 1986م.
- المقرئزي، تقي الدين احمد بن علي (ت854هـ):
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الخليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، (د.ت).
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، القاهرة، 1956م.
- كتاب المواعظ والآثار بذكر الخطط والديار المعروف بالخطط المقرئزية، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- ابن مكناس، فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق (ت794هـ)

- الديوان، مخطوط مصور في دار الكتب المصرية برقم (5555) عن نسخة برلين

(مصورات خارج الدار). نسخة ثانية مصورة على ميكروفيلم في معهد إحياء

المخطوطات العربية بالقاهرة، برقم (1657) أدب.

▪ ابن مكنس، مجد الدين فضل الدين بن عبد الرحمن (ت 822هـ)

- الديوان، نسخة مصورة على ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية برقم (8-1-76)

مكا، رقم (683-682). نسخة مصورة في دار الكتب المصرية برقم (5555) مصورة

عن نسخة برلين (مصورات خارج الدار).

▪ ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ):

- لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1994م.

▪ ناصيف، مصطفى:

- الصورة الأدبية، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1981م.

▪ النبهاني، يوسف بن إسماعيل (ت 1350هـ):

- المجموعة النبّهانية في المدائح النبوية، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1974م.

▪ النواجي، شمس الدين محمد بن حسن (ت 859هـ):

- تأهيل الغريب، تحقيق: احمد محمد عطا، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2005م.

- حلبة الكميت، مطبعة إدارة الوطن، (د.ط)، مصر، 1299هـ.
- كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء، تحقيق: حسن عبد الهادي، دار  
الينابيع، ط1، عمان، 2004م.
- مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان، مخطوط مصور على ميكروفيلم في  
معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (756) أدب، نسخة أخرى مصورة  
على ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية برقم (61، 1 ع8) رقم (688) عن  
نسخة الاسكريال برقم (339).
- أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت199هـ):
- الديوان، شرح: علي الفاعور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1994م.
- نوفل، سيد:
- شعر الطبيعة في الأدب العربي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1987م.
- نوفل، يوسف حسن:
- الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، دار النهضة العربية، ط1، 1953م.
- النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت676هـ):



- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، شرح وتحقيق: مصطفى محمد عمارة،

دار إحياء الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1955م.

▪ هيجل، جورج فريدريك:

- فكرة الجمال، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، (د.ط)، بيروت، 1971م.

▪ يوسف، خالد إبراهيم:

- الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، دار النهضة

العربية، ط1، بيروت، 2003م.

● الرسائل الجامعية:

■ الأعرجي، محمد:

تطور المعاني الخمرية من العصر الجاهلي حتى أبي نواس، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1985.

■ حروب، إسماعيل طه محمد:

- شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء، جمع وتحقيق ودراسة، مع تحقيق كتاب تحقيق

الصفا في تراجم بني وفا "الفاسي المكي"، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2008 م.

■ بوتمجت، خضيرة:

- الشعر الخمرى عند بنى ربيعة فى العصر الجاهلى، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.ت).

■ حيدر، بادية حسين:

- الخمر فى الحياة الجاهلية وفى الشعر الجاهلى، رسالة ماجستير، جامعة بيروت الأمريكية، 1986م.

■ خليل، حسين:

- شعر الطبيعة فى العصر المملوكى الثانى (784-923هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2008م.

■ السراحنة، حسن عبد الهادي:

- دراسة شعر شمس الدين النواجى مع تحقيق ديوانه، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1980م.

■ السراحنة، سارة حسين:

- أبو بكر الدماميني شاعرا وناقدا، مع جمع شعره وتوثيقه، رسالة ماجستير، جامعة

الخليل، 2007م

الشروف، فواز:

- شعر الخمر في العصر المملوكي الأول (648-784هـ)، رسالة ماجستير، جامعة

الخليل، 2013.

الصوص، جننار:

- شعر الخمر في العصرين الزنكي والأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013م.

غريب، علي:

- شعر ابن فضل الله العمري جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، جامعة

الخليل، 2013م.

الرجبي، عبد المنعم:

- الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراة، جامعة

القاهرة، 1979م.

الموسى، فيروز:

- الخمرة في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، رسالة ماجستير، جامعة

حلب، 1987م.

النجادي، موسى علي موسى:

- وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول (648-748هـ)، رسالة ماجستير، جامعة

الخليل، 2006م.

النتشة، أحلام عبد السلام:

- صورة الساقى في خمريات النواصي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013م.

## *Wine poetry during the second Mamluki period*

*This study addresses the issue of poetry during the second Mamluki era. The significance of the study is the objective it seeks to attain in adding a more detailed view of this little detailed aspect across the time span of 784-923 AH. In spite of the overall decline in different life aspects, yet, poetry and scholars kept up the pace of development, in building and adding to the previous achievements of their predecessors, thus the authenticity and vividness of scholarly art remained alive in the writings and art productions of the second Mamluki era scholars, whose literature was a living and vivid true depiction of their true life.*

*Their writings reflected the different realities of life at that time in such a gorgeous attractive charming way, whereby, any reader or beholder of that artistic production will feel as if being taken back into that era, with all of its harmonies and dissonance. During that period, wine poetry flourished and gained a high rank among the poetry of second Mamluki period poets. That, like in previous times, flourished with no boundaries or limitations; regardless of the situation of liberties or freedom, such poetry remains sought after and needed as much as wine is to the public.*

*Poets portrayed their wine-attached life and meetings in a most vibrant detailed way; they depicted drinks, drinkers, bartenders and partners. They also depicted their meetings and their festive times and above all, they depicted wine as a crosscutting theme for the majority of that poetry. Poets detailed their happy hour as a lasting happy time, where they would meet each after a long time of being apart, thus they'd drink wine and enjoy their happy time, while joining a jolly singing and music time.*